

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الجهم

عنه

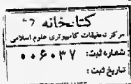
عبد الوكيل بن محمد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان - بيروت

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء السابع عشر

دارالتحاة المكتب الحزبي
عيسى الباني الجلي وشركاه



منشورات مكتبة آية الله العظمى العرشي النجفي
تم - اعلان ١٤٠٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل^(١)

(٤٦)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ يَمُنُ اسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ الدِّينَ ، وَأَقْسَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ ،
وَأَسَدُ بِهِ لَهَآءَ الثَّغْرِ الْمَضُوفِ .

فَاسْتَنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَمَعَكَ ، وَأَخْلَطِ الشَّدَّةَ بِسَفَرٍ مِنَ اللَّيْلِ ؛ وَارْفُقْ مَا كَانَ
الرَّفْقُ أَرْفَقَ ، وَاعْتَرِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُكْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ .

وَأَحْصِ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ؛
وَأَسْرِ بِهَتْمِهِمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالذُّطْرَةِ ، وَالْإِشَارَةِ وَالْتَّجْعَةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْمُظْلَمُ
فِي حَقِّكَ ، وَلَا يَيْئِسَ الصَّغْفَرُ مِنْ عَذَابِكَ . وَالسَّلَامُ .

الشرح :

قد أخذ الشاعر معنى قوله : « وأس بينهم في اللحظة والنظرة » ، فقال :

(١) : « وبه لسجد » ، « وبه تلقى » .

اقسم اللاحظ ينسا إن في القحط طير لعنوان ما نجب الصدور
إنعسا البر روضة فإذا ما كل شر فروضة وعدير

قوله : « وآس بينهم في المحططة » ، أى أحملهم أسوة ، وروى : « وساو بينهم في المحططة » ، والمعنى واحد .

واستظهر به : أحمله كالنهر .

والتخوة : الكبرياء ، والأثيم : المخطئ الذنب .

وقوله : « وأسد به لحاة النمر » استعارة جسة .

والصفت في الأصل : فذمة حشيش محتاط بأسمها بنىء من الرطب ، ومنه « أسفات

الأحلام » للرؤيا المحتلطة التي لا يصح تأويلها ، واستعار اللمعة ها هنا ، والمراد : امرؤ^(١) الشدة شئء من اللين^(٢) فاحملهما كالصغير ، وقال لئالى : « وَحَدَّ بَبْدَكَ مَبْنَأً »^(٣) .

قوله : « فاعزم بالشدة » أى إذا جسد بك الحجة فدع اللين ، فإن في حال الشدة لا تغنى إلا الشدة ، قال العبد الزماني :

فلما صرح الشر فاقسى وهو عريان^(٤)

ولم بين سوى العدا

وبدناهم كما دائوا

قوله : « حتى لا يقطع العطاء في حبيبك » ، أى حتى لا يقطع العطاء في أن غاليهم على حبيب الضملاء ، وقد تقدم مثل هذا فيها سبق .

(١) د : مرج • • (٢ - ٢) ساقط من د .

(٣) ديوان الخامة ١ : ٢٣ - بشرح التعريزي ، من شعره في حرب النوس .

(٤٧)

الْأَمَلُ :

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله :

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَلَّا تَنْفِيَا الدُّنْيَا وَهِيَ بَيْنَكُمْ ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا
رُوي عَنْكُمْ ، وَقَوْلَا بِالْحَقِّ ، وَاعْتَصِلَا بِالْآخِرِ ، وَكُونَا لِلْفَقِيرِ حَسَنًا ، وَلِلْمُتَطَلِّمِ عَوْنًا .
أَوْصِيَكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَيْنَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ ،
وَسَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ بَعْضَكُمْ يَقُولُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَآلِهِ يَقُولُ : سَلَاخُ
ذَاتِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ السَّلَاحِ وَالصَّامِ .
اللَّهُ اللَّهُ فِي الْأَبْنَامِ ، فَلَا تُفْسِدُوا أَعْوَاهِمَ ، وَلَا تَضْمِنُوا بِمُخْزِنِكُمْ .
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِرَارِكُمْ ، فَأَمُّهُمْ وَصِبَةُ نَبِيِّكُمْ ، مَا ذَالِ بُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنْتُمْ
أَنَّهُ سَبْرُهُمْ .

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الدُّرُوتِ ، لَا تَسْفِكُمْ بِالْمَعْلُومِ غَيْرَكُمْ .
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ، وَإِنَّمَا عَمُودُ دِينِكُمْ .
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لَا تَحْلُوا مَا بَقِيَتْكُمْ ، فَإِنَّهُ إِنِ نَزَحْتُمْ لَمْ تَنْظُرُوا .
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَيْمَانِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
وَعَلَيْكُمْ بِالنَّوْاسِلِ وَالْفَادِلِ ؛ وَإِنَّا كُنْهُمُ وَالْقَدَائِرُ وَالْمَقَاتِلُ ، لَا تَنْزُسُوا

الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ فَبَوَّأَ عَلَيْهِمْ أَشْرَارُكُمْ ، ثُمَّ نَادَعُونَ
فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ .

ثم قال :

بَا بَنِي قَبِيلِ الْمُطَّلِبِ ، لَا الْعَيْسَ كُمْ نَحْمُسُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْشًا ، تَقُولُونَ :
قَتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! أَلَا لَا تَقْتُلُنِي إِلَّا قَارِنِي ، انْظُرُوا
إِذَا أَنَا مِثْلُ مَنْ خَرَبْتَهُ هَذِهِ فَأَخْرَجُوهُ خَرَبَةً يَصْرَبُهُ ، وَلَا تُخَنِّلُوا بِالْجُلِّ ؛ فَإِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِنَّا كُمْ وَالْمُثَلَّةَ وَتَوَّ بِالْكَلْبِ الْمَقْذُورِ .



البَشرح :

مرآة الحق في شرح كلام رسول

روى : « وأعمال الآخرة » ، وروى : « فلا تفتروا أموالكم » ؛ يقول : لا تطلب الدنيا
وإن طلبتكم ؛ فإذا كان مَنْ نطلبه الدنيا منيَّ عن طلبها فن لا نطلبه يكون منيَّ عن
طلبها بالطريق الأول .

ثم قال : « ولا نأسمع على شيء منيَّ روى عنكم » ، أي قبض ؛ قال رسول الله
صلى الله عليه وآله : « زُوبِنٌ لِي الدُّنْيَا فَأَرَبْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَسَبَّلْتُ عَنْهُ أَمْنِي
مَا زُوبِي لِي مِنْهَا » .

وروى : « ولا تأسيا » ؛ وكلاهما بمعنى واحد ، أي لا نخزنا ، وهذا من قوله تعالى :
﴿ يَكِيدُوا نَاسُوا عَلَى مَا فَاَنكُمْ ﴾ ^(١) .

قوله : « سلاح ذات البين » أخذ هذه اللفظة عبد الملك بن مروان فقال لبنيه وقد سموا

عنده يوم موته :

انفوا الضغائن بينكم وعليكم
بصلاح ذات البين طول حباكم
إن القيد إذا اجتمع فرائها
عزتكم نكسر ، وإن هي بددت
عند المنب وفي حضور الشهيد
إن مد في حمري وإن لم يمدد
بالكسر دو بطش شديد أبد
هالوهم والتكسر للفتد
ودات هاهنا زبدة مقحمة .

قوله : « فلا تفنوا أفواههم » ، أى لا تبيسوا ما تلعنهم عيا ، ومن روى : « فلا تنفروا أفواههم » فذلك لأن الجائع ينتفر عنه ، قال عليه السلام : « تَلْفُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَيْتِ » .



قال : « ولا يلعنوا بمخسر نكح » أى لا يلعنوا ، « النعى في الظاهر للأيتام وفي النسي للأوصياء والأولياء ، والظاهر أنه لا يلعن للأيتام الذين لهم مال تحت أيدى أوصيائهم ؛ لأن أولئك الأوصياء عزم عليهم أن يسيروا من أموال البنائى إلا القدر الضرورى جدا عند الضرورة ثم بقصوته مع المنكح ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له : لا تنفروا أفواه أيتامكم ، وإنما الأظهر أنه بسمى الذين مات آباؤهم وهم فراء ينعن مواساتهم ويبيع الفود عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ عَلَى حَشْرٍ مُسْتَكِينًا وَزَيْنًا وَأُسِيرًا ﴾ ^(١) ، واليتم في الناس من قبل الأب ، وفي البنائى من قبل الأم ؛ لأن الآباء من البنائى لا عناية لهم بالأولاد ، بل العناية للأُم لأنها الرضعة للشقة ؛ وأما الناس فإن الأب هو الكافل اليتم تنقة الولد ؛ فإذا مات وصل الضرر إليه شدة كالله والأُم بمنزل عن ذلك . وجمع بينهم على أيتام ، كما قالوا : شريف وإشراف . وحكى أبو علي في التكملة : « كى . وأكاه » ، ولا يسمى الصبي نبيا إلا إذا

كلن دون البلوغ وإذا بلغ زال اسمُ البنيمة^(١) عنه . والبتاي أحد الأستاف الذين عذبوا في أُلخس بنص الكتاب العزيز .

[فصل في الآثار الواردة في حقوق الجار]

ثم أوصى بالجيران ، واللفظ الذي ذكره عليه السلام قد ورد مرفوعاً في رواية عبد الله بن عمر لما دبح شاة ، فقال : أهدبهم لحارنا اليهودي ؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله قال : « مَنْ كَلَّ بِؤْمَنٍ بِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَيْسَ كَرِهُ حَرَهُ » ، وعنه عليه السلام : « جارُ السوءِ في دارِ المُقامَةِ قاصمةُ العُظمِ » ، وعنه عليه السلام : « لا مِنْ حَمْدِ الْبَلَاءِ جَارُ سَوْءٍ مِثْلَكَ فِي دَارِ مُقَامَةٍ إِنْ رَأَى حَسَةً دَقَّقَهَا » ، وإن رأى سيئةً أذاعها وأنشأها .
ومن أذعنهم : اللهم إني أعوذ بك من مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ فِتْنَةً ، ومن ولد يكون عليّ كَلَّاءً ، ومن حَلَبَةٍ تَقْرُبُ الشَّيْبَ ، ومن جارٍ تُرَايَ عِبَادَهُ وَزَعَامَتُهُ ، إن رأى حبراً أذفنه ، وإن سمع شراً طار به .

ابن مسعود رَفَعَهُ : « والذي نسي يده لا يُعَلِّمُ الْعَبْدَ حَتَّى يَسْلِمَ فَالْتَهُ وَلِسَانَهُ ، وَبِأَمْنٍ جَارُهُ بِوَأَقَّتَهُ » ، قالوا : ما بوائته ؟ قال : عَشْمُهُ وَطَلْفُهُ .

قُتَيْبَانُ : بَابِي ، حَلَّتْ الْحَجَارَةُ وَالْحَدِيدُ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً أَثْقَلَ مِنِّ جَارِ السَّوِّءِ .
وَأَنْشَدُوا :

أَلَا مَنْ بَشْرِي دَاراً بِرُحِيصٍ كَرَاهَةٍ بَعْضُ جِيرَانِهَا نِسَاعٌ
وَقَالَ الْأَعْمَشِيُّ : جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين : اللؤم وفلة النيرة ،

وجاور أهل البصرة أنحرّز، فأخذوا عنهم خصلتين : الزبا وقلة الوفاء ، وجاور أهل الكوفة السواد ، فأخذوا عنهم خصلتين : السخاء والتفبرة .

وكان يقال : مَنْ نطاول على حارّه ، حرّم بركة داره .

وكان يقال : مَنْ أدى جاره ودرّته الله داره .

باع أبو الحكم العدويّ داره ، وكان في حوار سعيد بن العاص بمائة ألف درهم ، فلما أحضرها للشري قال له : هذا مني الدار ، فاعطني من الحوار ، قال : أي حوار ؟ قال : حوار سعيد بن العاص ، قال : وهل أشتري أحد حواراً قط ؟ فقال : رُدّ عليّ داري ، وخذ مالك ، لا أذع حوار رجل ؛ إن قدمتُ سأل عني ، وإن رآني رَحِبَ بي ، وإن غيبت عنه حِطَ بي ، وإن شهدت عدوه فرتبني ، وإن سأله فصي حاجني ، وإن لم أسأله بداني ، وإن نابشني نابذة فرتح عني . فبلغ ذلك حميداً فبعت إليه مائة ألف درهم ، وقال : هذا مني دارك ، ودارك لك .



الحسن : ليس حسنُ الحوار كقول الأديبيّ ولكن حسنُ الحوار العبري على الأدي .

حاتم امرأة إلى الحسن فشكت إليه الخلة^(١) ، وقالت : أنا حارنك ، قال : كم بيني وبينك ؟ قالت : سبع أدور ، فقطر الحسب فإذا تحت فراشه سبعة دراهم ، فأعطاهما بإياها ، وقال : كدنا نهبك .

وكان كعب بن مله إذا حاوره رجل دم له بما يصلحه ، وحماه بمن ينصده ، وإن هلك له شيء أحلفه عليه ، وإن مات وداه لأهله ، محاوره أبو ذؤاد الزبديّ ؟ فراره على العادة ، فبالع في إكرامه . وكانت العرب إذا حدثت حاراً قالت : جار كجار أبي ذؤاد ، قال فليس بن زهير ؛

أَطْرَفَ مَا أَطْرَفَ ثُمَّ آوَى إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادٍ^(١)
ثُمَّ نَزَلَ مِنْهُ أَبُو دُوَادٍ ، وَكَانَ يَفْعَلُ لِحَارَهُ فَمَلَ كَسْبَهُ .

وَقَالَ مَسْكِينُ النَّدَرِيِّ :

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجْلُودُهُ أَلَا يَكُونُ لِجَارِي سِنْرُ^(٢)
أُمِّي إِذَا مَا إِذَا جِلْدِي خَرَجْتُ حَتَّى يَوَارِي جِلْدِي الْخِلْدُ^(٣)
نَارِي وَنَارُ الْحَارِ وَاحِدَةٌ وَإِلَيْهِ قَبْلِي يُغْرَكُ الْفَيْدُ^(٤)

استمرص أبو مسلم صاحب الدولة فرسا مختصرا^(١) ، فقال لأصحابه : لماذا يصالح هذا ؟
فذكروا سباني الحليل ، وصيد الحجر والنعام ، وأنباع العار من الحرب ، فقال : لم نصنموا
شيئاً يصالح للفرار من الحار السوء .



سئل سليمان بن علي بن خالد بن سفيان عن أبيه : محمد وسليمان - وكانا جاريته - فقال :
كيف إحدائك جوارهما ؟ فتعنت بقول يزيد بن مفرغ الحميري :

سَقَى اللَّهُ دِرْأِي وَأَرْسَانَا زَكَّتْهَا إِلَ حَنْبَرٍ دَارِي مَعْقِلِ بْنِ بَسَارٍ
أَبُو مَالِكٍ حَارٌّ لَهَا وَابْنُ صَرْبَدٍ فَبَالِكَ جِلْدِي ذَلْفَرُ وَسَنَارِ !

وفي الحديث الرفوع أيضا من رواية جابر : الحبران ثلاثة : جبار له حق ، وجار
له حقان ، وجار له ثلاثة حقون ؛ فصاحب الحان الواحد حارٌّ مشرك لا رحم له ، فحقه

(١) العاصب والنسوب ١ : ١٠٠ .

(٢) الأولان في أمالي الرافعي ١ : ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) موصفه في أمالي الرافعي :

وَبَصْمُهُ عَمَّا كَانَ يَنْبَهُمَا مَمْنَى وَمَا فِي نَعِيرِهِ وَفَرْوُ

(٤) فرس مختصر ، أي شديد المنصر ؛ وهو السوء .

حقّ الجوار ، وصاحب الحَقَيْن جَارِ مسلم لا رَحِمَ لَهُ ، وصاحب الثلاثة جَارِ مسلم فو رَحِمَ ،
وأُذِنَ حقّ الجوار ألا تُؤْذَى جَارَكَ بِفَنَاءِ فِدْرِكَ ، إِلَّا أَنْ تَقْتَدِحَ لَهُ مِنْهَا .

قلت : تَقْتَدِحُ : تَنْزِفُ ، وَالْفِدْحَةُ التَّرْفَةُ .

وكان يقال : الجيران خمسة : الجار الضارّ السَّيِّءُ الجوار ، والجار الدَّيْسُ الحسن
الجوار ، والجار البرُّ يُوْعَى المافق ، والجار العَرَاثِيُّ المَلَوْنُ في أفعاله ، والجار الحَسَنُ^(١)
الذي عينه نَزَاكَ وقلبه يَرَعَاكَ .

وروى أبو هريرة ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « اللهم إني أعوذ بك
من جار السوء في دار المقامة ، فإن دار المادية تنحول » .



قوله عليه السلام : « الله الله في القرآن » أمرهما بالسارعة إلى العمل به ، ونهاهما
أن يسبها عبرها إلى ذلك ، ثم أمرهما بالصلاة والحج
وشدد الوصاة في الحج ، فقال : « فإنه إن ترك لم نناظرهما » أي بتعجيل الانقضاء
منكم .

فأما الثلثة فنهى عنها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعتل بهنَّ بن الأوس
لأنه رُوِيَ زُهَبٌ حَتَّى أَهْمَعَتْ ، ثم نهى عن ذلك ، وقال : لا مُنْظَ ، الثَّلَاةُ حَرَامٌ .

(١) المصطل : مقبوع إلى الحسد f وهو التراد .

(٤٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَلَنْ أَلْبِنِي وَأُؤَدِّرَ يُونَنَانَ الْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَيُبَيِّنَ بَيْنَ حَقِّهِ عِنْدَ مَنْ يَعْصِيهِ ،
وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا فَضَّلِي قَوَانِيهِ ، وَقَدْ رَأَى أَقْوَامٌ أَمْرًا يَمْتَرِ الْحَقُّ ، فَتَنَّاوُوا
عَلَى اللَّهِ فَأَكْذَبَهُمْ ، فَأَخَذُوا يَوْمًا يُصْطَلُّ بِمِصْرٍ مِنْ أَحْمَدَ عَافِيَةَ عَمَلِهِ ، وَيَتَدَمُّ مِنْ
أَمْكِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ رِجَالِهِ فَلَمْ يُجَازِنِي ، وَقَدْ دَعَوْنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ
مِنْ أَهْلِهِ ، وَلَسْنَا بِإِيَّاكَ أَحْسَنًا ، وَلَكِنَّا أَحْسَنُ الْقُرْآنِ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلَامُ .

مركز تحقيقات و نشر اسلامي

النبخ :

يُونَنَانَ : سَهْلِيكَان ؛ وَالْوَسْعَ : التَّحْرِيكَ ؛ الْهَلَاكَ ؛ وَقَدْ وَنَعَ يُونَنَعَ وَنَنَا ، أَيْ أَرْنَمَ
وَعَلَّكَ ، وَأَوْنَنَهُ اللَّهُ : أَهْلَكَهُ اللَّهُ ، وَأَوْنَعَ فَلَانٌ دَبَنَهُ بِالْإِنْمِ .

قوله : « فَتَنَّاوُوا عَلَى اللَّهِ » ، أَيْ حَلَفُوا مِنَ الْاَلْتِيَّةِ وَهِيَ الْيَمِينُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « مَنْ تَنَّى
عَلَى اللَّهِ أَكْذَبَهُ اللَّهُ » ، وَمَعْنَاهُ : مَنْ أَقْسَمَ تَحَرُّاً وَافْتِدَاراً : لِأَقْلَابٍ كَذِباً ، أَكْذَبَهُ اللَّهُ
وَلَمْ يَلْغُ أَهْلَهُ .

وقد روى : « نَأْوُوا عَلَى اللَّهِ » أَيْ حَرَّوُوا السَّكْمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَتَعَلَّقُوا بِشِبْهِهِ
فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ انْتِصَاداً لِمَذَاهِبِهِمْ وَأَرَادَتِهِمْ ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ أَظْهَرُ لِلْعَفَاءِ فَسَادَ نَأْوِيلَانِهِمْ .
وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

ويُتَبَط فيه : بفرح وبسرّ ، والتَّبَطَّة : السرور ، دوى « يتَبَط فيه » أى يتمنى
مثلاً حاله هذه .

قوله : « وبندم من أمكن الشيطان من فياده فلم يحاذيه » الياه التى هى حرف
المعارضة عائنة على السكاب الذى أمكن الشيطان من فياده . يقول : إذا لم يحاذب
الشيطان من فياده فإنه يندم ؛ فأما مَنْ حاذبه فيادّه فقد قام بما عليه .
ومثله قوله : « ولستأبألك أجنتا » قوله : « والله ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت
الفرآن » ومعنى « مخلوقاً » : بشراً لا محدثاً .



مرکز تحقیق کتاب و اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(٤٩)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِبْ سَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ
لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا ، وَلَهَجًا بِهَا ، وَلَنْ يَسْتَنْصِيَ سَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَمْلِكْهُ مِنْهَا ،
وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ ، وَقَضَى مَا أَمَرَمَ ، وَلَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى ، حَفِظْتَ
مَا بَقِيَ ، وَالسَّلَامُ .



مرکز اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

البسج :

هذا كما قيل في الثعلب : صاحب الدنيا كشارب ماء البحر ، كلما لؤذاد شرباً
لؤذاد عطشاً ، والأمل في هذا قول الله تعالى : « لَوْ كُنَّا لَا بِنَ آدَمَ وَلَدَانِ مِنْ دَهْرٍ
لَابْنِي لَهَا نَانَا ، وَلَا بَعْلًا عَيْنِ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ » ، وهذا من القرآن الذي وُفِعَ
ونُسخت نلأونه .

وفد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال :

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً لَمْ يَذْكُرْهَا
الرَّضِيُّ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنِ الْآخِرَةِ ، وَسَاحِبُهَا مَنُهِومٌ^(١) عَلَيْهَا ، لَمْ يُصِبْ
شَيْئًا مِنْهَا فَطَّلَ إِلَّا فَتَحَتْ عَلَيْهِ حِرْصًا ، وَأَدْخَلَتْ عَلَيْهِ مَوْنَةً^(٢) تَزِيدُهُ رَغْبَةً فِيهَا :

(١) منجأ : « مغبور فيها » . (٢) ملين : « مثونة » .

ولن يستغنى صاحبها بما نال مما لم يدرك ، ومن وراء ذلك فراق ما جمَعَ ، والسعيد مَنْ
وَعِظَ بغيره ، فلا تُخَيِّطْ أَحْرَكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ^(١) ولا تشرك معاوية في باطله ^(٢) ، فإن معاوية
لخص الناس ، وسفه الحق ^(٣) . والسلام ^(٤) .

قال نصر : وهذا أوّل كتاب كتبه على عليه السلام إلى عمرو بن العاص ، فكتب
إليه عمرو جوابه :

أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحا ، وألفه ذات بيننا ، أن تُنِيبَ إلى الحق ^(٥) ،
وأن تُجِيبَ إلى ^(٦) ما ندعوكم إليه من النورى ^(٧) ، فصبر الرجل منا نفسه على الحق ،
وعذره الناس بالمحاضرة ، والسلام ^(٨) .

قال نصر : فكتب على عليه السلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتاباً عريضاً .
وهو الذى ضرب مثله فيه بالكتابة ببيع الرجل ، وهو مذكور في " نهج البلاغة " ^(٩)
واللهم : الحرص .

ومعنى قوله عليه السلام : « لو اعتبرت بما مضى حِفْظُ ما بقى » ، أى لو اعتبرت
بما مضى من عمرك لحفظت باقية أن تمنعه في السلال وطلب الدنيا ونعيمه .

(١-١) صفين : « ولا تجارن معاوية في باطله » .

(٢) غمّس الناس : احتفرهم ؛ وسفه الحق ، أى جهله .

(٣) صفين ١٢٤ . (٤) دس إلى الحق : ترجع .

(٥-٥) معجب : « أن يحب إلى ما ندعوكم إليه من شورى » .

(٦) معجب ١٢٣ .

(٥٠)

الْأَصْلُ :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش :

من عبد الله على بن أبي طالب أمير المؤمنين رغبة إلى أصحاب السالغ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ حَقَّ عَلَى الْوَالِي أَلَّا يُبْعِثَهُ عَلَى رَمِيَّةٍ قَسَلُ مَالِهِ ، وَلَا طَلُونِ حَصَى يَدِهِ ، وَأَنْ يَرْبِدَهُ مَا فَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ رَيْمِهِ دُونَاً مِنْ حَبَابِهِ ، وَقَطْلًا عَلَى إِخْوَانِهِ .



أَلَّا وَلِيَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أُحْيِيَنَّكُمْ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ، وَلَا أَطْلُبِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ ، وَلَا أُوَحِّدَنَّكُمْ حَقًّا عَنْ بَخْلَةٍ ، وَلَا أَقْبَرَنَّكُمْ دُونَ مَقْطَعٍ ، وَأَنْ نَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِي عَلَيْكُمْ التَّمَنَّةُ وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ ، وَأَلَّا نَنكِحُوا عَنْ دَعْوَةٍ ، وَلَا نَعْرَطُوا فِي سَلَاحٍ ، وَأَنْ نَخُوضُوا التَّمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقْبِعُوا لِي عَلَى ذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إغْوَاخِ مِنْكُمْ ، نُمُّ أَعْظَمُ لَهُ الْمُتَرَبَّةُ ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُحَصَةً .

فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَاتِكُمْ ، وَأَفْعَلُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا بَصَلِحَ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ ، وَالسَّلَامُ .

الْبَيْعُ :

أصحابُ السَّالْحِ : جماعاتُ تكونُ بالثَّغرِ بِحِمَونِ البَهِيمَةِ ، والسَّلَاحِ هِيَ الثَّغَرُ ، كالرَّغْبَةِ ،
وفى الحديث : « كلُّن أدنى مسلحٍ فَرَسٌ إلى القُربِ الشَّدِيدِ » (١) ؛ قال : يجبُ على الوالى
ألاَّ يَنْطاولَ على الرِّعِيَةِ بولابته ، وما خُصَّ به عليهم من العلُّوكِ وهو النِّفْلُ ؛ وأنْ نَكُونُ
تلك الزَّيادةُ التى أعطيتُها سبباً لزيادةِ ذنوبِهِ من الرِّعِيَةِ وحنوهِ عليهم .

ثم قال : « لَكُمْ عِندى ألاَّ أَحْبِيزَ دُونَكُمْ بِسَرٍّ » ، أى لا أَسْتَرْ . قال : « إلَّا لى
حرب » ، وذلك لأنَّ الحربَ بِحَمْدِهَا على الأَسْرارِ ، والحربُ خُدْعَةٌ .

ثم قال : « ولا أُلَوِّى دُونَكُمْ أَمْرًا إلَّا لى حُكْمٍ » ، أى أظهركم على كلِّ ما نَفْسِي
بما بِحَسَنِ أَنْ أظهرَكم عليه ؛ فأَمَّا أَحْكامُ الشَّرِيعَةِ والنِّصَاءِ على أَحَدِ الْمُخْلِصِينَ فَإِنِى
لا أَعْلَمُكُمْ به قبلَ وقوعِهِ ؛ كَتَبْنَا نَصْرَ النُّصْبَةِ بأنْ بِحَمْدِ ذلك النِّصْبِ لِمُصْرَفِ
الحُكْمِ عه

ثم ذكر أَنَّهُ لا يُوَخِّرُهم حَقًّا عن مَحَلِّهِ - بِمَعْنَى السُّلْطَانِ - وَأَنَّهُ لا يَنْفِى دُونَ مَنْعِلِهِ ،
والحقُّ هَا هُنَا غَيْرُ الْمَعْنَى ، بل الحُكْمُ ، قال زُهَيْرٌ :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ بِمَنْ أَوْ بَعَارَ أَوْ حِلَاةٍ (٢)

أى منى نَتَبَّنِ الحُكْمَ حَكَمْتُ بِهِ وَضَعْتُ وَلَا أُنْفِى ، وَلَا أُنَحْسُ .

ولما اسْتَوْفَى ما شَرَطَ لهم قال : فَإِذَا أَنَا وَقَبْتُ بِمَا شَرَطْتُ عَلَى عَسَى وَجِبْتُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
الْثَّمَنَةَ وَلى عَلَيْكُمْ (٣) الطَّاعَةَ .

ثم أَخَذَ فى الْأَشْرَاطِ عَلَيْهِمُ كَمَا شَرَطَ لهم ، فقال : وَلى عَلَيْكُمْ إِلَّا نَفْكَصُوا عَنِ

(١) المَذْهَبُ ؛ بِالْإِصْبَعِ : يَطْلُقُ عَلَى مَوَاضِعَ ؛ مِنْهَا مَا بَيْنَ الْقَادِسَةِ وَالْقُبَّةِ ؛ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَادِسَةِ

أَرْبَعَةُ أَمْيَالٍ . (٢) دِيْوَانُهُ ٧٠ . الْعَارُ : الْمَانِعَةُ لِلِلِ الْمَاكَمِ ؛ أَوْ رَجُلٌ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ . الْجِلَاءُ :

أَنْ يَتَكَشَّفَ الْأَمْرُ وَيَبْطُلَ . (٣) ١ : نَحْوُكُمْ .

دعوة ، أى لا تتقاعسوا عن الجهاد إذا دعوتكم إليه ، ولا تفرطوا فى سلاح ؛ أى إذا أمكنتكم فرصة ، أو رآبهم مصلحة فى حرب المدوّ أو حماية الثغر ، فلا تفرطوا فيها فتنوت . وأن نخوضوا الفعرات إلى الحق ؛ أى تكابدوا المشاق العظيمة ؛ ولا يهولتكم خوضها إلى الحق .

ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ، ثم قال : خذوا هذا من أمرائكم ؛ ليس بمنى به أن على هؤلاء أصحاب السالخ أمراء من ينكح عليه السلام كالواسطة بينهم وبينه ، بل من أمرائكم ؛ بمنى منى وضمن يقوم فى الخلافة مفاىى مدى ، لأنه لو كان الفرض هو الأول لما كان محلهم عنده أن يقول : « ألا أحجز دونكم سرّ ولا أطلو دونكم أمرا » . لأن محلّ من كان بتلك الصفة دون هذا .



مركز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی

(٥١)

الأصل :

ومن كتب له عليه السلام إلى عماله على الخراج :

من عبد الله على أمر المؤمنين إلى أصحاب الخراج :

أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنْ مَنْ لَمْ يَخْدَرْ مَا هُوَ سَائِرُ الْبَرِّ ، لَمْ يَدْخُلْ لِنَفْسِهِ مَا يُحَرِّرُهَا .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كُتِبْتُمْ يَسِيرٌ ، وَإِنْ تَوَابَهُ كَثِيرٌ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَعَى اللَّهُ عَنْهُ مِنَ النَّفَى وَالْمُدُونِ عِقَابٌ بِمُحَافَةِ لِسَانٍ فِي تَوَابِ اخْتِيارِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَوَلَّاهُ طَلَبِهِ ، فَأَنْصِتُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَاصْبِرُوا لِحُكْمِ جُوعِهِمْ ، فَإِنَّكُمْ حُرْمَانُ الرَّعِيَّةِ ، وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ ، وَسُفَرَاءُ الْأَرَضِيَةِ ، وَلَا تُحْشِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ ، وَلَا تَحْسِبُوهُ عَنْ طَلَبَتِهِ ، وَلَا تَيْمُنُ النَّاسَ فِي الْخَرَاجِ كُنُوزَ شَتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ ، وَلَا دَابَّةً يَتَعَمَّلُونَ عَلَيْهَا ، وَلَا عَزْدًا ، وَلَا تَصْرُبُنْ أَحَدًا سَوْطًا لِسَكَابِ دِرْهَمِهِ ، وَلَا تَحْسُنْ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصْلَحًا وَلَا مُضَادًّا ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُنْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْدَى لِمُسْلِمٍ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، فَيَكُونُ شَوْكَةً عَلَيْهِمْ .

وَلَا تَدْخِرُوا أَنْفُسَكُمْ لِنَيْعَةٍ ، وَلَا الْجَنْدَ حُسْنَ سَيْرِهِ ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَمُونَةً ، وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً .

وَأَبْلَوْهُ فِي سَبِيلِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَطَاعَ عِنْدَنَا

وَعِنْدَكُمْ أَنْ تَشْكُرُوا يَجْهَدُونَ ، وَأَنْ تَسْرُرُوا بِمَا بَلَّغْتُ فُوتُنَا ، وَلَا فُرْةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْمَكِيِّ الْمَطْلُوبِ .

البَيْتُ :

يقول : لو قدرنا أن النبايح المفضية كالظلم والبنى لاعتاب على فعلها بل في تركها ثواب
فقط ؛ لم يكن الإنسان مفضوراً إذا فرط في ذلك الترك ؛ لأنه يكون قد حرم نفسه نعماً هو
قادِر على إبعاله إليها .

قوله : « وَلَا نُحْشَمُوا أَحَدًا » ؛ أي لا تقصوا طالب حاجة فتعلموه عن طلبها ،
أحشمتُ زيداً ، وجاء « حَشَمْتُهُ » ، وهو أن يجلس إليك فتتمنّيه وتؤديه . وقال
ابن الأعرابي : حَشَمْتُ : أحشمته . وأحشمته : أغضبت ، والاسم الحِشْمَةُ ، وهي
الاستحياء والنصب .

ثم نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم ككتاب أديانهم وكذا أبق
يعملون عليها ، نحو بئر الفلاحة ، وكسب لابد للإنسان منه بخدمة ، ويسعى
بين يديه .

ثم نهاهم عن ضرب الأبقار لاستيفاء الخراج

وكسب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يستأذه في عذاب النمل ، فكتب إليه :
كان في لك جنة من عذاب الله ، وكان رضاي بنحيك من سخط الله من قامت عليه بينة ،
أو أقر بما لم يكن مضطهدا مضطرا إلا الإقرار به ، فخذ ما دأته ؛ فإن كان قادرا عليه فاستأذ ،
وإن أتى فاحبس ، وإن لم يقدر نخل سبيله ؛ بعد أن تحلف بالله أنه لا يقدر على شيء ، فلأن
بلغوا الله بجنائهم أحب إلي من أن ألغوا بدمائهم .

ثم نهاهم أن يمرضوا مال أحد من المسلمين أو من المعاهدين ؛ المعاهد هاهنا : هو الذي
أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد ، إما لأداء رسالة ، أو لتجارة : ونحو
ذلك ، ثم يعود إلى بلاده .

ثم نهاهم عن الظلم وأخذ أموال الناس على طريق المصادرة والتأويل الباطل ؛ قال :
إلا أن تخافوا غائلة المعاهدين ، بأن تجدوا عندهم خيولاً أو سلاحاً ، ونظمتوا منهم وثبة على بلد
من بلاد المسلمين ، فإنه لا يجوز الإغناء من ذلك حيث شئ .

فوله : « وأبوا في سبيل الله » ، أي اسطعنوا من المروف في سبيل الله ما استوجب
عليكم ، بنال : هو يلوه مبروها ، أي يصدمه إليه ، قال زهير :

حرّى الله بالإحسان ما قلّار بكم^(١) وأبلاها خبر البلاء الذي يبلو^(٢)

قوله عليه السلام : « فد اسطعنا عندهما وعندهم أن نشكره » ، أي لأن نشكره ، بلام
التعليل وحذفها ، أي أحسن إلينا للشكره ، وحذفها أكثر نحو قوله تعالى : (لَيْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)^(٣)

(٥٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة .

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِرِ الظُّهْرِ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ وَمِثْلَ مَرِيضِ الْمَعْرِ ، وَصَلُّوا بِهِمْ
الْمَعْرِ وَالشَّمْسُ بَيَاضُ حَبَّةٍ فِي عِضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا قَرَسَخَانِ ، وَصَلُّوا
بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُغِيْبُ الْمَاءُ ، وَبَدَقَ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ
يَتَوَادَى الشَّقَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْقَدَاتِ وَالرُّجُلُ بِتَرَفٍ وَجَهَ صَاحِبِهِ ،
وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَسْمِعِيهِمْ ، وَلَا تَكُوبُوا أَفْقَابِي .

مَرْثِيَةٌ *** بِإِسْرَافٍ

البُخَارِ

[بيان اختلاف الفقهاء في أوقات الصلاة]

قد اختلف العلماء في أوقات الصلاة ، فقال أبو حنيفة : أوَّل وقت الفجر إذا طلع الفجر
الثاني ؟ وهو المعترض في الأمن ، وآخر وقتها ما لم تطلع الشمس . وأوَّل وقت الظهر إذا
زالت الشمس ، وآخر وقتها إذا صار ظل كل شيء مثليه سوى الزوال . وقال أبو يوسف
وعمره : آخر وقتها إذا صار الظل مثله .

قال أبو حنيفة : وأوَّل وقت العصر إذا خرج وقت الظهر ؟ وهذا على التوليد ،
وآخر وقتها ما لم تقرب الشمس ، وأوَّل وقت المغرب إذا غربت الشمس ، وآخر وقتها

ما لم ينب الشفق ؛ وهو البياض الذي في الأفق بعد الحجرة . وقال أبو يوسف ومحمد : هو الحجرة .

قال أبو حنيفة : وأول وقت البناء إذا غلب الشفق ، وهذا^(١) على النوايل ، وآخر وقتها ما لم يطلع الفجر .

وقال الشافعي : أول وقت الفجر إذا طلع الفجر الثاني ، ولا يزال وقتها المختار باقياً إلى أن يسفر ، ثم بين وقت الجواز إلى طلوع الشمس .

وقال أبو سعيد الإسطخري من الشافعية : لا يبق وقت الجواز ، بل يخرج وقتها بعد الإسفار ويصلى قضاء ؛ ولم يتأمله على هذا القول أحد . قال الشافعي : وأول وقت الظهر إذا زالت الشمس . وحكى أبو الطيب الطبري من الشافعية أن من الناس من قال : لا يجوز

الصلاة حتى يصير الفريضة من الزوال مثل الفريضة . وقال مالك : أحبه أن يؤخر الظهر بعد الزوال بقدر ما يصير الظل ذراعاً ؛ وهذا مطابق لما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين تقبّل الشمس كرهض العز ، أي كوسع ريمس العز ، وذلك نحو ذراع أو أكثر زيادة بصره .

قال الشافعي : وآخر وقت الظهر إذا صار ظل كل شيء مثله ، وبه تقرر النفل من حد الزيادة على الظل الذي كان عند الزوال ، وبهذا القول قال أبو يوسف ومحمد ؛ وقد حكينا من قبل ، وبه أيضاً قال الثوري وأحمد ، وهو رواية الحسن بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة ، فأما الرواية المشهورة عنه - وهي التي رواها أبو يوسف - فهو أن آخر وقت الظهر صبرود الظل مثليه ، وقد حكينا عنه فيها تقدم .

وقال ابن النذر : فردد أبو حنيفة بهذا القول ؛ وعن أبي حنيفة رواية ثالثة أنه إذا صار ظل كل شيء مثله خرج وقت الظهر ؛ ولم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه .

وقال أبو نود ومحمد بن جرير الطبري : عند أربع وكملت بين الثلث والثلثين ، يكون مشتركا بين الظهر والعصر .

وحكي عن مالك أنه قال : إذا صار ظل كل شيء مثله ، فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ، فإذا زاد على الثلث زيادة بيّنة خرج وقت الظهر واخصّ الوقت بالعصر .

وحكي ابن الصّبّاغ من الشافعية ، عن مالك ، أن وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثله وقتا مختارا ، فأما وقت الجواز والأداء فآخره إلى أن يبقى إلى غروب الشمس قدر أربع ركعات ؛ وهذا القول مطابق لمذهب الإمامية .

وقال ابن جريج وعطاء : لا يكون معرّطا بتأخيرها حتى تكون الشمس سائرة .



وعن طاوس : لا يموت حتى الليل .
فأما العصر : فإن الشافعي يقول : إذا زاد على الثلث أدنى زيادة ، عند دخل وقت العصر ؛ والخلاف في ذلك بينه وبين أبي حنيفة ؛ لأنه يقول : أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه ، وزاد عليه أدنى زيادة . وقد حكى عنه فيها تقدم .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في العصر مطابق لمذهب أبي حنيفة ، لأنّ بعد صجورة الظل مثليه ، هو الوقت الذي تكون فيه الشمس حية بيضاء في عضو من النهار ، حين يُسار فيه فرسخان ، وأما قبل ذلك فإنّه فوق ذلك يُسار من التراسخ أكثر من ذلك ، ولا يزال وقت الاحتياط عند الشافعي للعصر باقيا حتى يصير ظل كل شيء مثليه ؛ ثم يبقى وقت الجوار إلى غروب الشمس .

وقال أبو سعيد الإسطخري من أصحابه : يصير قضاء محاورة الثلثين ؛ فأما وقت المغرب فإذا غربت الشمس وغروبها سقوط الفرس .

وقال أبو الحسن علي بن حبيب النّازدي من الشافعية : لا بدّ أن يسقط الفرس وينبب

حاجب الشمس ، وهو الضياء السنطى عليها كالتصل بها ، ولم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره .

وذكر الشافعي في كتاب "حلية العلماء" : " أن الشيعة قالت : أول وقت المغرب إذا اشتبكت النجوم . قال فدحكى هذا عنهم . ولا يساوى الحكاية ، ولم تذهب الشيعة إلى هذا ، وسندكر غولهم فيها بعد .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في المغرب لا ينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار ، ووقت ما يدفع الحاج ، وكلاء الأمرين يحتاج إلى تعريف كما يحتاج وقت الصلاة ، اللهم إلا أن يكون قد عرف أمراء البلاد الذين يصلون بالناس من قبل هذا الكتاب متى هذا الوقت الذي ينظر فيه الصائم ، ثم بدع فيه الحاج بينه ، ثم يحيلهم في هذا الكتاب على ذلك التعريف المخصوص .

قال الشافعي : وللمغرب وقت واحد ، وهو قول مالك .

وحكى أبو نؤز عن الشافعي أن لها وقتين ، وآخر وقتها إذا غاب الشفق . وليس بمتصور عنه ، والمشهور القول الأول ، وقد ذكرنا قول أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو امتداد وقتها إلى أن يذهب الشفق ، وبه قال أحمد وداود .

واختلف أصحاب الشافعي في مقدار الوقت الواحد ، فمنهم من قال : هو مقدار بقدر الظهارة وستر العورة والأذان والإقامة وصل ثلاث ركعات ، ومنهم من قدره بفجر ذلك . وقال أبو إسحاق الشيرازي منهم : التصيين إنما هو في الشروع ، فأما الاستدامة فتجوز إلى مغيب الشفق .

فأما وقت العشاء ، فقال الشافعي : هو أن يذهب الشفق وهو الحرة ، وهو قول مالك وأحمد وداود وأبي يوسف ومحمد ، وقد حكينا مذهب أبي حنيفة فيما تقدم ، وهو أن يذهب الشفق الذي هو البياض ، وبه قال زفر والزهري .

قال الشافعي : وآخر وقتها الخنار إلى نصف الليل ، هذا هو قوله القديم ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال في الجديد : إلى ثلث الليل . ويجب أن يحمل قولُ أمير المؤمنين عليه السلام في المشاء أنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ، ليكون مطابقاً لهذا القول ، وبه قال مالك ، وإحدى الروايتين عن أحمد . ثم ينهب وقت الاختيار ؛ ويبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني .

وقال أبو سعيد الإسطخري : لا يبقى وقت الجواز بعد نصف الليل ، بل يصبر قضاء .

فقد ذكرنا مذهبي أبي حنيفة والشافعي في الأوقات ، وهما الإمامان المعبران في الفقه ، ودخل في ضمن حكاية مذهب الشافعي ما يقوله مالك وأحمد وغيرهما من الفقهاء .

فأما مذهب الإمامية من الشيعة ، فتحقق تذكره تلامذة عن كتاب أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المعروف بالمفيد ^{توفي بالري سنة ٤٠٠ هـ} قال : وقت الظاهر من بعد زوال الشمس إلى أن يرجع إلى سُنَى الشخص ، وعلامة الزوال رجوع إلى بعد أسباه إلى النقصان ، وطريق معرفة ذلك بالإسطرلاب أو ميزان الشمس ، وهو معروف عند كثير من الناس ، أو بالمود المنسوب في المآثر المهدبة أيضا ، ممن لم يعرف حقيقة العمل بذلك ، أو لم يجد أنه فليصب عسوداً من حشب أو غيره في أرض مستوية الشطح ، ويكون أصلُ العود غليظاً ورأسه دقيقاً شبه الذي الذي يفتح به القسك أو المسلة التي تُدَاخِلُ بها الأحمال ، فإن حالَ هذا العود يكون بلا شك في أول النهار أطول من العود ، وكلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتى ينفذ الفرمس في وسط السماء ، فيقف النور حينئذ ، فإذا زال الفرمس عن الوسط إلى جهة المغرب رَحَّح النور إلى الزيادة . فليعتبر مَنْ أراد الوقوف على وقت الزوال ذلك بخطوط وعلامات يجعلها على رأس ظل النور عند وضعه

في صدر النهار ، وكلما نقص في الظل شيء علم عليه ، فإذا رجع إلى الزيادة على موضع العلامة عرف حينئذ برجوعه أن الشمس قد زالت .

وبذلك تعرف أيضا القبلة ، فإنَّ فُرُصَ الشمس ينف فيها وسط النهار ، ويميز عن يسارها ويمين للتوجه إليها بعد وفورها ورواها عن النُطْب ، فإذا صارت مما على حاجبه الأيمن من بين عينيه علم أنها قد زالت ، وعرف أنَّ القبلة خلفه وجهه ؛ ومن سبقت معرفته بمجهة القبلة فهو يعرف زوال الشمس إذا توجه إليها ، فرأى عين الشمس مما على حاجبه الأيمن ؛ إلا أنَّ ذلك لا يبين إلا بعد زوالها بزمان ، ويثبت الزوال من أول وقته بما ذكرناه من الإسطرلاب وميزان الشمس والدائرة الهندية والعمود الذي وصفناه ، ومن لم يحصل له معرفة ذلك ، أو فقد الآلة توجه إلى القبلة باعتبار صبورة الشمس على طرف حاجبه الأيمن وقت العصر من بعد الفراغ من الظهر ،  إذا سجد الظهر في أول أوقاتها - أي بعد زوال الشمس بلا فصل - ويمتد إلى أن يتغير لون الشمس باسمرارها للغروب ، وللمصطر والناسي إلى مغربها بسقوط الفُرُص عما نبهنا أبصاراً من السماء ، وأول وقت المغرب مغرب الشمس ، وعلامة مغربها عدم الحجرة في الشرق المقابل للغرب في السماء ؛ وذلك أن المشرق في السماء مُعلِّلٌ على المغرب ، فما دامت الشمس ظاهرة فوق أرضنا فهي تلقى ضوءها على المشرق في السماء ، فبى حُرُونها فيه ، فإذا ذهبت الحجرة منه علم أن الفُرُص قد سقط وعاب. وآخره أول وقت المساء الآخرة ، وأول وقتها مغرب الشمس وهو الحجرة في المغرب ، وآخره مضي الثلث الأول من الليل ، وأول وقت النداء لعروض الثجر ، وهو البياض في المشرق يمين الحجرة في مكانه ؛ ويكون مقدمه لعروض الشمس على الأرض من السماء ؛ وذلك أن الفجر الأول ، وهو البياض الظاهر في الشرق بطلع طولاً ثم ينكس بعد مدة عرضاً ثم يحمر الأفق بعده للشمس .

ولا ينبغي للإنسان أن يصليَ فريضة الفداة حتى يعترض البياض ، وينفثر صُغاً في السماء كما ذكرنا ، وآخر وقت الفداة طلوع الشمس .
هذا ما تقوله الفهاء في موافيت الصلاة .

فأما قوله عليه السلام : « والرحل برف وجه صاحبه » ؛ فمناه الإسفار ،
وقد ذكرناه .
وقوله عليه السلام : « وصلوا بهم صلاة أصفهم » ؛ أي لا تعطيلوا بالفراة الكثيرة
والدعوات الطويلة .

ثم قال : « ولا تكونوا فتانين » ، أي لا تفتنوا الناس بإنماهم وإدخال المشقة عليهم
باطالة الصلاة وإفساد صلاة المؤمنين بما يفتنوا من أفعال محصورة ، نحو أن يحدث الإمام
فيستخلف فيصلي الناس خلف حليته ، فإن ذلك لا يجوز على أحد فولي الشامي ؛ ونحو أن
يُقبل الإمام الركوع والسجود ، فيقول يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَقْبِهْ فذكوع فرفعون أو يسبقونه بأركان
كثيرة ؛ ونحو ذلك من مسائل بذكرها الفهاء في كتبهم .

واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما بدأ بصلاة الطهر ، لأنها أولُ فريضة افترضت
على المكلفين من الصلاة على ما كان ينبغ إليه عليه السلام ؛ وإلى ذلك ذهب
الإمامية ، وينصر قولهم نسبها بالأولى ؛ ولهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان
بذكرها قبل غيرها ؛ فأما مَنْ عدا هؤلاء فأول الصلاة الفريضة عندهم الصبح ؛
وهي أول النهار .

وأبنا يتفرع على هذا البحث القول في الصلاة الوسطى ، ما هي ؟ فذهب جمهور

الناس إلى أنها المعسر ، لأنها بين صلاتي نهار و صلاتي ليل ؛ وقد رووا أيضا في ذلك روايات بعضها في الصباح ، وفياس مذهب الإمامية أنها المغرب ؛ لأن الظهر إذا كانت الأولى كانت المغرب الوسطى ؛ إلا أنهم يروون عن أئمتهم عليهم السلام أنها الظهر ، ويفسرون الوسطى بمعنى الفضلى ؛ لأن الوسط في اللغة هو خبار كل شيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ جَمَعْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ^(١) ، وقد ذهب إلى أنها المغرب قوم من الفقهاء أيضا . وقال كثير من الناس : إنها الصبح ، لأنها أيضا بين صلاتي ليل و صلاتي نهار ، ورووا أيضا فيها روايات وهو مذهب الشافعي ، ومن الناس من قال : إنها الظهر كقول الإمامية ولم يسمع عن أحد معتبرا أنها المناء إلا قولاً شاذاً ذكره بعضهم .



مرکز تحقیقات اسلامی و حقوق بشر

(٥٣)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي رحمه الله لما ولاء على مصر
وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد كتبه
وأجمه للمحاسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ قَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ الْأَشْجَرِ
فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وُلَاةٍ مِصْرَ حِجَابَةَ حَرَّاجِمَا وَوَحِيدًا عَدُوًّا ، وَاسْتِمْلَاحَ أَهْلِهَا ،
وَرِمَارَةَ بِلَادِهَا .

أَمْرُهُ يَتَقَوَّى اللَّهُ وَإِنْ تَارَ طَاعَتِهِ ، وَاتَّبَعَ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ
وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يُسَمِّدُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِتْمَاعِهَا ، وَلَا يَنْفِي إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِسْأَعِنِهَا ،
وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَدَيْهِ وَقَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ فَدَنْ نَكَمَلُ يَنْصُرُ
مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِفْرَازُ مَنْ أَمَرَهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْتَسِرَ مِنْ نَفْسِهِ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ ، وَيَبْزِعَهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ ، فَإِنَّ
النَّفْسَ أَمَارَةً بِالشَّوْءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ ، أَنَّكَ قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ فَدَحَرْتَ عَلَيْهَا دَوْلَ قَبْلِكَ مِنْ عَدْلٍ
وَجَوْرِ ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ

الْوَلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْزَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسِنِ عِبَادِهِ . فَلْيَسْكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ . فَأَمَّا هَؤُلَاءِ ، وَشِعْ رَيْنِيكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشَّعَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِي مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

التبشُّع :

نصرة الله باليد : الجهاد بالسيف ، وبالقلب للاعتقاد بالحق ، وباللسان قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تكفل الله بنصرة من نصره ، لأنه تعالى قال : ﴿ وَكَيِّنَّا لِلنَّاسِ أَلْفَاظًا مِنْ بَنِيهِمْ ﴾ (١) ، والخصومات : منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها ، ونزعها بكفها .

ثم قال له : قد كنت تسمع أخبار الولاة ، ونصيب قوماً وتمدح قوماً ، ويقول الناس في إيمانك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء ، فاحذر أن تعاب وتذم كما كنت تعيب وتذم من يستحق الذم .

ثم قال : إنما يستدل على الصالحين بما يكثر صناعه من ألسنة الناس بمدحهم والثناء عليهم ، وكذلك يستدل على الفاسقين بثقل ذلك .

وكن يقال : السنة الرعية أفلام الحق سبحانه إلى الملوك .

ثم أمره أن يشع بنفسه ، وفسر له الشع ما هو ؟ فقال : أن تنصف منها فبا أحببت

وكرهت ، أى لا نمسكها من الاسر سال فى الشهوات ، وكن أمبراً عليها ، ومسيطرأ وقاماً لها من التهور والاهماك .

فإن قلت : هذا معنى قوله : « فبا أحتن » ، فامعنى قوله : « وكرهت » ؟

قلت : لأنها تكره الصلاة والصوم وغيرها من العبادات الشرعية ومن الواجبات العقلية ، وكما يجب أن يكون الإنسان مهيماً عليها فى طرف العمل يجب أن يكون مهيمناً عليها فى طرف الترك .

الأفضل :

وَأَسْمِعْ أَتَابِكَ الرَّحْمَةَ الرَّحِيمَةِ ، وَالْمُحَنَّةِ لَهُمْ ، وَاللَّفْظَ بِهِمْ ؛ وَلَا تَسْكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا سَارِبًا تَمْتَنِمُ أَكْثَمَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْكَ إِنْ شَاءَ لَكَ فِي الدُّنْيَا ؛ وَإِنَّمَا تَطِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، بَغْضًا مِنْهُمْ الرُّقْلُ ، وَنَدْرًا لَهُمُ الْبِلَالُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَلِ وَالْخَطَا ، فَأَعْطُوهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَسَفْحِكَ ، مِثْلَ الَّذِي نُحِبُّ وَنَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَسَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِ الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ قَوْفَى مَنْ وَلَاكَ ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ .
وَلَا تُنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِجَرَبِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَى لَكَ يَرْفَعُهُ ، وَلَا غِنَى يَكُ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوِهِ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِمُتُوبِهِ ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِيَةِ وَجَدَتْ عَنْهَا مَدْوَحَةً .

وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَاطْعٌ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْعَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَسَمَكَةٌ لِلدُّنْيَا ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ .

وَإِذَا أَخَذْتَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبَةً أَوْ خِيَلَةً ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ
مُلْكِ اللَّهِ قُوَّتِكَ ، وَتَذَرِّعْ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ
يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ ، وَيَفِي إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ
عَنكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِنَّاكَ وَمُسَامَاةُ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَالنَّشَبَةُ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ
جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّئُ كُلَّ مُخْتَلٍ !

البشر :

أشهر فلبك الرحمة ، أى اجعلها كالمسحاة ، وهو التوب اللامنى للجسد ؛ قال :
لأن الرعية ؛ إنما أحوك فى الدين ، أو إنسان منك تقتضى رقة الحسنة وطبع الشربة
الرحمة له .

قوله : « وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ » ، مثل قولك : « وَيُؤْخَذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ » ؛ أى
يهذبون ويقتفون ، يقال : خذ على يد هذا الشيء ، وفد حجب الحاكم على فلان ،
وأخذ على يده .

ثم قال : فَلَسَبْتُهُمْ إِلَيْكَ كَسْبِكَ إِلَى اللَّهِ لَمَالِي ، وكما نحب أن يصنع الله عنك
يلبى أن تصنع أنت عنهم .

قوله : « لَا تَنْصِبَنَّ عَنَّا كَرْبَ لَحْظِ اللَّهِ » ؛ أى لا تبارز بالمعاصى . فإنه لا يدى لك
بنفسه ؛ اللام مخصصة ، والمراد الإضافة ، ونحو قولهم : لا أباك .

قوله : « وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ » ؛ أى لا تقل : إني أمير ووالٍ آمرُ بالشيء فاطاع .

والإدغال : الإفساد ، ومنهكة للدين : ضف وسف .

ثم أمره عند حدوث الآية والمظلة عنده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده ، وإماتته وإحيائه ؛ فإن ذكر ذلك بطاين من علواته ، أى يفض من تعظمه ونكبره ، وبطألى منه .

والترتب : حد السيف ، وسنار للسطوة والسرعة فى البطش والفتك .

قوله : « ويُرى » : أى يرجع إليك بما يمد عنك من نفسك ، وحرف المعارضة معصوم لأنه من « آناه » .

وساماه الله تعالى : مباراته فى السموات وهو المولى .



مرآة حق سبحانه وتعالى

الافضل :

أَنْصِبَ اللهُ وَأَنْصِبِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمِنْ خَاسَةِ أَهْلِكَ ، وَمَنْ لَكَ هَوًى فِيهِ مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا نَفَعَلْ نَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ حَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمِنْ خَاسَتِهِ اللهُ أَدْخَصَ حَبْنَهُ ، وَكَانَ اللهُ حَرْبًا حَتَّى يَهْرَعَ أَوْ يَتَوَبَّ .

وَلَيْسَ مَنْ ، أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ رِيعَةِ اللهِ وَتَمْجِيلِ نَفْعَتِهِ مِنْ إِفْلَامِهِ عَلَى ظُلْمِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الظَّالِمِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْإِسْرَادِ .

وَلَيْسَ مَنْ أَحَبَّ الْأُمُورَ إِلَيْكَ أَوْ سَطَهَا فِي الْعَقِّ ، وَأَحْمَسَهَا فِي الْمَدَالِ ، وَأَجْصَمَهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَّةِ يُجْحِبُ رِضَا الْخَاسَةِ ، وَإِنْ سَخَطَ الْخَاسَةِ بُغِضَ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرِّمِيِّ أَهْلٌ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةٌ فِي الرَّخَاءِ ، وَأَهْلٌ مَثُونَةٌ لَهُ فِي
الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَمُ لِلْإِنْسَانِ ، وَأَسْأَلُ بِالْإِنْحَافِ ، وَأَهْلٌ شُكْرًا عِنْدَ الْإِنْعَاءِ ، وَأَبْطَأُ
عُدْرًا عِنْدَ النُّعْرِ ، وَأَسْتَفْ سَبْرًا عِنْدَ مِيلَاتِ الدَّهْرِ ، مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ، وَإِنَّمَا عَمُودُ
الدُّبْنِ ، وَرِجَالُ السُّلَيْمِ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَةِ مِنَ الْأُمَمِ ، فَلْيَكُنْ سِنُوكَ
لَهُمْ ، وَمَيْلَكَ مَعَهُمْ .

البُزْج

قال له : أضعف الله ، أى قُوم له مما فَرَضَ عليك من العبادة والواجبات
المنفية والسلبية .



ثم قال : وأضعف الناس من عَمَلِكَ وَمِنْ دَوْلِكَ وَخَاصَّةً أَهْلِكَ وَمَنْ تَجِبُهُ وَتَمِيلُ إِلَيْهِ
من دَعْبَتِكَ ، فَمَنْ لَمْ تَعْمَلْ ذَلِكَ كَفَتْ ظَالِمًا .

ثم نهاه عن الظلم ، وأكد الرضا به عليه في ذلك .

ثم عرفه أن قانون الإمارة والاجتهاد في رضا العامة ، فإنه لا مبالاة تُسَخِّطُ خَاصَّةَ
الأمير مع رضا العامة ، فأما إذا سَخِطَتِ العامة لم ينفعه رضا الخاصة ، وذلك مثل أن يكون
في البلد عشرة أو عشرون من أغنيائه ، وذوي الثروة من أهله ، يلازمون الوالي ويخدمونه
وبسامرونه ، وقد صار كالصديق لهم ، فإن هؤلاء ومن ضارعتهم من حواشي الوالي وأرباب
الشفاعات والقرابات عنده لا يُفْتُونُ عنه شيئاً عند تنكُّرِ العامة له ، وكذلك لا يضرُّ سَخِطُ
هؤلاء إذا رضيت العامة ، وذلك لأن هؤلاء عنهم غنى ، ولهم بدل ، والعامة لا غنى عنهم
ولا بدل منهم ، ولأنهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب ، فلا يقاومه أحد ،
وليس الخاصة كذلك .

ثم قال عليه السلام - ونعم ما قال : ليس شيء أذلّ لنا ، ولا أكثر ضرراً على التوالم من خواصه أهام الولاية ، لأنهم يثقلون عليه بالمحاسن ، والمساائل والشغاعات ، فإذا غرل هجره ورفضوه حتى لو لنوه في الطريق لم يسلموا عليه .
والصمو^(١) بالسكسر والفتح والصما مفسود : اللؤلؤ .

الاستئصال :

وَلَبِئْسَ أَهْمَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ، وَأَشْأَمُ عِنْدَكَ ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِيرِ النَّاسِ ،
فَلَيْنَ فِي النَّاسِ حُبُّوًّا أَوْ أَلَى أَحَدٍ مِنْ سِرِّهَا ، فَلَا سَكُفَيْنَ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا ،
فَلَا تَغَا عَلَيْكَ نَظَاهِرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ بِحُكْمِ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ ، فَاسْتُرِ التُّورَةَ
مَا اسْتَظَمَتْ ؛ بَسْطَرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحِبُّ سَعَرَةً مِنْ رَعِيَّتِكَ .

أَطْلَبُ عَنْ النَّاسِ عُنْدَهُ كُلُّ حِفْظٍ ، وَأَنْطَعُ عَنْكَ سَبَبُ كُلِّ وَفَرٍ ، وَكَتَابَ
عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ ، وَلَا تَعْبَلَنَّ إِلَى تَسْدِيدِ سَاعٍ ، فَلَيْنَ السَّاعِي عَاشٍ
وَلَيْنَ نَذْبَةٍ بِالنَّاسِ حِينَ .

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَهْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ ، وَيَمْدِدُ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا
يُسَمِّفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ التُّخْلُ وَالْجُهْنَ
وَالْأَجْرَ صَفَاتُ شَرِّ بَجْمَعِهَا سُوهُ الظَّنِّ بِاللَّهِ .

الْبَرْخُ :

أَشْتَأَمُ عِنْدَكَ ، أَهْفَضَهُمُ إِلَيْكَ :

وَتَنَابَ : تَنَاقَلَ ، يَفَال : تَنَابَى فَلَانٌ عَنْ كَذَا .

وَبَضِيع : يَظْهَرُ ، وَالْمَاضِي وَضَحَ .

[فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس وما ورد في ذلك من الآثار]

عاب رجلٌ رجلاً وجلا عند بعض الأشراف فقال له : لقد أَسْدَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عِيوبِكَ بِمَا

تُكْثِرُ فِيهِ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ إِذَا بَطَلَهَا يَفْتَدِرُ مَا فِيهَا .



وقال الشاعر :

وَأَجْرًا مِنْ رَأَيْتَ بَطْلَهُ تَجِبَرُ كَيْفَ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ أَوَّلُو الْعُيُوبِ

وقال آخر :

يَا مَنْ يَعْيبُ وَعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ كَمْ فِيكَ مِنْ عَيْبٍ وَأَنْتَ نَسِيبُ !

وفي الخبر المرفوع : « دَعُوا النَّاسَ لِمَعْلَلَتِهِمْ بَعْضُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ » .

وقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كُتِبَ أَسَابِرُ أَبِي وَجُلٍّ مَعْنَى بِنَعٍ فِي رَجُلٍ ، فَأَلْفَتِ

أَبِي إِلَى فَنَسَالَ : يَا بُنَيَّ ؛ نَزَمَ مَعَكَ عَنْ أَسْمَاعِ الْحَدَا كَأَنَّهُ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ

الْمُسْتَمَعَ شَرِيكَ النَّاطِلِ ، إِذَا نَظَرَ إِلَى أَخْبَثَ مَا وَعَاةَ فَافْرَقَهُ فِي وَعَاةِكَ ، وَلَوْ رَدَّتْ كَلِمَةٌ

جَاهِلٌ فِي قَبْهِ لَعَدَا دَاوَعَهَا كَأَنَّ شِقَاقًا قَاتِلُهَا .

وقال ابن عسلى ، أَخْبَدَتِ حَدَنَانٌ : حَدَنَتْ مِنْ فَيْكَ ، وَحَدَنَتْ


مِنْ فَرَجِكَ .

وماب رجلٌ رجلاً عند قتيبة بن مسلم ؛ فقال له قتيبة : أَمْسِكْ وَيْحَكَ ! فقد تَمَسَّكَتَ
بُغْضَةٍ طالما لَفِظَها الكرام .

ومر رجلٌ بجازين له ومنه ردية ، فقال أحدهما لصاحبه : أُنْهَيْتَ مامعه من الرزية ؟
قال : وما مامعه ؟ قال : كذا ، قال : عبيد حرٍّ لوجه الله شكراً له تعالى إذ لم يبرقني من
النسر ما عرفتك .

وقال العنبر بن عياض : إنَّ الفاحشة لَتَنْشِعُ في كثير من المسلمين حتَّى إذا سارت
إلى الصالحين كانوا لها خُرَّاناً .

وفيل لبرِّدٍ جهمر : هل من أحد لا عيبَ فيه ؟ فقال : الذي لا عيبَ فيه لا يموت .
وقال الشاعر :

ولستُ بذي نِزَبٍ في الرِّجَالِ  لَمَتَّاعٌ خَيْرٌ وَسَّائِبُهَا ^(١)
ولا مَنْ إذا كانَ في حَافِئِ ^(٢) الشَّجَرَةِ وَأَغْطَايِهَا
ولكن أطاوعُ سَكاكِهَا ^(٣) وَلَا أَعْلَمُ أَلْفَايِهَا
وقال آخر :

لا نَلْتَمِسُ من مساوِي الناسِ ما سَرَّوْا بَكَشَفَ اللهُ سِرّاً من مساوِيكنا
وأذكر محاسنَ ما فيهم إذا دُكِّروا ولا نَمِ أَحَداً منهم بما فُكِّرا
وقال آخر :

أبدأ بنفسك فأنتها عن عيِّها فإذا انتهت عنه ، فأنت حَكِيمُ ^(١)
فهنالك نُعْذِرُ إنْ وعظتْ وبقتدى بالقول منك ، وبُيَسِّلُ التَّعْلِيمُ ^(٢)

(١) النيب : الصر وحمل العداوة .

(٢) لأبي الأسود الدؤلي ؛ خزائن الأدب ٣ : ٦١٧ ؛ والفروبة هناك : « عن غيا » .

فأما قوله عليه السلام : « أطلق عن الناس عنقه كل حقد » ، فقد استوفى هذا المعنى ذبذبة في خطبته البزاء فقال : وقد كانت بيني وبين أقولم إخن^(١) ، وقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي ، فمن كان منكم معنا فليردد إحسانا ، ومن كان منكم ميثا فليزح عن إساءته ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السلال^(٢) من بغضي لم أكشف عنه قناعا ، ولم أهيك له سيرا ، حتى يدي لي صفحته ، فإذا فعل لم أناطره ، ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما في صدره ، ولا يكون لسانه شفرة تحرى على ودرجه .

• • •

[فصل في النهي عن سماع السعاية وما ورد في ذلك من الآثار]

فأما قوله عليه السلام : « ولا تمجلني إلى تصدين ساع » ، فقد ورد في هذا المعنى كلام حسن ، قال ذو الراسيتين : قبول السعاية خير من السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء كمن قبله وإجازة ، فامنت الساعي على سعادته ، فإنه لو كل صادقا كان ثوبا ؛ إذ هنك العورة ، وأضاع الحرمه .

وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف على أمره بلمه عنه فأنكره ، فقال مصعب : أخبرني به الثقة ، قال : كلاً أبا الأمير ، إن الثقة لا يملغ .

وكان يقال : لو لم يكن من عيب الساعي إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس ، لكان كافيا .

كانت الأكسرة لا تأذن لأحد أن يعيخ السكاج^(٣) ، وكان ذلك مما يختص به الملك ، فرفع ساع إلى أتوشروان : إن فلانا دمانا ونحن جماعة إلى طعام له وفيه

(١) الإخن : جمع إخنه ، وهي العداوة . (٢) السلال والنيل يعني .

(٣) السكاج : مرق يصل من اللحم والخل ؛ مغرب .

سِكْبَاج ، فَوَلَّعَ أَنْوَشِرُوَانُ عَلَى رَفْعِهِ : فَسَدَ حَمْدُنَا نَصَبَ حَنَكُكَ ، وَدَمَمْنَا صَدَبَقَكَ عَلَى سَوءِ الْخِيَارِهِ لِلْإِخْوَانِ .

جاء رجلٌ إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة عبد الملك على دمشق ، فقال : أيتها الأمير ، إنَّ عندي نصيحة ، قال : أذكرها ، قال : جاز لي رجوع من بمنه سرًّا ، فقال : أما أنت فقد أخبرتنا أنك جاز سَوءً ، فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت كاذبًا عافيناك ، وإن كنت صادقًا مقتاتك ، وإن تركتنا تركناك ، قال : بل أتركك أيتها الأمير . قال : فانصرف .

ومثلُ هذا يُحكى عن عبد الملك أنَّ إنسانًا سأله الخُلوة ، فقال لحسامته : إذا شئتم ! فانصرفوا ، فلما نهيتُ الرجل للكلام قال له : اسمع ما أقول ، إني إنَّك أن تعدَّني فأنا أعرفُ بلسي منك ، أو تكذبني فإنه لا شيء لي ككذوب ، أو نسي بأحد إلى فإني لا أحب السعابة ! قال : أفياضُ أمير المؤمنين بالانصراف ! قال : إذا شئت .

وقال بعض الضراء :
مَرَّ بِنَدِيمِي وَنَدِيمِي مَرَّ بِنَدِيمِي

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ اللَّبْلَعُ
وقال آخر :

حُرِّمْتُ مُنَافِيَّكَ إِنْ كَلَّ ذَا الْفَنَى ^(١) أَنَاكَ بِهِ الْوَأَشُوْنَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
وَلَكِنِّهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ شَرِيعَةً إِلَى نَوَاصِرَا بِالْتَبَعَةِ وَاحْتَالُوا ^(٢)
فَقَدْ رِصَرَتْ أَذُنَا لِلْوَسَاةِ مَجْبُوعَةً يَنَافُونَ مِنْ عِرْضِي وَلَوْ شِئْتَ مَا نَالُوا

وقال عبد الملك بن صالح الجعفر بن يحيى وقد خرج يودِّعه لما شخص إلى خراسان :
أيتها الأمير ، أحبُّ أن نككون لي كما قال الشاعر :

(١) في د ه ه إن يكن لدى . وهو مستقيم الوزن وللمعنى أبع .

(٢) الصريمة : مورد القارية .

فكوني على الواشين لَداءً شَفَّةً كما أنا للواشي أَلَدٌ شَفُوبٌ ^(١)
قال : بل أكون كما قال الغائل :

وإذا الواشي وَشَى يوماً بها جمع الواشي بما جاء به بَضْرُ
وقال العباس بن الأُخْبَر :

ما حَطَّكَ الواشُونَ من رُشِي عندي ولا حَرَك مُتَّابٍ
كَأَنَّهُمْ أَتَوْا ولم يَمْلُوا عليك سدى بلدى عابوا

قوله عليه السلام : « ولا تُدْخِلْنِي مشورتك بحيلة يسد لك عن العمل ، وبمدك الفقر » ، مأخوذ من قول الله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ بِمِدْكُمُ الْفِرَ وَبَأْمُرِكُمْ مَأْمَعَشَاءُ وَاللَّهُ بِمِدْكُمُ مَغْفِرٌ مِنْهُ وَقَضَاءُ ﴾ ^(٢) ؛ قال المفسرون : الفحشاء ها هنا البُخل ؛ ومعنى « بمدك » التمر ، بحبل إلبكم ألبكم إن صحتكم أو ألبكم افتقرتم فبحوتكم فتخافون فتسجلون .
قوله عليه السلام : « فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْجَنِّ وَالْحَرِيسَ شَرُّهُنَّ بِجَمْعِهَا سَوْءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ » ، كلامٌ شريف عالٍ على كلام الحكماء ، يقول : إن بينها فُتْراً مشرقاً كما وإن كانت عرائر وطائِع غتافه ، وذلك الذنر الشريك هو سوء الظن بالله ، لأنَّ الحبان يقول في نفسه : إن أفتنت فُتِلْتُ ، والبخيل يقول : إن صحتُ وأفتنتُ افتقرتُ ، والحريص يقول : إن لم أجد وأجنهد وأداب طائى ما أروم ؛ وكل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله ، ولو أحسن الظن الإنسان بالله وكان يقينه ساداً لعم أن الأجل مفدّر ، وأن الرزق مفدّر ، وأن الننى والهمر مفدّرون ، وأنه لا يكون من ذلك إلا ما قضى الله تعالى كونه .

الأصل :

شَرُّ وَزَرَاتِكَ مَنْ كَانَ فَسَلَكَ لِأَثَرَارِ وَزِيرًا ، وَمَنْ شَرَّكَهُمْ فِي الْأَقَامِ ،
فَلَا يَكُونُ لَكَ بِطَانَةٌ ، فَإِنَّهُمْ أَهْوَالُ الْأَتَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ ؛ وَأَنْتَ وَاجِدٌ
مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ يَمُنُّ لَهُ مِثْلُ آدَائِهِمْ ، وَنَفَائِهِمْ ، وَلَبْسُ عَلَيْهِ مِثْلُ آسَارِهِمْ
وَأَوْرَاقِهِمْ ، وَأَنَامِهِمْ ، يَمُنُّ لَمْ يَمُودْ طَالِمَا عَلَى عِلْمِهِ وَلَا آغَا عَلَى إِيْمِهِ ؛ أُولَئِكَ
أَخَفُ عَلَيْكَ مَوَدَّةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَوَدَّةً ، وَأَخْسَى عَلَيْكَ عَطَاً ، وَأَقْلَى لِنَجْرِكَ الْفَنَاءُ .
فَانْخِذْ أُولَئِكَ حَاسَةً لِيَخْلَوَانِكَ وَحَقْلَانِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آفَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ
يَعْمُرُ الْحَقُّ لَكَ ، وَأَقْلُسُهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا يَمُكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَأَقِيمَا
ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَفَع .



مَرْآتِي كَتَبْتُ بِهَذَا الْمَوْجِزِ

الشرح :

نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَّا يَنْخِذَ بِطَانَةً فَدَكَتُوا مِنْ قَبْلِ صِطَانَةٍ لِلطُّلَمَةِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الظُّلْمَ
وَتَحْسِنَهُ فَدَكَتُ مَلَكَ ثَابِتَةً فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَعِيدَ أَنْ يَمُكِّنَهُمُ الْخَلْفَ مِنْهَا إِذَا دَخَلَتْ
كَالْعَلْفُ الْغَرِيزَى اللَّازِمَ لِنُكْرُلُوحَا وَصَبْرُورِنَهَا عَادَةً ، فَدَكَتُ النُّصُوحَ فِي الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ بِتَحْرِيمِ مَعَاوَةِ الطُّلَمَةِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ ، وَتَحْرِيمِ الْأَسْعَانَةِ بِهِمْ ، فَإِنْ مِنْ اسْتِمْنَانِ بِهِمْ
كَأَلْمِئَاتٍ لَمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنْتُ مُنْخِذَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُدًا ﴾ ^(١) ، وَقَالَ : ﴿ لَا نَخِذْ
فَوْمًا يَوْمُنُونَ بِالْقُرْآنِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(٢) .
وَجَاءَ فِي الظُّهْرِ الْمَرْفُوعِ : « بُنَادَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ مِنْ بَرَى ^(٣) لَهُمْ - أَيُّ الْفَاطِنِينَ - قَلَمًا .

(١) سورة السكهة ٥١ . (٢) سورة المائدة ٢٢ .

(٣) ب : « برى » ، نحرى ، صوابه في ١ ، ٥ .

أُتِيَ الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول في الحجاج ؟ قال : وما عَسَيْتَ أَنْ أقول فيه ! هل هو إِلَّا خطيئة من خطاياك ، وشرٌّ من نارِكَ ؟ فلمنك الله ولعن الحجاج معك ! وأقبل بشنئهما ، قالت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال : ما نقول في هذا ؟ قال : ما أقول فيه ! هذا رجل بشينكم ، فلماذا أن تشتموه كما شتمكم ، وإنما أن نطفوا عنه . فنضب الوليد وقال لعمري : ما أظنك إِلَّا خرجيا ! فقال عمر : وما أظنك إِلَّا مجنونا ! وقام فخرج مضطربا ، ولحقه خالد بن الزمان صاحب شرطة الوليد ، فقال له ما دعاك إلى ما كُلمتَ به أمير المؤمنين ! لقد ضرت يدي إلى قائم سني أنظر متى يأمرني بصرب عتقك ؟ قال : أو كنت قاعلا لو أمرتك ؟ قال : نعم . فلما استخلف عمرُ جاء خالد بن الزمان فوقف على رأسه مستلقا سبته ، فنظر إليه وقال : يا خالد ، منعُ صبيك فإنك مطعون في كلِّ أمرٍ تأمرُك به . وكلَّ ابن يده كاتب للوليد ، فقال له : سمعَ أمتُ فلك ، فإنك كنتَ نصرته به ونعم ، اللهم إني قد وضعتُهما فلا ترفعُهما ، قال : فوالله ما زالوا وصيحين مهيين حتى ماتا .

وروى النزالي في كتاب " إحياء علوم الدين " ، قال لما خالط الزمهرى السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الدين ، فقد أصبحت بحال بني لمن عرفك أن يدعو الله لك وبرحك ، فقد أصبحت شيخا كبيرا ، وقد انتقلتُ نعم الله عليك بما قومك من كتابه ، وعلمك من مئة نبيه ، وليس كذلك أخذ الله المبائى على العلماء ، فإنه نعالى قال : ﴿ لَتَنِيَّتُهُ لِنَاسٍ وَلَا تَكْفُرُونَهُ ﴾ ^(١) . واعلم أن أيسر ما لزنكبت ، وأخف ما احتملت ، أنك آكست وحشة الظالم ، ومهلت سبيل النور بدنوئك إلى مَنْ لم يؤدِّ حقًا ، ولم يترك باطلا حين أدناك ، اغضوك أبا بكر قطبا ندور

عليه رَحْمَةً عَلَيْهِمْ ، وَجَسُرًا يَجْرُونَ عَلَيْهِ إِلَى بَلَاءِهِمْ وَمَسَابِغِهِمْ ، وَسَلَامًا يُصَلُّونَ فِيهِ إِلَى
مَنَافِلِهِمْ ، يُدْخِلُونَ بِكَ الْقَلْبَ عَلَى الْمَلَاءِ ، وَيَتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَلَاءِ ، فَمَا أَهْسَرَ مَا تَحْمَرُّو
لَكَ فِي جَنِّبِ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا أَخَذُوا مِنْكَ فِي جَنِّبِ مَا أَفْسَدُوا مِنْ حَالِكَ
وَدَهْنِكَ ! وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَسْكُونَ عَمَّنْ قَالَ اللَّهُ نَعَالِي فِيهِمْ ﴿ خَلَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا
الْمَلَاءَ وَانْبَعَا الشُّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴾^(١) يَا أَبَا بَكْرَ ، إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ ،
وَيَحْفَظُ عَلَيْكَ مَنْ لَا يَنْفُلُ ، فِدَاؤِ دَبَّكَ فَنَدَ دَخَلَهُ سَتَمٌ ، وَهَتَى زَاوَكُ
فَنَدَ حَضَرَ سَفَرُ بَعِيدٍ ؛ ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٢) ،
وَالسَّلَامُ .



الأفضل

وَالْمَنْقُ بِالْأَهْلِ الْوَرَعِ وَالْمَدْقُ نَحْمٌ رَحْمَتُهُمْ عَلَى الْآلِ بَطْرُوكَ وَلَا يَجْعَلُوكَ سَائِلٍ
لَمْ نَعْمَلْهُ ، فَإِنْ كَثُرَ الْإِطْرَاءُ نُحَدِّثُ الْإِسْمَ ، وَتَدْرِي مِنَ الْمَرْبِ .
وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيْدًا لِأَهْلِ
الْإِحْسَانِ وَالْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيْبًا لِأَهْلِ الْإِسْمَاءِ عَلَى الْإِسْمَاءِ ، وَأَلْزِمَ كُلًّا مِنْهُمَا مَا أَلْزَمَ
نَفْسَهُ .

(٢) سورة إبراهيم ٣٨ .

(١) سورة مريم ١٢٠ .

البُزْج :

قوله : « والصَّ بَأهلِ التَّورع » ، كلمةٌ فصِيحةٌ ، يقول : اجعلهم خاضعين وخُلماءك .

قال : نَمَ رُضْنهم على أَلَا بَطْرُوكَ ، أى عودهم أَلَا يمدحوك فى وِجْهك . ولا يَجْجُوكَ بياطل : لا يجلوكَ عن يَجْجَ أى يفتخر بياطل لم يفعله كما يَجْجُ أصحابُ الأُمراءِ الأُمراءِ بأن يقولوا لهم : ما رأينا أعدلَ منكم ولا أَمَحَّ ، ولا تَحَى هذا التمرَّ أميرَ أشدَّ بأساً منكم ونحو ذلك ، وقد جاء فى الخبر : « اخشَوْا فى وِجْه الوُدَّاحينِ انْزَاب » .

وقال عبد الملك بن قاسم بسارته  ما تريد أن تمدحني وتصفيني ، أنا أعلم نصي منك .

وقام خالد بن عبد الله الفسري إلى عمر بن عبد العزيز يوم بُيِّعَ فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ كانتِ الخلافةُ زائِلَةً ففد ربَّكها ، وَمَنْ كانتِ شُرْفَتُهُ ففد شُرْفَتَهَا ، فَإِنَّكَ لَكَا قال القائل :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنٌ وَخُومٌ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَبَانًا

فقال عمر بن عبد العزيز : لقد أعطى صاحبكم هذا مقولاً ، وخُرمَ مقولاً . وأمره أن يجلس .

ولما قعد معاوية التَّيْمَةَ لأبْنِهِ يزيد قام الناسُ يخطبون ، فقال معاوية لعمر بن سعيد الأشدقي : لم فأخطب يا أبا أمية ، فقام فقال : أما بعد ، فإن يزيدَ ابنَ أمير المؤمنين أَمَلٌ تَأْمُونُهُ ، وَأَجَلٌ تَأْمُونُهُ ، إِنْ أَفْتَرْتُمْ إِلَى جَلِيلِهِ وَسَمِعْتُمْ ، وَإِنْ احْتَجَجْتُمْ إِلَى رَأْيِهِ أَرَشِدْكُمْ ، وَإِنْ اجْتَدَيْتُمْ ذَاتَ يَدِهِ أَعَانَكُمْ وَكَمِيلَكُمْ ؛ حِذِّعْ قَارِحَ ؛ سُورِي قَسْبِي ، وَمُوجِدَ قُمُجِدَ ،

وفورع قمرع ، وهو خلف أمير المؤمنين ، ولا خلف منه . فقال مائة : أوسعت بأبا أمية مجلس ، فإنما أردنا بعض هذا .

وأثنى رجل على علي عليه السلام في وجهه ثاء أوسع فيه . وكان عنده منهما . فقال له : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك .

وقال ابن عباس لمؤتبه بن أبي سفيان وفد أثنى عليه فأكثر : رويدا ففد أمهيت بأبا الوليد - يعني بالنس ، فقال أمهي حافر البئر ، إذا استقصى حفرها .

فأما قوله عليه السلام : « ولا يكون الحسن والسيء عدك بقرعة سواء » ، فقد أخذته الصابي فقال : « وإذا لم يكن للمحسن ما يرفعه ، وللسي ما يضره ، رهد الحسن في الإحسان ، واستمر السيء على العطفان » ، وقال أبو الطيب :

شر البلاد بلاد لا سديق بها - ومنزما بكسب الإنسان ما بهم^(١)
وشر ما فيه شره راحتي نفسي^(٢) شهيم البراة سواء فيه والرحم^(٣)
وكان يقال : قضاء حق الحسن أدب لسيء ، وغنوة السيء جزاء للمحسن .

الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ نَبَسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنٍ عَنْ ذَالِي رِعَايَتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ، وَتَحْمِيلِهِ الشُّوْكَانَ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكِ اسْتِحْكَامَهُ إِلَيْهِمْ عَلَى مَا لَبَسَ لَهُ رِبَابُهُمْ . فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعَايَتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَعْبًا طَوِيلًا ، وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ حُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ سَاءِ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ .

وَلَا تَنْفُضْ سُنَّةَ سَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا مُدُورٌ هَذِهِ الْأَمْرَ ، وَأَجْمَعْتَ بِهَا الْأَلْفَةَ ،
وَسَلَحْتَ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةَ .

وَلَا تُحْدِثْ سُنَّةَ نَاصِرٍ يَتَّبِعُ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَةِ ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَهَا ،
وَالْفُزْدُ عَلَيْكَ بِمَا قَعَنْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثِرْ مَدَارَسَةَ أَلْفَمَاءَ ، وَمُتَابَعَةَ أَلْحُكَمَاءَ ، فِي تَثْبِيتِ مَسَالِحَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ
يَلَدِكَ ؛ وَإِفَاتِمَةً مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَلْبَكَ .



البُخْرُجُ :

حلاصة صدر هذا الفصل ، إِنْ مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ
أَسَوَّحَسْ مِنْكَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى إِنْسَانٍ وَتَكَرَّرَ مِنْكَ ذَلِكَ الْإِحْسَانُ نَسَحَ
ذَلِكَ أَعْتِقَادُكَ أَنَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ ، ثُمَّ يَتَّبِعُ ذَلِكَ الْأَعْتِقَادَ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّكَ تُحِبُّهُ ؛ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَى أَنْ يَحِبَّ مَنْ يَحِبُّهُ ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ سَكَتَ إِلَيْهِ وَحَسُنَ ظَنُّكَ فِيهِ ،
وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ رِيدَ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَسَاءْتَ إِلَيْهِ وَتَكَرَّرَتْ الْإِسَاءَةُ نَسَحَ
ذَلِكَ أَعْتِقَادُكَ أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَكَ ، ثُمَّ يَتَّبِعُ ذَلِكَ الْأَعْتِقَادَ أَمْرٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنْ تُبْغِضَهُ أَنْتَ ،
وَإِذَا أَبْغَضْتَهُ انْتَبَهَتْ مِنْهُ وَأَسْوَحَشَتْ ، وَسَاءَ ظَنُّكَ بِهِ .

قال المنصور للرابع : سَأَلْنِي لِمَ سَكَتَ ؟ قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَلَأْتَ بَدَنِي قَلَمَ بَيْنَ
حَنْدِي مَوْصُوعٌ لِلْمَسْأَلَةِ ؛ قَالَ : فَسَأَلْنِي لِمَ لَدَدْتُكَ ، قَالَ : أَسَأَلْتُكَ أَنْ تُحِبَّنِي ، فَقَالَ الْمَنصُورُ :
بِرَبِيعٍ ، إِنَّ الْحُبَّ لَا يُسْأَلُ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ تَنْفُضُهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّمَا
أَسَأَلْتُكَ أَنْ تُزِيدَ مِنْ إِحْسَانِكَ ، فَإِذَا تَكَرَّرَ أَحَبَّكَ ، وَإِذَا أَحَبَّكَ أَحْبَبْتَهُ . فَاسْتَحْسَنَ

النصورُ ذلك ، ثمّ نهاء عن نفخ السنّ العاصلة التي قد عمل بها من قبله من مصالح الأئمة ، فيكون الوزر عليه بما نفّض ، والأحر لأولئك بما أسسوا ، ثمّ أمره بمطارحة المطاء والحكمة في مصالح عمله ، فإنّ الشورى بركة ، ومن استشار فند أضاف عقلاً إلى عقله . ومما جاء في معنى الأول :

قال رجلٌ لإبراهيم بن معاوية : من أحبّ الناس إليك ؟ قال : الذين يُطعوني ، قال : ثمّ من ؟ قال : الذين أعطهم .

وقال رجل لثمام بن عبد الملك : إن الله حمل المطاء عبّته ، والنعّ سمّته ، فأعني على حبّك ، ولا تُعني في بُغضك .



مركز توثيق ودراسات إسلامية

الأصل :

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرِّبِّيَّةَ حَقَائِقٌ ، لَا يَصْلُحُ تَعْمُّهَا إِلَّا بِتَعْيُنٍ ، وَلَا عَيْنٌ يَتَعَيَّنُهَا عَنْ تَعْيُنٍ ، فَمِنْهَا حُنُودُ اللَّهِ ، وَمِنْهَا كُتَابُ الْعَائِدَةِ وَالْعَاسَةِ ، وَمِنْهَا فُصَاةُ الْعَدْلِ ، وَمِنْهَا حُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرِّفْقِ ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزْبَةِ وَالْفَرَاحِ مِنْ أَهْلِ الدِّمَةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ ، وَمِنْهَا النُّجَارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ ، وَمِنْهَا الطُّلُقَةُ الشُّغْلَى مِنْ دَوَى الْحَاجَاتِ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَكُلٌّ فَدَسَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيصَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَمَا عَقُفُوا .

فَالْحُنُودُ يُلَدِّنُ اللَّهُ حُصُونُ الرِّبِّيَّةِ ، وَرَبِّنُ الْوَلَايَةِ ، وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسُبُلُ الْأُمْنِ ؛ وَلَيْسَ نَفْوَمُ الرِّبِّيَّةِ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا فَوَاقِمَ لِلْحُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقُوتُونَ بِهِ عَلَى حِمَايَةِ عُدُوِّهِمْ ، وَبَحْتِدُونِ عَلَيْهِمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِهِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا فَوَاقِمَ لَهُدَيْنِ السُّنَنَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَضَاءِ وَالْمَعَالِ

وَالْكِتَابِ ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْعَقَائِدِ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْنَسُونَ عَلَيْهِ
مِنْ حَوَاسِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا ؛ وَلَا يَوْمَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ وَذَوَى الصَّنَاعَاتِ ،
فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَيُفِيدُونَهُ مِنْ أَسْوَافِهِمْ ، وَيَكْفُلُونَهُمْ مِنْ
النَّزْفِ بِأَبْدِيهِمْ ، بِمَا لَا يَسْلُفُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّلَاثِيَّةُ مِنْ أَهْلِ الْعَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، الَّذِينَ يَبْسُقُونَ رِقْدَهُمْ وَمَمُونَتَهُمْ .
وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَمَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ يَفْزِدُ مَا يُصْلِحُهُ .

وَلَبَسَ بِخُرُوجِ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ
وَالِاسْتِمَانَةِ بِاللَّهِ ؛ وَتَوَاطُبِ نَفْسِهِ عَلَى زُومِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَبَّ عَلَيْهِ
أَوْ قَلَّ .



مركز تحفيظ القرآن الكريم

البُيُوتُ :

قَالَتِ الْحِكْمَاءُ : الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقاً لَا يَبْدُ مَعَهَا مِنْ أَنْ
يَكُونَ مُنْضِماً إِلَى أَشْخَاصٍ مِنْ بَنِي حِمَى ، وَتَمْتَدُّ فِي مَكَانٍ نَحِيهِ ، وَلَيْسَ الرَّادُّ بِالْمَدَنِيِّ
سَاكِنَ الْمَدِينَةِ ذَاتِ السُّورِ وَالسُّوْقِ ، بَلْ لَا يَبْدُ أَنْ يَهْمِي فِي مَوْضِعٍ مَا مَعَ قَوْمٍ مِنَ الْبَرَرِ ؛
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَصْطَرٌّ إِلَى مَا بَأْكَاهُ وَيُشْرِبُهُ لِيَهْمَ صَوْرَتُهُ ، وَمُضْطَرٌّ إِلَى مَا يَهْلِسُهُ ،
لِيُدْفِعَ عَنْهُ أَذَى الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَإِلَى مَسْكَنِ يَسْكُنُهُ لِيَرَدَّ عَنْهُ طَرِيقَةَ غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ،
وَلِيَكُونَ مَمَرٌ لَهْ لِيَسْكُنَ مِنَ التَّحَرُّفِ وَالْحَرَكَةِ عَلَيْهِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَحْدَهُ
لَا يَسْتَقِلُّ بِالْأُمُورِ الَّتِي عَدَدُهَا ، بَلْ لَا يَبْدُ مِنْ جَمَاعَةٍ تَجْمَعُ بَعْضُهُمْ لِنَهْرِ الْحَرِّ ، وَذَلِكَ
لِنَهْرِ تَحْوُلِهِ لِحَرَكَاتِ التُّوبِ ، وَذَلِكَ الْخَائِثُ بَنَى لَهُ غَيْرَهُ الْمَسْكَنَ ، وَذَلِكَ الْبِنَاءُ بِحَمَلِ لَهُ

غيره^(١) الماء ، وذلك السقاء يكفيه غيره أمرٌ تحصل الآلة التي بطحن بها الحب ويصحن بها الدقيق ، ويجهز بها المعجن ، وذلك الحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بنحصيل الزوجة التي تدعو إليها داعية الشين ، ويحصل مساعدة بعض الناس لبعض ، لولا ذلك لما قامت الدنيا ، فهذا معنى قوله عليه السلام : « إنهم طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا تغناء ببعضها عن بعض » .

ثم فصلهم وقسمهم فقال : منهم الحيد ،^(٢) ومنهم الكتّاب ، ومنهم النساء ، ومنهم العمال^(٣) ، ومنهم أرباب الحرب من أهل الدمة ، ومنهم أرباب الحراج من السلبين ، ومنهم التجار ، ومنهم أرباب الصناعات . ومنهم دور الحاحات والمكينة ، وهم أدون الطبقات .

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال : الحيد للحماية ، والحراج يُصرف إلى الجند والنساء والعمال والكتّاب لما يحكمونه من المعافاة ويجمعونه من المنافع ، ولا بدّ لسؤلا حيا من التجار لأجل البيع والشراء الذي لا تغناء عنه ، ولا بدّ لكل من أرباب الصناعات كالخداد والتجار والبناء وأمثالهم . ثم تلى هؤلاء الطبقة السفلى ، وهم أهل الفقر والحاجة الذين يجب معونتهم والإحسان إليهم .

وإنما قسمهم في هذا الفصل هذا التقسيم تمهيدا لما يذكره فيما بعد ، فإنه قد شرع بعد هذا الفصل ، فذكر طبقة طبقة وصفاً شاملاً ، وأوصاه في كل طبقة وفي كل صنف منهم بما يليق بحاله ، وكأنه^(٤) مهّد هذا التمهيد ، كالتمهيد لما يأتي بعده من التفصيل .

(١) ب : « غير غيره » . (٢-٣) صاقل من ب ، وأثبتته من ا د .

(٣) ا د : « مكاه » .

الأنزل :

قَوْلٌ مِنْ جُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ بِهِ وَرِيسُولِهِ وَلَا يَمُوتُ ، وَأُظْهِرَهُمْ جَبِينًا ،
وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا ، مَنْ يُدِيلُ عَنِ النَّصْرِ ؛ وَتَسْرِجُ إِلَى الْمُدْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالصُّعْمَاءِ ،
وَيَذْكُو عَلَى الْأَفْوَاءِ ؛ وَرِمَنْ لَا يُثِيرُ الْمُنْبُ ، وَلَا يَقْعُدُ بِعِ الصُّغْفُ .

ثُمَّ الْمَنْ يُذَوِي الْعُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ ؛ وَأَهْلُ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّوَابِغِ
الْحَسَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّعَادَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكُرَمَاءِ
وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرَفِ .

ثُمَّ نَقَعُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَقَعُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ؛ وَلَا يَتَقَانَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ
قَوِيَّتُهُمْ بِهِ . وَلَا تُحْفَرَنَّ لِقَاءَ نَعَاهِدَتِهِمْ بِرَأْسِ قَوْلٍ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَدَلِ
الْمُسِيحَةِ لَكَ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ .

وَلَا نَدَعُ نَفَقَةً لِيُغْلِبَ أُمُورِهِمْ انْكَالًا عَلَى حَسِيمِهَا ؛ فَإِنَّ الْيُسْبِيرَ مِنْ نُطْقِكَ
مَوْضِعًا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ ؛ وَلِلْحَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَفْتُونَ عَنْهُ ؛ وَلَيْكُنْ آتَرُ رُؤُوسِ
جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَوْنِهِ ، وَأَقْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ حِدَنِهِ ، يَمَّا بَسَمَهُمْ
وَبَسَعَ مَنْ وَرَأَاهُمْ مِنْ حُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ،
فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ بِمَغْلِبِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْكَ . وَلَا تَصِحْ تَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِمْلَتِهِمْ^(١)
عَلَى وَلَا أُمُورِهِمْ ، وَفَلَعُوا اسْتِغْثَالِ دَوْلِهِمْ ، وَتَرَكُوا اسْتِغْثَالَ اعْطَاعِ مُدَنِيهِمْ .

فَأَفْسَحْ فِي أَمَارِهِمْ ، وَرَأْسِلْ مِنْ حُسْنِ التَّنَاقُلِ عَلَيْهِمْ ، وَتَمْدِيدِ مَا أُبْدِلَ ذَوُرُ الْكَلَاءِ

(١) عطوفة النج : « بحملتهم » ، « بابا » للعدد : الكسرة .

مِنْهُمْ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ فَعَالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ ، وَتُحَرِّصُ النَّاسَ كُلَّ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
نَمْ أَغْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أُبْلَى ، وَلَا نَبْشَمَنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَلَا تُقَعَّرَنَّ بِرِدُونِ غَايَةِ بَلَائِهِ .

وَلَا يَدْغُمُوكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ نَعْلَمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ سَفِيرًا ، وَلَا ضَمَّةُ
امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَمْعِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ قَطِيعًا ، وَارْزُدْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُسَلِّمُكَ
مِنَ الْخُطُوبِ ، وَبَشْفِيهِ هَلِكُكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُومُ أَحَبُّ
إِرْشَادِهِمْ : ﴿ بَابِهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ
فَإِنْ نَكَرْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (١) ، فَارْزُدْ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُخْصَمِ
كِتَابِهِ ، وَارْزُدْ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَنِهِ الْخَامِعَةِ غَيْرِ الْمُرْفَقَةِ .



مَرْكَزُ تَحْقِيقِ تَرْجُمَانِ سَوْدِي

البَشْرُخ :

هَذَا الْمَصْلُ عَنْصَرٌ بِالرَّسَاءِ فَيَا يَشْفُقُ نَامِرَاءَ الْحَبِشِ ، أَمَرَ أَنْ يُولَّى أَمْرَ الْحَبِشِ
مِنْ جَنُودِهِ مَنْ كَانَ أُنْصَحَهُمُ اللَّهُ فِي طَلْعِهِ ، وَأَطْلَهُمْ جَبِينًا ، أَيْ عَمِيمًا أَمِينًا ؛ وَبُكَى
عَنِ الْعَفَةِ وَالْأَمَانَةِ بِطَهَارَةِ الْحَبِشِ ، لِأَنَّ أَلَدِي بِسَرَفٍ بِحَمْلِ الْمَرْوُوفِ فِي جَبِينِهِ .
فَإِنْ قُلْتَ : وَأَيُّ تَعَلَّقَ لِهَذَا بِوَلَاةِ الْحَبِشِ ؟ إِنَّمَا يَبْنِي أَنْ نَكُونَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ
فِي وُلَاةِ الْحِرَاجِ !

قُلْتَ : لَا يَدَّ مِنْهَا فِي أَمْرَاءِ الْحَبِشِ لِأَجْلِ الْعَنَائِمِ .

نَمْ وَصَفَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ خَالًا : « مِمَّنْ بَطَلَى عَنْ الْمَصِّ ، وَبَسْرِيحَ إِلَى الشَّمْرِ » ، أَيْ يَبْطَلُ

أَذَى عَدُوٍّ ، وَبَسْرِيحُ إِلَهٍ ، وَبَسْكُنْ عِنْدَهُ . وَبَرَّؤْفٌ ^(١) عَلَى الصَّفَاءِ ، بَرَفَقَ بِهِمْ
وَبَرَحُمَهُمْ ، وَالرَأْفَةُ : الرَّحْمَةُ . وَبَذَبُوا عَنِ الْأَفْرَاءِ : بَنَجَا عَنْهُمْ وَبَعَدَ ، أَيْ لَا يُبْسِكُهُمْ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْتِمَادَى عَلَى الصَّفَاءِ . وَلَا بَشِيرَةُ الْعُتْبِ : لَا يَبْهِيحُ عُتْبِيَّةَ عُتْفٍ وَفَسْوَةٍ . وَلَا بَقْعَدَ
بِهِ الصَّفَفُ ، أَيْ لَيْسَ عَاجِزًا .

ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَلْمِزَ بَذْوَى الْأَحْسَابِ وَأَهْلَ الْبَيِّنَاتِ ، أَيْ بِكَرْمِهِمْ وَيَجْعَلُ مَمُولَهُ
فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَنْتَدِيهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَكَانَ يَنْتَالُ : عَلَيْكُمْ بِذَوَى الْأَحْسَابِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ
يَشْكُرُوا اسْتَحْيَا ^(٢) .

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُمْ أَهْلَ الشَّجَاعَةِ وَالسَّحَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنِّي جِئْتُكَم مِّنَ الْكَرَمِ ، وَشُعْبُ
مِنَ الْمَرْفِ ، مَن هَاهُنَا زَائِدَةٌ ؛ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْإِبْجَابِ عَلَى مَدْعَى أَبِي الْحُسَيْنِ الْأَخْفَشِ ،
أَيْ جِئْتُكَم مِّنَ الْكَرَمِ ، أَيْ بِجَمْعِهِ كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « اغْزِرْ جِئْتُكَم مِّنَ الْإِثْمِ » .
وَالْمَرْفُ : الْمَرْوُوفُ .

وَكَذَلِكَ « مَن » فِي قَوْلِهِ : « لَوْ شِئْتُ لَمَنْ الْمَرْفُ » أَيْ وَشُعْبُ الْمَرْفِ ، أَيْ مَن
أَصْلَاهُ وَأَحْرَاقُهُ ، وَبِحُجُورِ أَنْ تُكُونَ « مَن » عَلَى حَقِيقَتِهَا لِتَتَّبِعُ بَعْضَ ، أَيْ هَذِهِ الْحَلَالِ حَلَّةٍ
مِّنَ الْكَرَمِ وَأَصْنَافِ الْمَرْوُوفِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَبَّرَ بِهَا أَيْضًا مِّنَ الْكَرَمِ وَالْمَرْوُوفِ ، وَنَحْوِ الْعَدْلِ
وَالْعَفَةِ .

قَوْلُهُ : « ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْ أُمُورِهِمُ » الصَّمْبُ هَاهُنَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَحْتَادِ لَا إِلَى الْأُمَرَاءِ لِمَا
سَنَذْكُرُهُ ؛ مِمَّا بَدَّلَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ لِلْأَجْنَادِ ذِكْرًا فِيهَا مَبْنًى ؛ وَإِنَّا لَنَذْكُرُ الْأُمَرَاءَ !
قُلْتَ : كَلَّا بَلْ سَبَبُ ذِكْرِ الْأَجْنَادِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « الصَّمَاءُ وَالْأَفْوَاهُ » .

(١) د : « برأف » ، غريب . .

(٢) د : « استحيوا » ، ب : « استحيوا » ، وأنها ما في .

وأمره عليه السلام أن يعتقد من أمور الجيئس ما يتقَدُّ الوالدان من حال الولد ؛ وأمره ألا يظنَّ عنده ما يفتوئهم به وإن عظم ، وألا يستحضر شيئاً تعهدهم به وإن قلَّ ، وألا يمتعه نقدٌ حسب أموالهم عن تعقد منبرها . وأمره أن يكون آثر دوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأغربهم إليه منْ وإساهم في معونه ؛ هذا هو الصمير الدالُّ على أن الصمير المذكور أولاً للجنْد لا لأمرء الحند ؛ لولا ذلك لما انتظم الكلام .

قوله : « من خلوف أهلهم » ، أى ممن يحملونه من أولادهم وأهلهم . ثم قال : لا يصح نصيحة الحند لك إلا بحيطتهم على ولائهم ؛ أى بتعاقبهم عليهم وتغنُّمهم ، وهى الحيلة على وزن الشبهة ، مصدر حاطه بحوطه حوطاً وحباطاً ، وحيطه ، أى كلاً . ودعا ، وأكثر الناس بروونها « ألا يحيطنهم » تشديد الباء وكسرهما ، والصحيح ما ذكرناه .

قوله : « وفله استغفال دُولهم » ؛ أى لا يصح نصيحة الحند لك إلا إذا احتسوا أمرهم ثم لم يستغلوا دُولهم ؛ ولم يتموا دُولها . ثم أمره أن يذكر في المجالس والمخافل بلاء دوى البلاء منهم ؛ فإني ذلك مما يُرهِف عزم الشُّجاع ويحرك الجبان .

قوله : « ولا نصمِّنْ بلاء امرئ إلى غيره » ، أى لا ذكر كلٍّ من أعلى منهم مفرداً غير مصموم ذكر بلائه إلى غيره ، كي لا يكون معقوداً في حسب ذكر غيره .

ثم قال له : لا تعظم بلاء دوى الشرف لأهل شرفهم ، ولا تغير بلاء دوى الضمَّة لضمة أنسابهم ، بل اذكر الأمور على حقائقها .

ثم أمره أن يرُدَّ إلى الله ورسوله ما يُسلمه من المخطوب ؛ أى ما يثود ، ويُبيله

ثمنه ، وهذه الرواية أصح من رواية من رواها بالطاء ؛ وإن كان لك وجه .

[رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه]

وبني أن تذكر في هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الإسكندر في معنى المحافظة على أهل اليونان وذوي الأحزاب ، وأن يحصمهم بالرياسة والإمرة ؛ ولا يبدل عنهم إلى العامة والسفلة ، فإن في ذلك تشييداً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصيته .

لما ملك الإسكندر إيران شهر - وهو العراق مملكة الأكاسرة - وقتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو وهو ببلاد اليونان :

عليك أيتها الحكيم منا السلام ، أما بعد فإن الأفلاك الدائرة ، والعمل السائية ؛ وإن كانت أسعدتنا بالأمور التي أصبح الناس فيها دائمين ، فإنما جدٌ وإحديسٌ ليس الاضطراب إلى حكمتك ، غير حادٍ لفضلك والإقرار بمثلتك ، والاستقامة^(١) إلى مشورتك والافتداء برأيتك ؛ والاعتماد لأمرتك ونهيتك ، لئلا نلوثاً من جداء ذلك علينا ، ودعنا من جنائز مغلته ، حتى صار ذلك بسجوعه فيها وزرئحه في أذهاننا وعقولنا كالنذاع لنا ، فما نملك نعوّل عليه ، ونستمد منه استمداداً الحداول من البحور ، ونمويل الفروع على الأصول ، وغرة الأشكال بالأشكال . وقد كان مما سبق إلينا من العصر والعلم ، وأنيح لنا من الظلم ، وبلغنا في المدوّ من الفكاهة والبطش ما يعجز النحول عن وصفه ، وبفصر شكر النعم عن موقع الإنعام به ، وكان من ذلك أننا حاورنا أرض سورية والحزيرة إلى بابل وأرض فارس ، فلما حللنا بغرة^(٢) أهلها وساحة بلادهم ، لم يكن إلّا ربنا تلقائاً نقرّ منهم برأس ملكهم هدبة إلينا ، وطلباً للحظوة عندنا ، فأمرنا بصلب من

(١) كذا في ١ ، واستقام إلى الأمر : سكن إليه ؛ وفي ٢ : « الاستقامة » .

(٢) الغرة : مأخوذ من الغار .

جاء به وشهرته لسوء بلائه ، وقلة أعرائه ووقاته ؟ ثم أمرنا بجمع مَنْ كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوى الشرف منهم ؛ فرأينا رجالاً عظيمَةً أجسامهم وأحلامهم ، حاضرة ألبابهم وأذعانهم ، رائحة مناظرهم ومناظفهم ، دليلاً على أن ما يظهر من رؤائهم ومنظفهم أن وراءه من قوة أيديهم ، وشدة نجدتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلى غلبتهم وإعطائهم بأيديهم ، لولا أن القضاء أدا لنا منهم ، وأظهرنا بهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم زَ بعيداً من الرأي في أمرهم أن نستأسل شأقتهم ، ونبحث أصلهم ، ونلحفهم بمن مضى من أسلامهم ، لتكن الصواب بذلك الأمن إلى جرائهم وبوائئهم ؛ فرأينا ألا نجل بأساً في الأذى في قتلهم دون الاستظهار عليهم عشودنك فبهم . فرفع البنا رأيك فيا استترناك به بعد صحتك عندك ، ونغليك إياه بجلى فظرك ، وسلام أهل السلام ، فايكن علينا وعليك



فكتب إليه أرسطو :

ملك الملوك ، وعظيم العتلاء ، الإسكندر الكبير بالصر على الأعداء ، المهدى له الملك بالملوك ، من أصغر عبده وأقل حركه ؟ أرسطو طاليس البخوج بالشجود والتسليم في السلام ، والإذعان في الطاعة :

أما بعد ، فإنه لا قوة بالملكن وإن احتشد الناس فيه ، واجتهد في تقيف مبابه ، وتأليف حروفه ومبابيه على الإحاطة بأقل ما ناله الندرة من بَسْطَةِ علو الملك وصحو ارتفاعه عن كل قول ، وإبرازه على كل وصف ، وانغرافه بكل إطناب . وقد كان تقرر عندي من مقدمات إعلام فضل الملك في صفة سببه ، وبروز شأوه ، وبُشْن نهيته ، مذاذت إلى حاسة بصرى سورة شخصه ، واضطرب في حسن معنى صوت لفظه ، ووقع وهمي

على لعنيت نجار رأيه ، أأنام كنت أؤذى إليه من تكلف تعليمي إياه ما أصبحت قانسيا على
تسى بالحاجة إلى تعلمه منه . ومهما بكنن مني إليه في ذلك ، فإتعا هو عقل محدود إلى
عقله ، مستنطلة أواليه ونوابه من علمه وحكمته . وقد جلا إلى كتاب الملك ومخاطبته إلي
ومسألته لي عما لا يتخالفني الشك في فلاح ذلك وإنتاجه من عنده ، فنه صدو وعليه ورد ؟
وأنا فبا أشير به على الملك - وإن اجنبت فيه واحشدت له ، وتجاوزت حدّ الوسع والطفافة
مضى في استنطافه واستنصائه - كالمعم مع الوحد ، بل كما لا يتجرأ في جب معظم الأشياء ،
ولكنني غير متمتع من إجابة الملك إلى ما سأل ، مع على وبقيى بعظم غناه على ، وشدة
طافني إليه ، وأنا رادّ إلى الملك ما اكدتته منه ، ومشر عليه بما أحذنه ،
منه ففائله :

إن لسكل نزية لا محالة فنا من الفضائل ، وإن لمارس فصحها من التجددة والنوثة ،
وإنك إن تفضل أشراقهم تخلف الوطء على أسقامهم ، وتورث سيفتهم على منازل عليهمهم ،
وتنلب أديانهم على مراتب دولهم ~~أخطارهم~~ ولم يبق للوك قط بيلا . هو أعطهم عليهم
وأشدّ نوهينا لسلطانهم من علبة السفلة ، ودلّ الوحد ، فاحذر الحدو كله أن تمكن تلك
الطبعة من الدقة والحركة ، فإنه إن نعم منهم بعد اليوم على حذك وأهل بلادك ناعم
دهمهم مه ما لا روية فيه ، ولا بنية معه ؟ فالصرف عن هذا الرأي إلى غيره ، واعمد إلى
من فيك من أولئك الظلاء والأحرار ، مورع بينهم مملكتهم ، وأؤم اسم الملك
كل من ولبته منهم ناحيته ، واعقد الشاح على رأسه وإن صر ملكه ، فإن النسمي
بالملك لازم لاسمه ، والمفود الناج على رأسه لا يحصع لقبه ، فلبس بنشب ^(١) ذلك أن
يوقع كل ملك منهم بينه وبين صاحبه تدابراً وتقاطماً وتغالباً على الملك ، وتفاخراً بالمال
والجند ؟ حتى يسوا بذلك أصفاسهم عليك وأوتارهم فيك ، ويمود حربهم لك حرباً

بينهم ، وحسنهم عليك حقاً منهم على أنفسهم ، ثم لا يزدادون في ذلك بصيرة إلا أحدثوا لك بها استفادة ؟ إن دنوت منهم دانوا لك ، وإن تأبى عنهم تمرزوا بك ، حتى شب من ملك منهم على جاره بالسك ، وبسرهم به بحدك ، وفي ذلك شغل لهم عنك ، وأمل لإحداهم بحدك ، وإن كان لا أمل للدهر ، ولا ثقة بالأيام .

قد أدب إلى الملك ما رأيت في خطأ ، وعلى حق ، من إجابتي إياه ، إلى ما سألتني عنه ، وعرضته الصبحة فيه ، والسك أعلى حياء ، وأتقن روية ، وأفضل رأيا ، وأمدح حجة فيها استعان بي عليه ؟ وكأني ببينه والشورة عليه فيه . لا زال الملك منصرفاً من عوائد التمر وعواقب الصنع ، وتوطيد الملك ، وتنعيس الأجل ، ودرك الأمل ، ما نأى فيه قدرته على غابة فصوى ما تناله قدرة الشر !

والسلام الذي لا انقضاء له ، ولا انتهاء ، ولا غاية ولا فناء ، فليكن على الملك .

قالوا : فعمل الملك برأيه ، واستحلف على إرثان منبر أبناء الملوك والعظماء من أهل فارس ، فهم ملوك الطوائف الذين تقوا بدهه ؟ والملكة موزعة بينهم إلى أن جاء أزدشير ابن بابك فأنزع الملك منهم .

الأفضل :

ثُمَّ أَخَّرَ لِحُكْمِهِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْصَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تَعِينُ بِرِ الْأُمُورَ ، وَلَا تَمَحْكُهُ الْأُخُوصُ ، وَلَا يَهْدَى فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْغَيِّ إِلَى الْخَلْقِ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا فَتْرُفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا بَسْكَتْنِي بِأَذَى هَهِمْ دُونَ أَفْصَاءِ . وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّهَانِ ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَبَهُمْ نَبْرًا بِمَرَا جَمَعُوا الْخُصَمَ ، وَأَسْبَرَهُمْ

عَلَى نَكْثِ الْأُمُورِ ، وَأَضْرَمَهُمْ عِنْدَ انْفِاسِ الْحُكْمِ ، يَمْنُ لَا يَزِدُّهُمْ إِفْرَاةً ، وَلَا يَسْتَعِيلُهُ إِفْرَاةً ، وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ .

ثُمَّ أَكْثَرَ نَافَعَهُ فَنَاصِرُهُ ، وَأَنْسَحَ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُرِجِعُ عَلَيْهِ ، وَتَقِلُّ مَمَّهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَقِطُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدُنْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاسِنِكَ ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ افْتِتَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا رَاسِيًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ هَذَا كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ ، بِمَثَلِ فِيهِ بِالنَّهْوِ ، وَتَطْلُبُ بِهِ الدُّنْيَا .

البُشْرُجُ :

تَحَكَّمَ الْمَصُومُ : تَجَمَّلَ مَاحِكًا ، أَيْ جَرَّاجًا ، يَحْكُ الرِّجْلُ ، أَيْ لَجَ ، وَمَاحِكٌ زَبَدٌ عَمْرَأٌ أَيْ لَاجَةٌ .

مَرْكَزُ تَحَكُّمِ الْمَصُومِ بِمَرْكَزِ حَسْبِ

قَوْلُهُ : « وَلَا يَهَادِي فِي الزَّلَّةِ » ، أَيْ إِنْ زَلَّ رَجَعَ وَأَتَابَ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

قَوْلُهُ : « وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْوَيْ » هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ بِهِ ، وَالْوَيْ : الرَّجُوعُ ، إِلَّا أَنْ هَاهُنَا زِيَادَةٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَحْصَرُ ، أَيْ لَا يَبْعَثُ فِي الْمُنَاطِقِ ، لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا زَلَّ حَصِرَ عَنْ أَنْ يَرْجِعَ وَأَسَابَهُ كَالْمَهَابَةِ وَالْوَيْ خَبَلًا .

قَوْلُهُ : « وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ » ، أَيْ لَا تَشْفِقُ . وَالْإِشْرَافُ : الْإِشْفَاقُ وَالنَّشُوفُ ، وَأَنْشَدَ اللَّيْثُ :

وَمِنْ مُضَرِّ الْجُرَاءِ إِسْرَافًا عَسِرَ عَلَيْنَا وَحَيَاتُهَا عَلَيْنَا تَحْضُرَا

وقال عروة بن أدبنة :

لقد عَلِمْتُ وما الإشرافُ من خُلِّي أَنَّ الذي هو رزقُ سوفَ يأتي^(١)

والمني : ولا نشفق نفسه ، ونخاف من فوت النافع والرافق .

ثم قال : « ولا يكنى بأذى فهم » ، أى لا يكون قائما بما يخطر له بآذى الرأى من أمر الخصوم ، بل يستصفي ويبحث أشد البحث .

فأوله : « وأظلم نبرأ بما بمراجعة الخصم » ، أى نضجراً ، وعنده الخصلة من محاسن ما شرطه عليه السلام ، فإن النلق والصجر والتبرثم فيج ، وأصبح ما يكون من الفاضى .

فأوله : « وأصرهم » ، أى أنظهم وأصامهم : وأوردنا ، كذا ، أى استخذه . والإطراء : اللدج . والإعراء : التحريص .

ثم أمر ، أن يتطلع على أحكامه وأفضنه ، وأن يبركن له عطاء واسما بملا عبه ، ويتعقب به عن المرافق والزشوات ، وأن يكون قريب المكان منه ، كثير الاختصاص به ليجتمع فربه من سعاية الرجال به وتبجحهم ذكره عنه .

ثم قال : « إن هذا الدين قد كان أسيراً » ، هذه إشارة إلى فساد عيان وحكامه ، وأسمهم لم يكونوا ينفضون بالحق عنده ، بل بالهوى لطلب الدنيا .

وأما أصحابنا فيقولون : رحم الله عيان ! فإنه كان سعيها ، واستولى عليه أهله ، فطموا الأمور دونه ، فانغمهم عليهم وعيان يرى منهم .

[فصل في القضاة وما يلزمهم وذكر بعض نوادرهم]

فد جاء في الحديث المرفوع : « لا يقضى القاضي وهو غضبان » . وجاء في الحديث المرفوع أيضا : « من ابتغى بالنفء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظة وإشارته وعلمه ومنعه » .

دخل ابن شهاب على الوليد - أو سليمان - فقال له : يا ابن شهاب ، ما حديث يرويه أهل الشام ؟ قال : ما هو بأمر المؤمنين ؟ قال : إسم بروون أن الله تعالى إذا استرعى عبداً رعية كفف له الحسنات ، ولم يكتب عليه السيئات ، فقال : كذبوا يا أمير المؤمنين ، إنما أقرب إلى الله ؛ سي أم خليفة ! قال : بل نبي ؟ قال : فإنه تعالى يقول لنبيه داود : ﴿ بَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ . فقال سليمان : إن الناس ليُتْرَوْنَا عن دبلنا .

وقال بكر بن عبد الله العدوي لابن أرماء - وأراد أن يستغفريه : والله ما أحسن النفاء ، فإن كفتُ سداً لم يحمل لك أن تستغفري من لا يحسن ، وإن كنت كاذباً فقد فسقت ، والله لا يحمل أن تستغفري العاصي .

وقال الزهري : ثلاث إذا كن في القاضي فليس بفاصل ، أن بكراً اللائمة ، ويجب المحمدة ، ومخاف الرزل .

وقال محارب بن زباد للأعرج : ولَّيتُ النفاء فسكى أهل ، فلما عُرِلت بكى أهلي ، فما أدى رم ذلك ؟ قال : لأنك ولَّيتَ النفاء وأنت نكركه ونجرك منه ،

فبكي أهلك لجزعك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت فبكي أهلك لجزعك . قال : صدقت .

أَيُّ ابْنِ شُبْرَمَةَ يَقُومُ بِشَهَادَتِهِمْ عَلَى قَوَاسٍ^(١) نَحْلٌ ، فَشَهِدُوا - وَكَانُوا عِدُولًا - فَامْتَحَنَهُمْ فَقَالَ : كَمْ فِي التَّوَّاحِ^(٢) مِنْ عَمَلَةٍ ؟ قَالُوا : لَا نَعْلَمُ ، فَرَدَّ شَهَادَتَهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : أَنْتَ أَبُهَا الْقَاضِي تَقْضِي فِي هَذَا السَّجْدِ مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَأَعْلِمْنَا كَمْ فِيهِ مِنْ أَسْطَوَانَةٍ ؟ فَكَتَبْتُ وَأُجَازِمُ .

خَرَجَ شَرِيكَ وَهُوَ عَلَى فِصَاءِ الْكُوفَةِ بِتَلْفِي الْخَبْرَانِ ، وَقَدْ أَقْبَلَتْ تَرِيدُ الْحِجِّ ، وَقَدْ كَانَ اسْتَقْفَى وَهُوَ كَلَرُهُ ، فَأَتَى شَاهِي^(٣) ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا ، فَلَمْ نَوَافٍ ، نَفْثَ رَاوَهُ وَمَا كَانَ مَعَهُ ، فَجَمَلَ بِلَهْ مَلَاءَ وَبَأْكُهُ دَالِجٍ ، فَقَالَ الْعَلَّامَةُ بْنُ الْإِهَالِ الْقَنْوَى :

فَإِنَّ كَانَ الَّذِي قَدْ قَلَّتْ حِلَّةُ^(٤) بَابٍ مَدَّ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْغَضَاءِ^(٥)
فَمَا لَكَ مُوسِمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَقْلِقُ^(٦) مَنْ يُرَاجِعُ مِنَ النِّسَاءِ
مُقْبًا فِي فُرَى شَاهِي ثَلَاثًا بِلَا زَادٍ سَوَى كِتَرِهِ وَمَا^(٧)

وَتَقَدَّمَتْ كَلْتَمُ بَنَتْ مَرِيحَ مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ حَرْبٍ - وَكَامَتْ حِمْلَةً - وَأَحْوَاهَا الْوَلِيدُ ابْنُ سَرِيحَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ ؛ وَهُوَ فَاصِلٌ بِالْكُوفَةِ ، فَقَضَى لَهَا عَلَى أَخِيهَا ، فَقَالَ هُدَيْلُ الْأَشْجَمِيِّ :

أَنَاهُ وَلِيدٌ بِالْشُّهُودِ بِسُوفِهِمْ عَلَى مَا ادَّعَى مِنْ صِلَاتِ اللَّالِ وَأَخْلَوْلُ^(٨)
وَجَاءَتْ إِلَيْهِ كَلْتَمُ وَكَلَامُهَا رِشَاءٌ مِنَ الدَّاءِ الْخَائِرِ وَأَخْلَبِلُ^(٩)
فَأَدْلَى وَلِيدٌ عِنْدَ ذَلِكَ بِحَقِّهِ وَكَانَ وَلِيدٌ ذَا مِرَاهٍ وَذَا جَدَلُ^(١٠)
فَدَنَّمَتْ الْقَبِيلُ حَتَّى فَصَى لَهَا نَضِرَ فِصَاءِ اللَّهِ فِي مُحْكَمِ الْعُلُولُ^(١١)

(١) المراجع هنا : البستان ، واطر يافوت (قروح) . (٢) شاهي : موضع قرب القادسية .

(٣) الجرد والأبواب في معجم البلدان : ٢٢٤ .

فَوَكُنْ مَنْ فِي الْفَصْرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ
لَهُ حِينَ يَنْفَعِي لِلنَّسَاءِ نَحْوُ سُرٍّ
إِذَا ذَاتُ ذَلِكَ كَأَمْنُهُ لِحَاجَتِهِ
وَبَرَقَ عَلَيْهِ وَلَآئِكَ لِسَانُهُ
لَمَّا اسْتَمْعَلَ الْقَيْطِيَّ فِينَا عَلَى عَمَلٍ
وَكَانَ وَمَا بِهِ النَّخَاوُسُ وَالْحَوْلُ
فَهُمْ بَأَن يَنْفَعِي نَنْخَحَ أَوْ سَمَلُ
بَرَى كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا وَمِيلَهَا جَلَلُ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْثَدٍ يَقُولُ: لَمَّا أَتَى اللَّهُ الْأَشْجَعِيَّ، وَاللَّهُ لَمَّا جَاءَنِي السَّمْلَةُ وَالنَّخْجَةُ
وَأَنَا فِي النُّوْمَةِ فَأَرَدْتُهُمَا لَمَّا شَاعَ مِنْ بَيْتِهِ.

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مَعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَدَعَيْتُ إِلَيْكَ فِي الْفَضَاءِ بِكَتَابٍ لَمْ
أَلْكَ وَفِيهِ جَبْرٌ؛ أَلَزَمَ خَسَّ حِمَالِ بَسْمِ لَكَ دَبْنُكَ، وَنَأْخُذُ بِأَفْضَلِ حَقِّكَ؛ إِذَا تَقَدَّمَ
إِلَيْكَ الْخَصِيَانُ فَمَلِكُ الْبَيْتِ الْعَادِلُ أَوْ الْحَمِيمُ الْقَاطِعُ، وَأَذِنَ الْمُتَعَبُ حَتَّى يَشَدَّ فَلَيْهِ وَيَنْسَطُ
لِسَانُهُ، وَنَهْمَةُ الْقَرِيبِ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْهَهُ تَرَكْ حَقَّهُ وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ؛ وَإِنَّمَا ضَمَّعَ حَقَّهُ مِنْ لَمْ
يُرْفَقْ بِهِ، وَأَسْ يَبْنِ الْحَصُومَ فِي لَحِظِكَ وَبَلَطِكَ، وَطَلَبَكَ بِالصَّلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْتَبِينَ
لَكَ فَصْلُ الْفَضَاءِ.

وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى مُرَيْجٍ: لَا تَسَارِدْ وَلَا تُضَارِدْ، وَلَا تَسْمِعْ وَلَا تَنْفَعْ فِي مَجْلِسِ الْفَضَاءِ،
وَلَا تَنْفُسْ وَأَنْتَ غَمِيضَانُ، وَلَا شَدِيدُ الْخَوْفِ، وَلَا مَشْغُولُ الْقَلْبِ.

شَهِدَ رَجُلٌ عِنْدَ سُوَّارِ الْقَاضِي، فَقَالَ: مَا سَمِعْتُكَ؟ فَقَالَ: مُؤَدِّبٌ؛ قَالَ: أَنَا لَا أَجِيزُ
شَهَادَتَكَ؛ قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ تَأْخُذُ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَحْرَاءَ، وَأَنْتَ أَيْضًا تَأْخُذُ عَلَى
النِّسَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَجْرًا، قَالَ: إِنَّمَا أَكْرَهُونِي؛ قَالَ: نَعَمْ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْفَضَاءِ، فَهَلِ
أَكْرَهُوكَ عَلَى اخْتِارِ الْأَجْرِ؟ قَالَ: هَلْ شَهَادَتُكَ.

وَدَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ لِبَشِيرَةٍ عِنْدَ أَبِي لُبَيْلَى، فَقَالَ حِينَ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ:

إِذَا النَّاسُ عَطَوْنِي نَطَطِيَتْ عَنْهُمْ
وَيَنْ يَحْنُوْنَ هَنَى فَبِهِمْ مَبَاحِثُ (١)

وإن حَمَرُوا بَثْرَى حَفَرْتُ بِأَرْحَمٍ لِيَعْلَمَ مَا تُخْبِئُهُ نَفْسُ النَّبَاةِ
فقال : بل عَطَلْتُكَ بِأَنَا دُلَامَةً وَلَا يَحْثُكَ ؛ وَصَرَكَه رَاشِيًا ، وَأَعْمَلَى الشُّهُودَ عَلَيْهِ مِنْ
عَدُوِّهِ فَبِعَمَّةٍ ذَلِكَ الشَّيْءَ .

كَانَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِي حَاكِمَ الْعَرَبِ وَقَاضِيَهَا ، فَذَلَّ بِهَقِيمٍ بِسَمُونَهُ فِي الْخَلْفَى
وَمِثْرَاهُ ؟ فَلَمْ يَدِرْ مَا يَنْفِي فِيهِ ، وَكَانَ لَهُ حَلِيزَةٌ اسْمُهَا خَصْبِيَّةٌ ، رُبَّمَا لَامَهَا فِي الْإِطَاءِ عَنْ
الرَّغْمِ فِي الشَّيْءِ بَعْدَهُ عَلَيْهَا ، فَقالَ لَهَا : يَا خَصْبِيَّةُ ، لَقَدْ أَسْرَحَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي غَنَمِي ،
وَأَطَالُوا الْمَكْتُ ؟ قالتَ : وَمَا بَكَبُرَ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ اتَّبِعْهُ مَالَهُ وَخَلَاكَ دَمٌ ، فَقالَ لَهَا :
« مَسَى ^(١) حَصْبِلُ مَدَهَا أَوْ رُوْحِي » .

وقال أعرابي لقوم يفتازعون : هَلْ لَكُمْ فِي الْحَقِّ أَوْ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحَقِّ ؟ قيل :
وَمَا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحَقِّ ؟ قال : التَّحَاطُّ وَالْخُصْمُ ؛ فَإِنْ أَخَذَ الْحَقُّ كُلَّهُ مَرَّةً .
وعزل عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْضَ قُضَاتِهِ ، فَقالَ لِمَنْ عَمِلَ لَيْسَى ؟ فقال : بَلَسَى أَنْ كَلَامَكَ
أَكْثَرُ مِنْ كَلَامِ الْخُصْمَيْنِ إِذَا نَحَا كَمَّا إِلَيْكَ .

وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الشَّامَ وَهُوَ غَلَامٌ ، فَغَدِمَ حَصْبًا إِلَى بَابِ الْقَاضِي فِي أَتَمِّ عَبْدِ الْمَلِكِ ،
فقالَ الْقَاضِي : أَمَا نَسْتَحْيِي ! تُعَاصِمُ وَأَنْتَ عَلَامٌ شَبِيحًا كَبِيرًا ؟ فقال : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ،
فقال : اسْكُتْ وَبِحَبْلِكَ ! قال : مَنْ يَنْتَقِلُ بِحَبْلِي إِذَا ! قال : مَا أَطْلُوكَ نَقُولُ الْيَوْمَ حَفَّاحِي
نَنُومُ ؟ فقال : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقامَ الْقَاضِي وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخْبَرَهُ ، فقال : افْضِ
حَاجَتَهُ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ كَيْ لَا يُفْسِدَ عَلَيْنَا الْفَاسَ .

وَأَخْضَعَ أَعْرَابِيٌّ وَخَصَّرِيٌّ إِلَى قَاضِيٍّ ، فَقالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَتَيْهَا الْقَاضِي ، إِنْهُوَ أَنْ كَمَلَجَ ^(٢)
إِلَى الْبَاطِلِ ، فَإِنَّهُ عَنِ الْحَقِّ لَعَطُوفٌ .

وَرَدَّ رَجُلٌ جَلَابِيَّةً عَلَى رَجُلٍ اشْتَرَاهَا مِنْهُ بِالْحَقْنِ ، فَتَرَفَّقَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ،

(١) لِي يَجْعَلَ الْأَمثالَ ٢ : ٢٩٥ « مَسَى سَخْبِلُ بَعْدَهَا أَوْ صَبَحِي » . (٢) مَطْلَعٌ : أَسْرَعَ .

فقال لما إياس : أى رجليك أطول ؟ فثابت : هذه ، فقال : أنذكرن ليلة ولدتك أمك ؟
فالت : نعم ، فقال إياس : ردّ ردّ !

وجاء في الخبر الرفوع من رواية عبد الله بن عمر : « لا قدست أمة لا يقضى فيها
بالحق » ؟ ومن الحديث الرفوع من رواية أبي هريرة : « ليس أحد يحكم بين الناس إلّا
جىء به يوم القيامة مغلولاً يدها إلى عنقه ، فكفه العدل ، وأسلمه الحور » .

وأستعدي رجلٌ على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعلى جالس ، فالتت عمرُ إليه ، فقال : فم يا أبا الحسن فاحلس مع خُصمك ، فقام فاحلس
معه وناظرًا ، ثم أصرَف الرجل ودجع على عليه السلام إلى حُكْمه ، فتبين عمرُ التفرق
وجبه ، فقال : يا أبا الحسن ، مالي أراك متشاورًا ! أكرهت ما كلن ؟ قال : نعم ، قال :
وما ذاك ؟ قال : كنتيى بمحضرة خُصمى **هَلَّا قُلْتُ** : لم يا علي فاحلس مع خُصمك ! فاعتنق
عمرُ عليًا ، وحمل يذلل وجهه ، وقال بأبي أمي ! بكم هدانا الله ، وبكم أحرصنا من
الظلمة إلى النور .

أبان بن عبد الحميد اللّاحق في سوار بن عبد الله القاضى :

لا تَقْدَحِ الظُّنُّ في حُكْمِهِ شَيْعَتُهُ عَدْلٌ وَإِنصافٌ

يَعْمَى إِذَا لم نَلَفَّهُ شُبْهَةً وَفى أَعْرَاضِ الشُّكِّ وَقَافٌ

كان يفتدّ رجلٌ يذكّر بالصلاح والزهّد فقال له رُويم ، فوُلّى القضاء ، فقال الجنيّد:
مَنْ أراد أن يَسْتَوْدِعَ سرَّهُ من لا يَشْبِهُه قَلْبُهُ رُويم ، فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة
إلى أن قنّ عليها .

الأشهب السكوى :

يا أَهْلَ بَنَدَادٍ قد قامت قِيَامَتُكُمْ مد صار قَانِيكُمْ نُوحَ بن دَرَابِر

لو كان حَيًّا له الْحِجَاجُ ما سِلِمَتْ صَحِيحَةٌ يَسده من وَسْمِ حَبَّاجٍ

وكان الحجاج يسم أهدى النقط بالشرائط والثيل .

لما وقعت فتنة ابن الزبير أعتزل مُرَجُّ الفضاء وقال : لا أُنْفِي في الفتنة ؛ فسقَ لا بَقِيَّ نَسْعَ سَنِينٍ ، ثم عاد إلى الفضاء وفد كِبَرَتْ سَهْ ، فامْتَرَتْ رَحْلَ وقد أَنْصَرَفَ من مجلس الفضاء ، فقال له : أما حان لك أن تُخَافَ الله ! كَرِثَ سَنَكَ ، وَفَسَدَ ذَهْنُكَ ، وصارت الأمورُ نَحْوَرُ عَلَيْكَ ، فقال : والله لا يَقُولُهَا بِهَذَا في أَحَدٍ . طَزَمَ بَيْتَهُ حتى مات .

فيل لأبي فِلَالَةَ وقد هَرَبَ من الفضاء : لو أَحْبَبْتُ ؟ قال : أَخافُ الْهَلَاكَ ، فَبَل : لو أَجْنَهَدْتُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ بَأْسٌ ؛ قال : وَبَنَحْكُمْ ! إِذَا وَفَعُ السَّاحِجُ فِي الْبَحْرِ كَمْ عَسَى أَنْ يَسْتَسِحَّ !



دعا رَحْلُ لِسُلْهَانَ الشَّادِ كَوْنِي ، فقال : أَرَأَيْتَ اللهُ يَا أَا أَبُوتَ عَلَى فُضَاءٍ بِسَهْان ! قال : وَبَنَحْكَ ! إِنْ كَانَ وَلَايَةً فَتَلِي خَرَايَجَهَا ، فَإِنْ أَحْذَرَ أَمْوَالُ الْأَعْيَاءِ أَهْلُهُ مِنْ أَحْذَرَ أَمْوَالِ الْأَيْتَامِ .

ارْتَمَتْ حِمْلَةٌ بِتُ عَبَسَى بْنِ حِرَادٍ - وَكَانَتْ حِمْلَةً كَالْمِمْهَى - مَعَ خَصْمٍ لَهَا إِلَى الشَّعْبِيِّ - وَهُوَ قَاضِي عَدْرِ اللَّكِّ - فَطَعَنَى لَهَا ، فقال مُدَّ بِلِ الْأَنْجُمِيِّ :

فَوَيْلَ الشَّعْبِيِّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَنَنَّتْهُ بِتَنَابِهَا هَا وَمَوْسَى حَايِبِيهَا
وَمَشَتْ مَشْيًا رُوْهُدًا ثُمَّ هَزَّتْ مِنْكِبِيهَا
فَقَطَعَى جَوْرًا عَلَى الْحَدِّ مِمَّ وَلَمْ يَنْصَرِ عَلَيْهَا

فَضَبَضَ الشَّعْبِيُّ عَلَيْهِ وَضَرْبَهُ ثَلَاثِينَ سَوْطًا .

قال ابنُ أَبِي لَيْلَى : ثُمَّ انْصَرَفَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا مِنْ مَجْلِسِ الْفُضَاءِ وَفَدَّ شَاعَتْ الْأَيْتَامُ

وَنَاشَدَهَا النَّاسُ ، وَنَحْنُ مَعَهُ ، فَرَرْنَا بِمَحَادِمِ نَسْلِ الثَّهَابِ ، وَنَقُولُ :

• قُبَيْنَ الشَّعْبِيُّ لَنَا •

وَلَا تَحْمِلُ نَنْقَةَ الْبَيْتِ ، فَوْخَ عَلَيْهِمَا وَلَقْنَهَا ، وَقَالَ :

• رَفَعَ الْعَرُوفَ إِلَيْهَا •

ثُمَّ صَحَكَ وَقَالَ : أَمَدَهُ اللَّهُ ! وَافْتَرِ مَا فَصَبْنَا ^(١) لَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ .

جَاءَتْ أَسْرَاءُ إِلَى قَاسٍ فَكَانَتْ : مَاتَ بَعْلِي وَتَرَكَ أَبُوَيْنِ وَأَبْنَا وَبَنِي عَمٍّ ، فَقَالَ الْقَاسِي :

لَأَبُوَيْهِ الشُّكْلُ ، وَلَأَبُوهُ الْيَتَمُ ، وَلَكَ اللَّائِمَةُ ، وَلَسَى عَمَّةُ الدَّكَّةِ ، وَأَحْمِلِي الْمَالَ إِلَيْنَا إِنْ نَرْتَفِعُ الْمَحْصُومُ !

لَقِيَ سُفْيَانُ التَّوْرِيُّ شَرِيكَاً بَعْدَ مَا أَسْتَعْفَفَ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالْعِيْنِ
وَالصَّلَاحِ نَذِيَّ النِّصَاءِ ! قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، قَهْلُ النَّاسِ بَدٌّ مِنْ قَاسٍ ! قَالَ : وَلَا يَدَّ يَا أَبَا
عَبْدِ اللَّهِ لِلنَّاسِ مِنْ شُرَيْطِي .

وَكُنَ الْحَسَنُ بْنُ صَالِحٍ بَنٍ يَقُولُ لَنَا وَلِيَّ شَرِّكَ النِّصَاءِ : أَيُّ شَيْخٍ أَفْسَدُوا !

قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَبَا ذَرٍّ ، اعْقِلْ ^(٢)

مَا أَقُولُ لَكَ ؛ جَعَلَ يَرُدُّهَا عَلَيَّ سِتَّةَ أَهَامٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي فِي الْيَوْمِ السَّامِعِ : أَوْسَيْكَ بِتَفْوَى اللَّهِ وَ
مَرِّ بِرُفْكَ وَعَلَا بَيْتَكَ ، وَإِذَا أَسَأَتْ فَأَحْسِنْ ، وَلَا نَسْأَلُنْ أَحَدًا شَيْئًا وَلَوْ سَفَطَ سَوْطُكَ ،
وَلَا نَنْظُرُنْ أَمَانَةً ، وَلَا نَلِيسَ وَلَا بَذَ ، وَلَا نَكْفُلُنْ بَقِيَّةً ، وَلَا نَعْلَمُنْ بَيْنَ أُمَّتَيْنِ » .

أَرَادَ عُبَيْدُ بْنُ عَفْسَانَ أَنْ يَسْتَقْضِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ قَدْ صَحَّحْتَ إِلَيَّ
سَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ يَقُولُ : « مِنْ أَسْمَاءَ بِاللَّهِ فَدَعَا بِمَعَادِ » ، قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنِّي أَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْكَ أَنْ تَسْتَنْصِبَنِي .

(١) ١ ، ٢ : « قُبَيْنَ » ، وَأَيُّتَ مَا قِيَ . (٢) وَد : « اسْلِ » .

وفد ذكر الغناه في آداب القاضي^(١) أمورا، قالوا: لا يجوز أن يقبل هدية في أيام القضاء، إلا ممن كانت له عادة بهدي إليه قبل أيام القضاء، ولا يجوز قبولها في أيام القضاء ممن له حكومة وخصومة، وإن كان ممن له عادة فدية، وكذلك إن كانت الهدية أفس وأرفع مما كانت قبل أيام القضاء لا يجوز قبولها. ويجوز أن يحضر القاضي الولاة، ولا يحضر عند قوم دون قوم؛ لأن الاختصاص بشيء بالليل، ويجوز أن يهود للرضى، وبشهادة الجنان، وبأني مقدم النائب، وبكره له مباشرة البيع والشراء، ولا يجوز أن يلقى وهو عريان ولا حائض ولا عطفان، ولا في حال الحزن الشديد، ولا المرح الشديد، ولا بغي والتماس بغيره، والرض بغيره، ولا هو يدفع الأحدثين، ولا في حر مريض، ولا في برد مريض، ويلبى أن مجلس للحكم في موضع بارد يصل إليه كل أحد، ولا يمتنع إلا لعذر، ويستحب أن يكون عليه فبجاء لا يظن ذلك هو أيضا. وبكره الخلو في الساحد للقضاء، فإن احتاج إلى وكلاء، سار أن يخدمهم ويوسمهم بالرفق بالحسوم. ويستحب أن يكون له مجلس، وأن يتخذ كتابا في احتاج إليه، ولئن شرط كانه أن يكون عارفا بما يكتب به عن القضاء.

وأختلف في حواجز كونه دينا؛ والأظهر أنه لا يجوز. ولا يجوز أن يكون كانه فاسدا، ولا يجوز أن يكون الشهود عنه قوما معنيين، بل الشهادة عامة فحين استكمل شروطها.

الأفضل:


ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّاكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ أُخْيَارًا، وَلَا تُولِّمْهُمْ عُيُوبًا، وَأَثَرًا، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالظُّلْمَةِ. وَنَوْحٌ مِنْهُمْ أَهْلُ التَّجَرُّبَةِ وَالْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَحْلَافًا، وَأَسَجُّ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْعَمَلِ مَعَ إِشْرَاقًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَائِدِ الْأُمُورِ نَظْرًا.

(١) كما في ١، وهو المواب و ١ ب : « القضاء ».

ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِغْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا نَحْتَثُ أَبْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ، أَوْ تَلَمَّحُوا أَمَانَتَكَ .
ثُمَّ نَفَّذْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْتِغِ الْعُيُونََ مِنْ أَهْلِ الْعُدْفِ وَالْوَقَاهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَمَاهُكَ فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّقْصِ بِالرَّعِيَةِ . وَتَحْفَظْ مِنَ الْأَعْوَالِ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ يَسَطُّ بَدَنَهُ إِلَى خِيَانَتِهِ اخْتِصَمَتْ بِهَا عَلَيْهِ بِفَدَاكَ أَخْبَارُ عُيُوكَ، اسْتَفْتَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْقُبُورَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِحَقِّكَ الْمَذْلُومَ، وَوَسَّيْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التَّهْمَةِ .

• • •

الْيَسْرُوحُ :

لما فرغ عليه السلام من أمر المعاشاء  شرع في أمر المعال ، وهم ممال السواد والصدقات والوفور والصالح وغيرها ، فقرر أن يستعملهم بمد احتيارهم وتحريرهم ، وألا يولهم عمالة لهم ، ولأن يشفع قلوبهم ، ولا ياتوا ولا ياتوا عليهم .
كان أبو الحسن بن الفرات يقول : الأعمال للكفاية من أصحابنا ، وفصاه الحقوق على خواص أموالنا .

وكان يحيى بن سلك يقول : مَنْ تَسَبَّحَ إِلَيْهَا بِشِيعَةِ فِي عَمَلٍ ، صَدَّ حُلَّ عِنْدَمَا عَمَلَ مِنْ بَنِيهِ بِغَيْرِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَنْهَضْ بِنَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ لِعَمَلِ أَهْلًا .
ووقع جعفر بن يحيى في رُفْعَةٍ مَنْحَرَمَةٍ بِهِ : هَذَا فَتَى لَهُ حُرْمَةُ الْأَمَلِ ، فَامْتَحَنَهُ بِالْعَمَلِ ؛ فَإِنْ كَانَ كَافِيًا فَالْإِسْلَامُ لَهُ دُونُنَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَافِيًا فَحُجَّتُ لَهُ دُونُ السُّلْطَانِ .

ثم قال عليه السلام : « فُلَاهُمَا - بَعْنِي اسْتَعْمَلُهُمُ لِلْجَاهَةِ وَالْأَثَرَةِ - جَاعَ مِنْ شُبِّ الْحَوَرِ وَالْحَيَاةِ » . وقد تقدم شرح مثل هذه اللفظة ، والمضى أن ذلك يجمع ضروريا من الحور والخيانة .
أما الجور فإنه يكون قد عدل عن المستحق إلى غير المستحق ففي ذلك جور على المستحق ،

وَأَمَّا الْخِيَانَةُ فَلَأَنَّ الْأَمَانَةَ تَتَنَفَّضُ تَغْلِبَةَ الْأَعْمَالِ الْإِكْفَاءِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ فَغَدَّ خَانَ مِنْ وُلَاهُ .

ثم أمره بتخبر مَنْ قد جَرَّبَ ؛ وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ وَالْأَشْرَافِ لَشَدَّةِ الْحَرَصِ عَلَى الشَّيْءِ وَالْخُوفِ مِنْ فَوَاتِهِ .

ثم أمره بإسباغ الأُذُنِ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ الْجَائِعَ لَا أَمَانَةَ لَهُ ؛ وَلِأَنَّ الْحَبِجَّةَ نَسْكَونَ لِأَرْمَةٍ لَمْ يَنْ خَانُوا ، لِأَمْرِهِمْ فَدَكُّوا مَوْنَهُ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَا فَرَضَ لَمْ مِنَ الْأُذُنِ^(١) .
ثم أمره بالتطلع عَلَيْهِمْ وَإِذْكَاهُ^(٢) الْعَبْرُونَ وَالْأَرْصَادُ عَلَى حَرَكَاتِهِمْ .

وَحِدْوَةَ بَاعِثٍ ، بِقَالَ : حَدَّثَنِي هَذَا الْأَمْرَ حَدَّثُونِي عَلَى كَذَا ؛ وَأَصْلُهُ سَوْنِي الْإِبِلَ ، وَيُقَالُ لِلشَّيْءِ حَدْوَاءٌ ؛ لِأَنَّهَا نَسَوْنَ السَّحَابَ .

ثم أمره بمؤاخضة مَنْ تَبَيَّنَتْ خِيَانَتُهُ وَاسْتِنَادَةُ الْمَالِ بِهِ ؛ وَفَدَّ صَنَعَ عَمْرٌ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ ؛ وَذَكَرْنَاهُ هَاهُنَا نَقْدًا .



قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَادِ لِعَامِلٍ مِنْ عِمَالِهِ : كَيْفَ يَوْمُكَ بِاللَّيْلِ ؟ قَالَ : أَنَامُهُ كُلَّهُ ، قَالَ : أَحْسَنْتَ ! لَوْ سِرِفْتَ مَا نَعْتَ هَذَا الْيَوْمَ .

الاضْمِلْ :

وَنَقَفْتُ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ ؛ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِيَنْ سَوَاعُثُ ، وَلَا صَلَاحَ لِيَنْ سَوَاعُثُ إِلَّا بِسَبَبٍ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَلَّمَهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَعْلَى .

وَلَوْ كُنَّ تَنْظُرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ تَنْظُرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَدْرُكُ إِلَّا بِالْمِيزَةِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ رَعْبَرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْإِلَادَ ، وَأَخْلَفَكَ

أَيَّامَهُ ، وَلَمْ يَسْتَحِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا ؛ فَإِنْ شَكَّوْا قِتْلًا أَوْ عِلَّةً ، أَوْ انْطِغَاعَ شَرْبٍ ، أَوْ بَالِغٍ ، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ ؛ خَفَّتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجَّوْا أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ .

وَلَا يَنْفُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ الْعَوَاثِلُ عَنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ بَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَنَزَاجِنِ وَلَا يَتِيكَ ؛ مَعَ اسْتِجْلَالِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِغَاثَةِ الْمَدْلِ فِيهِمْ ؛ مُتَّعِدًا فَعَلَ فَوَاسِيَهُمْ ، بِمَا ذُخِرَتْ عَنْهُمْ مِنْ إِجْمَاعِكَ لَهُمْ ؛ وَالتَّغَرُّ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ ؛ فَرَسًا حَدَّثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلَ بِهِمْ هَلَكُومٌ مِنْ تَمُدُّ احْتِمَالُو ؛ طَبَقَ أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعُمَرَاءَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلَتْهُ ؛ وَإِنَّمَا بَوَّأَ خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِفْوَاظِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّمَا يُعْيِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْإِوْلَاءِ عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَسُوءَ ظَنِّهِمْ بِالْإِيْمَانِ وَفِعْلِهِ انْتِمَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ .

مَرْكَبُكُمْ بِحَسْبِ عِلْمِكُمْ

البُشْرُحُ :

استغل عليه السلام من ذكر المال إلى ذكر أرباب الحراج ودَهَافِينَ السَّوَادِ ، فقال :
تَعْقِدُ أَمْرَهُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ ؛ وَكَانَ بَقَالٍ : اسْتَوْسُوا بِأَهْلِ الْحَرَاكِ ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ سَمَانًا مَا سَمَّيْتُمْ .

وَرَفَعَ إِلَى أَنْوْشِيرَوَانَ أَنَّ عَامِلَ الْأَهْوَازِ قَدْ حَلَّ مِنْ مَالِ الْحَرَاكِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَادَةِ ؛ وَرَبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ قَدْ أَخْجَفَ بِالرَّعْبَةِ ، فَوَقَّعَ : يُرَدُّ هَذَا الْمَالُ عَلَى مَنْ قَدْ اسْتَوْقَى مِنْهُ ؛ فَإِنَّ نَكْثِيرَ الْبَلِّكَ مَالَهُ بِأَمْوَالِ رَعِيَّتِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَحْصَنُ سَطْوَحَهُ بِمَا يَقْتَلِمُهُ مِنْ فَوَاعِدِ بَيْتِيَّاهُ .

وكل على خاتم أتوسر وإن : لا يكون مُهران ، حيث يجوز السلطان .

وروى : « استحلاب الخراج » بالخاء .

ثم قال : « فإن شكوا غفلاً » ، أى نقل طسق^(١) الخراج المضروب عليهم ، أو نقل وطأة العامل .

قال : « أو علة » ، نحو أن بسبب العلة آفة كالجراد والبرق أو البرد .

قال : « أو انقطاع شرب »^(٢) ، بأن ينقص الماء في النهر ، أو تنملق أرض الشرب عنه لفقد الخدير .

قال : « أو بالة » ، بمعنى للطر .

قال : « أو إحالة أرض انتمرها غرق » ، أى أو كونه الأرض قد حالت ، ولم يحصل منها ارتفاع ؛ لأن الغرق عمرها وأصل روعها .

قال : « أو أخضب بها عطش » ، أى أن تلحقها شدة العطش .

فإن قلت : فهذا هو انقطاع الشرب ؟

قلت : لا ، قد يكون الشرب عبر منقطع ، ومع ذلك يُخفف بها العطش ، بأن لا يكفها الماء الموجود في الشرب .

ثم أسره أن يخلف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك ؛ فإن التخفيف يُصلح أمورهم ، وهو وإن كان يُدخِل على المال نقصاً في العاجل إلا أنه يقتضى^(٣) توفير زيادة في الآجل ؛ فهو بمنزلة التجارة التي لا بدّ فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه .

(١) في المان من التهذيب : « الطسق شبه الخراج له مقدار معلوم ؛ وليس يعرف حاله » .

(٢) الشرب بالكسر : العصب من الماء .

(٣) في د « يفضي إلى » .

قال : « ومع ذلك فإنه ينبغي إلى تزين بلادك بهارسها ، وإلى أنك تخرج بين
الولاة بإفانسة العدل في رعيتك معتمداً فضّل قوتهم » ؛ و « معتمداً » ، منصوب على الحال
من الصبر في « حقت » الأولى ، أي حقت عنهم معتمداً بالتخفيف فضل قوتهم .
والإحجام : الترميه .

ثم قال له : وربما احتجنت فيها بعد إلى نكفهم عبادت يحدث عندك المساعدة
بحال يقسطونه عليهم قرضاً أو مونة محبة ؛ فإذا كانت لهم ثروة نهضوا بمثل ذلك ، طيبة
قلوبهم ^(١) .

ثم قال عليه السلام : فإن العمران بمنزل ما حكته .

صحت أبا محمد بن حليد . وكان صاحب ديوان الخراج في أيام الناصر لدين الله .
يقول لمن قال له : قد قيل عنك : إن واسط والمصرة قد حرم لشدة العنف بأهلها في
تحصيل الأموال ! فقال أبو محمد : ما دلم هذا الشطط أعماه ، والنزول ما بنا في منابته بحاله ،
ما تحرب واسط والمصرة أبداً . *مرآة العقول في شرح شرح المنهاج*

ثم قال عليه السلام : « إنما نُزِّي الأرض » ، أي إنما تُدْفَن من إعمار أهلها ،
أي من فقرهم .

قال : والموجب لإعمارهم طمع ولائهم في الحماية وجمع الأموال لأنفسهم ولسلطانهم
وسوء ظنهم بالبقاء بمحتمل أن يريد به أنهم يهلكون طول الدماء ويسبون الموت والزوال .
وبمحتمل أن يريد به أنهم يتحيلون القزل والصرف ، فينهرون الغرس ، وينتطمون الأموال ،
ولا ينظرون في عمارة البلاد .

[عهد سابور بن أردشير لابنه]

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاماً يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا العهد ؛ وهو قوله :

واعلم أن قولاً أمرتك بدور الحراج ، ودور الحراج بمسرة البلاد ، وبلغ النابغ ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم ، والعونة لهم ؛ فإن بعض الأمور لبعض سبب ، وعوام الناس ثغواتهم عدوة ، وبكل صنف منهم إلى الآخر حاجة ، فاختر لذلك أفضل من ندر عليه من كتابك ، وليكوبوا من أهل النصر والتماع والكفاية ، واسرسل إلى كل امرئ منهم شخصاً^(١) بصطلع به وبمكته نحيل الفراغ منه ؛ فإن اقلعت على أن أحداً منهم خن أو نمدى فتكل به ، وإمام في شئته ؛ واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير حراجها إلا بعيد الصوت ، العظيم شرف النزلة ، ولا تولين أحداً من مواد حنك الدين هم غدة للحرب ، وحن من الأعداء ، شئنا من أمر الحراج ؛ فملكهم من بعضهم على خيانة في المال ، أو نضيب للعلم ؛ فإن سوءتة المال ، وأعصبت له على التضييع ، كان ذلك هلاكاً وإساراً بك وبرعتك ، وداعية إلى فساد غيره ؛ وإن أنت كافأته فند استعدته ، وأصفت^(٢) صدره ، وهذا أمر نوقبه حزم ، والإقدام عليه حرق ، والتقصير فيه عجز .

واعلم أن من أهل الحراج من يلجئ بعض أرسه وضباعه إلى خاسة الملك وبطائه ؛ لأحد أمرين ؛ أنت حري تكرهتهما ؛ إما لامتناع من جور المال وعظم الولاية ؛ وذلك منزلة يظهر بها سوء أثر المال وضعف الملك وإحلاله بما تحت يده ، وإما للدفع عما يلزمهم

(١) في د د شعفا . (٢) في د د وأصفت .

من الحق والتيسر له ، وهذه خلة تفسد بها آداب الرعية ، وتشتت بها أموال الملك ، فاحذر ذلك ، وعاقب اللتجئين واللجأ إليهم .



ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضياع والزرع ، فرأى عمارة حسنة ، فمتجّب منها ، تخاف أهلها أن يزيد في خراجهم ، فلما نزل دعا حوّه البلد ، وقال : بارك الله عليكم ، فقد أحسنت المارة ، وقد وضعت عنكم مائة ألف درهم . ثم قال : ما توفر على من نهالك غيرهم على المارة وأمنهم جورى أضاف ما وضعت عن هؤلاء الآن ؛ واللهى وضمنه بقدر ما يحصل من ذلك ، ونواب عموم المارة وأمن الرعية أفضل ربح .



مركز تجميع النسخ

الأفضل :

ثم انظر في حال كتمانك ؛ فقل على أمورك خبرهم ، واخصم رسالتك التي تدخل فيها مكائده وأسرارك ، بأجمعهم يؤجود سايح الأهلاني بمن لا قسطه الكرامة ، فيجترى بها عليك في خلاف لك يحطره ملا . ولا تفصر به العنلة عن إيراد مكانات عمالك عليك ، وإذ لك جواباتها على الصواب عنك ، وربما يأخذ لك ويحلى منك ، ولا يصعب عهدا المنقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عهد عليك ، ولا يجهل منفع قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل يقدر نفسه يكون يقدر غيره أجهل .

ثم لا تكن اخبرك إياهم على فراسيتك واسنياميك وحسن الظن منك ،

فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِلْغَرَسَاتِ الْوَلَايَةِ يَتَسَنَّبُهُمْ وَحُسْنُ حَدِيثِهِمْ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ تَمَيُّنٌ ؛ وَلَكِنْ اخْتِبَرْنَاهُمْ بِمَا وَلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ ، فَاعْمِدْ لِأَخْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْمَأْمَنَةِ أَتْرَابًا ، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَرِيْسٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِيٍّ ، وَلِيْنٌ وَلَيْتَ أَمْرٌ .

وَاجْتَمِعْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ ؛ لَا يَتَمَهَّرُهُ كِبَرُهَا ، وَلَا يَنْشَقُّ عَلَيْهِ كِبَرُهَا ؛ وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ مَيِّبٍ فَتَنَابَيْتَ مِنْهُ الزَّمَنَةُ .

• • •

[فصل فيما يجب على مصاحب الملك]



البُشْرُخُ :

لما فرغ من أمر الحراج ، شَرَعَ فِي أَمْرِ ^(١) الْكِتَابِ الَّذِي يُلَوِّسُ أَمْرَ الْحَصْرِ ، وَيَتَسَدَّدُونَ عَنْهُ إِلَى عَمَلِهِ وَأَمْرِهِ ، وَإِلَيْهِمْ تَعَالَى التَّدْيِيرُ وَأَمْرُ الدِّيْوَانِ ، فَأَمَرَ أَنْ يَتَخَبَّرَ الصَّالِحُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ يُوَفِّقُ عَلَى الْإِطْلَاحِ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْمَكَايِدِ وَالْحِيلِ وَالتَّسَدِيدَاتِ ، وَمَنْ لَا يُبْطِرُ الْإِكْرَامَ وَالتَّقَرُّبَ ، فَيُطْلَعُ فَيُحْزَنُ عَلَى غَالَتِهِ فِي مَلَأَةٍ مِنَ النَّاسِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ ، فَقَدْ ذَلِكَ مِنَ الْوَهْنِ لِلْأَمْرِ وَسُوءِ الْأَدَبِ الَّذِي انْكَشَفَ الْكَافُ عَنْهُ مَا لَا خِفَاءَ بِهِ .

قال الرشيد للكِسَائِي : « يا عليُّ بنُ حمزة ، قد أحققتك الحقُّ الذي لم تكن تعلمه ممثلك ، فرونا من الأستعمار أعينها ، ومن الأحاديث أحتمها لحاسن الأخلاق ، وداكرنا بأدب الرُّمُسِ والمهند ، ولا تُسرِعْ علينا الرَّدَّ فِي مَلَأَةٍ ، ولا تترك تنغيثنا في خلا .

وفي آداب ابن الفقع : لا نكُونْ صَاحِبَكَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بِمَدِّ رِاحَةٍ مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى

طاعهم في الكروه عندك وموافقتهم فيها خالك ، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، فإن كنت حافظاً إذا ولوك ، حذراً إذا قربوك ، أميناً إذا ائتمنوك ، تعلمهم وكأنتك تتعلم منهم ، وتأذبهم وكأنتك تنأذب بهم ، وتشكرهم ولا تنكفهم الشكر ؛ ذليلاً إن صرموك ، راضياً إن أسخطوك ، وإلا فالبعد منهم كل البعد ، والحذر منهم كل الحذر . وإن وجدت عن السلطان وصحبته عرق فاستغن عنه ، فإنه من يخدم السلطان حتى خدمته بحمل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الأخرى ، ومن يخدمه غير حتى الخدمة فقد احتمل ورر الأخرى ، وعرض نفسه للهلكة والضيعة في الدنيا . فإذا صحت السلطان فملك بطول اللازمة من غير إبلال ، وإذا تولت منه بمنزلة النفقة فاعزل عنه كلام اللقي ، ولا تسكر له من الدعاء ، ولا تردن عليه كلاماً في حقل وإن أحطت فلا تدخلت به فصر في رفق ، ولا يكونن طلبك ما عنده بالسألة ، ولا تسبغته . وإن بطل ، ولا تخبر أنه أن لك عليه حقاً ، وأنتك تعتمد عليه يلاء ، وإن استعظمت ألا تنسى حقك وبلائك بتجديد التمسح والاجتهاد فافصل ، ولا تسلبه الجهود كله من نفسك في أول صحبتك له ، وأعد موضعاً للزبد . وإذا سأل غيرك عن شيء فلا تكن الحبيب .

واعلم أن استلابك الكلام خفة فيك واستخفاف منك بالسائل والسئول ، فإذا أنت قائل إن قال لك السائل : ما بآيك سألت ؛ أو قال السئول : أجب بعبالته وعادته آيها المعجب بنفسه ، والمنسحق بإسقاطه .

وقال عبد الملك بن صالح لمؤدبر ولده بعد أن أخصه بمجالسته وعادته : يا عبد الله ، كن على ألتماس الحظ فيك بالسكرات أحرص منك على التماسه بالكلام ، فإنهم قالوا : إذا أعجبك الكلام فاصمت ، وإذا أعجبك الصمت فسكرت . وأعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار القطن المنفقد ، فإن ابنته بصحبته فأحزرس ، وإن عوفيت فأشكر الله على السلامة ، فإن السلامة أصل كل نعمة . لا تساعدني على ما يفتح بي ، ولا تردن على

خطأ في مجلس ، ولا نكأني جواب التهمة والتهمة ، ودع عنك : كيف أصبح الأمير ، وكيف أمسي ! وكأني بقدر ما أسنطفت ، واجعل بكل التفريط في صواب الاستماع مني . واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، فإذا سمعتني أنحدث فلا يفوتك منه شيء ، وأرى فهمك إباء في طرفك ووجهك ، فما عنتك بالملك وقد أحلك عمل العجب بما يسمعك إباء ، وأحطته عمل من لا يسمع منه ! وكل من هذا يجهل إحسانك ، ويضيع حق حرمك ، ولا نستدع الزيادة من كلامي بما يظهر من استحسان ما يكون مني ، فمن أسرا حالا ممن يستكد اللوك بالمامل ، وذلك بدل على نهاونه قدر ما أوجب الله تعالى من حنهم . واعلم أنني حدثك مؤدبا ، بعد أن كنت مملبا ، وحنك حليبا مغربا بعد أن كنت مع العتيان مباعدا ، فلي لم نعرف بفصل ما خرجت منه ، لم نعرف رُجحان ما دخلت فيه ، وقد قالوا : من لم يعرف سوء ما أولى ، لم يعرف حسن ما أبلى .

مركز توثيق ودراسات

ثم قال عليه السلام : ولبيك كأنك غير منصرف من عرض مكتوبات عمالك عليك ، والإجابة عنها حسن الرأفة والنيابة منك فيها بمنح ته لك عليهم من مكتوباتهم ، وما يُصدره عنك إليهم من الأحوبة ، فإن عَدَدَ لك عدا فواء وأحكمه ، وإن عَدَدَ عليك عدا اجتهد في نفيته وحله . قال : وأن يكون عارة نفسه ، فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره .

ثم نهاه أن يكون مسند أخباره لخواه فراسته فهم ، وغلبة طئه بأحوالهم ، فإن التدليس بهم في ذلك كثيرا ، وما زال الكتاب ينصمون للأمرأ بعُسن الظاهر ، وليس وراء ذلك كثير طائل في النصيحة والمعرفة ، ولكن ينبغي أن يرجع في ذلك إلى ما حكمت

به التجربة لهم ، وما يؤتوه من قبل ، فإن كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم هم ، وإلا فلا ، وبشر فون لمراسات الولاة ، يحملون أنفسهم بحيث يعرف بضروب من التصنع ، وروى : « بشر فون » .

ثم امره أن يتسم فتون الكتابة وضروبها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء ، والآخر لأجوبة عمال السواد ، والآخر بحضرة الأمير في خاصته ودلوه ، وحاشيته وثقائه .

ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما ينماى عنه ، وبمناقل من عيوب كتابه ، فإن الدين لا يبيع الإعضاء والفعله عن الأعداء والحول ، ويوجب التطلع عليهم .



[فصل في الكتّاب وما يلزمهم من الآداب]

واعلم أن الكاتب الذي يشتر أمير المؤمنين عليه السلام إليه هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح الرقي وزيراً ، لأنه صاحب تدبير حصرة الأمير ، والنائب عنه في أموره ، وإليه تصل مكتوبات العمال وعنه تصدر الأجوبة ، وإليه الرّض على الأمير ، وهو المستدرك على العمال ، واليهمين عليهم ، وهو على الحنية كاتب الكتاب ، ولهذا يسمونه : الكاتب المطلق .

وكان يقال : للكاتب على الملك ثلاث : رفع الحجاب عنه ، وأنهاء الوشاة عليه ، وإقضاء السر إليه .

وكان يقال : صاحب السلطان معه ، وكأنه كُله . وبني لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس ، ويدجم العيوس ، ويستخف بالشعاعات .

وكان يقال : إذا كاتب الملك سلميًّا ، والوزير شرًّا ، والغاصي جائرًا ، فرّقوا الملك شعاعًا .

وكان يقال : لا تحفّ مولا الأمير مع رضا الكاتب ، ولا تنفّ برضا الأمير مع سُخط الكاتب ، وأخذ هذا المعنى أبو الفصّل بن العميد فقال :

ورعت أنّك لست تُفكر بعد ما تملّفت بذاك بفرمصة الأسراء

مهبّات قد كذبتك فكرتك آتت فسد أوهمتك غيّت عن الوزراء

لم تُفكر عن أحدٍ مصلًا لم نجد أرضًا ولا أرضَ بغير مصلٍّ

وكان يقال : إذا لم يُشرف الملك على أمور ، صار أعشى الناس إليه وزيره .

وكان يقال : لبس الحرب التشنوم بأسرع في احتياج^(١) الملك من نصيب مراتب الكتاب حتى يسببها أهل التذالّة ، وبرهة فيها أولو الفضل .

مراتبهم بغير حرج

[فصل في ذكر ما نصحت به الأوائيل الوزراء]

وكان يقال : لا تنيء أدهبُ بالدول من أحنكفاء الملك الأمراء .

وكان يقال : من سعادة حذّ المرء ألا يكون في الزمان المختلط وزيرًا للسلطان .

وكان يقال : كأن أشجع الرجال يحتاج إلى السلاح ، وأسقى الخيل يحتاج إلى السوط ، وأحد الشّمار يحتاج إلى السنّ ، كذلك أحزم اللّوك وأعتقهم يحتاج إلى الوزير الصالح .

وكان يقال : صلاح الدنيا بصلاح اللّوك ، وصلاح اللّوك بصلاح الوزراء ،

(١) اجتياح الملك: الذهاب به .

وكا لا يَسْلُحُ الملكَ إِلَّا بنِ بِسَنَقِ السَّكِّ ، كذلك لا تَصْلُحُ الوِزَارَةُ إِلَّا بنِ بِسَنَقِ الوِزَارَةِ .

وكان يقال : الوزير الصالح لا يرى أن صلاحه في نفسه كائن صلاحا حتى يتصل بصلاح الملك وصلاح رعيته ، وأن تكون عنايته فيها عطف الملك على رعيته ، وفيها استعطاف قلوب الرعية العامة على الطاعة للملك ، وفيها فيه رِواء أمر الملك من التدبير الحسن ، حتى يجمع إلى أخذ الحق تقديم عموم الأمن . وإذا طرأت الحوادث ، كن للملك مُدَّةٌ وعنادا ، وللعصاة كافيا عناطا ، ومن ورثها عاصبا ذاتا ، بسية من سلاحها مالا يمينه من صلاح فيه دونها .

وكان يقال : مثل الملك الصالح إذا كان كوبره فاسدا مثل الماء المذهب الصافي وفيه الخساج ، لا يستطيع الإنسان - وإن كان طامحا - وإلى الماء طامحا - دخوله ، حفرا على نفسه .

مرآة السالكين في طريق السعادة

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي حين استخلف : لو كنت كائني وردتني على ما دُفنت إليه أقال : لا أفعل ، ولكنني سأرشدك ؛ أسرع الاستماع ، وأبطل في النصديق حتى بأنيك واضح الرهاس ، ولا تملن منحتك بها نكتني فيه بلسانك ، ولا سوطك بها نكتني فيه بتيجتك ، ولا سبهك بها نكتني فيه بسوطك .

وكان يقال : التناط الكائب للرشا وصبط الملك لا يجتمعان .

وقال أبو يزيد لكانه : اكتم السر ، واصدق الحديث ، واجتهد في النصيحة ، وعليك بالحدود ؛ فإن لك على ألا تجمل عليك حتى استأنى لك ، ولا أبل فيك فولا حتى أصينن ، ولا أطمع فيك أحدا فتغنا ؛ واعلم أنك بمنحاة^(١) رفة فلا تحطتها ، وفي

(١) المنحاة : ما ارضع من الأوس .

ظَلَّ مَمْلُوكُكُمْ فَلَا تَسْتَرْيَلْتَهُ . قَارِبِ النَّاسَ بِحَامِلَةٍ مِنْ نَعْسِكَ ، وَابْعُدْهُمْ مَسَاعِدَ عَنْ عِدْوَتِكَ ،
وَافْعِدْ إِلَى الْجَيْلِ اَزْدِرَاعًا لِنَدِّكَ ، وَنَزْرًا بِالْمَقَافِ صَوْنًا لِمُرُودَتِكَ ، وَتَحْسِنْ عِنْدِي
بِمَا عُدْتُ عَلَيْهِ . احْذَرِ لَا تُسْرِعَنَّ الْأَلْسَنَةَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَنْبَحَنَّ الْأُحْدُوثةَ عَنْكَ ، وَسُرَّنْ
نَعْسَكَ صَوْنَ الدُّرَّةِ الصَّافِيَةِ ، وَأَخْلِصْهَا إِخْلَاصَ النِّصَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَعَاتِبْهَا مَعَانِيَةِ الْحَذِرِ
الشُّفِيِّ ، وَحَصِّنْهَا نَحْصِينَ الدِّبَةِ النُّفِيعَةِ . لَا نَدْعُنْ أَنْ تَرْفَعَ إِلَى الصَّعْبِ فَإِنَّهُ بَدَلٌ عَلَى ^(١)
الْكَبِيرِ ، وَلَا تَسْكُنَنَّ عَنَى الْكَبِيرِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِشَاغِلٍ عَنِ الصَّغِيرِ . هَذَّبْ أُمُورَكَ ثُمَّ الْفَنَى
بِهَا ، وَأَحْكَمْ أَمْرَكَ ثُمَّ رَاجِعِي فِيهِ ، وَلَا تَحْزَنِي عَلَى فَاغِيضٍ ، وَلَا تَنْقُصِي مَتَى
فَأَنْتَهُمْ ، وَلَا تُؤْمِنِي مَا تُلْقَانِي بِهِ وَلَا تُعْجِبِي ^(٢) ؛ وَإِذَا أَفْكَرْتَ فَلَا تُنْجَلِ ، وَإِذَا
كُتِبَتْ فَلَا تُنْذِرِ ، وَلَا تَسْتَعِنَ بِالْمُضُولِ فَإِنَّهَا عِلَاوَةٌ عَلَى الْكُتَابَةِ ، وَلَا تَفْصُرَنَّ عَنِ
التَّحْصِينِ فَإِنَّهَا هُكْمَةٌ بِالْمَقَالَةِ ، وَلَا تَلْبِسْ ^{بِكَلَامِ} كَلَامًا بِكَلَامٍ ، وَلَا تَعْمِدَنَّ مَعْنَى عَنْ مَعْنَى .
وَأَكْرَمِي فِي كِتَابِكَ عَنِ ثَلَاثٍ : ^{تَنْطَوُّعَ بَيِّنَاتِهِ} وَانْتِشَارَ مَهَبَّتِهِ ، وَمَعَانٍ تَقْدُّ بِهِ . وَاجْعِي
الْكُتُبَ مِمَّا تَرِيدِ فِي الْفَالِيلِ مِمَّا تَقُولِ وَلَيْسَكُنْ بِسَطَةٍ كَلَامِكَ عَلَى كَلَامِ السُّوْفَةِ كَسَطَةِ الْمَلِكِ
الَّذِي تَحْدَثُهُ عَلَى الْمُلُوكِ . لَا يَكُنْ مَا نَلَّاهُ عَظِيمًا ، وَمَا تَسَكَّمْ بِهِ صَغِيرًا ، فَإِنَّمَا كَلَامُ السَّكَانِبِ
عَلَى مَنَادِ الْكَلِمَةِ ، فَاجْعَلْهُ عَالِيًا كَمَا تَوْه ، وَهَذَا كَشْفُوهُ ، فَإِنَّمَا جَمَاعُ الْكَلَامِ كُلُّهُ خِصَالُ
أَرْبَعٍ : سَوَائِكَ النُّسَاءِ ، وَسَوَائِكَ عَنِ النُّسَاءِ ، وَأَمْرُكَ بِالنُّسَاءِ ، وَحَبْرُكَ عَنِ النُّسَاءِ ؛ فَهَذِهِ
الْخِصَالُ دَعَائِمُ الْمَنَالَاتِ ، إِنْ التَّمَسَّ بِهَا خُمُسٌ لَمْ يَوْحَسْ ، وَإِنْ نَقَصَ مِنْهَا وَاحِدٌ لَمْ يَتَمَّ ؛
فَإِذَا أَمَرْتَ فَأَحْكَمْ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَأَوْضَحْ ، وَإِذَا غَلَبَتْ فَاصْبِرْ ، وَإِذَا أَخْبَرْتَ فَحَقِّقْ ،
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَخَذْتَ بِجَرَائِمِ الْفُؤُولِ كُلِّهِ ، فَلَمْ يَشْبَهْ عَلَيْكَ وَارِدٌ ، وَلَمْ تُعْجَزْ
صَادِرَةٌ . أَتَيْتُ فِي دَوْلَتِكَ مَا أَخَذْتُ ، وَأَخْصَرْتُ فِيهَا مَا أَخْرَجْتُ ، وَتَبَقُّطُ لِسَانِي لِيُطَى ،
وَنَجَرْدٌ لِي لَا تُأْخِذُ ، وَلَا يَغْلِبُكَ الْقَسِيَانُ عَنِ الْإِحْصَاءِ ، وَلَا الْأَنَاءُ عَنِ التَّقَدُّمِ ، وَلَا تَخْرُجَنَّ

(١) كَذَا فِي أ ، وَهُوَ الْوَجْهُ ؛ وَفِي ب : « عَنْ الْكَبِيرِ » .

(٢) الْفَرِيقُ ؛ التَّوَهُجُ ، وَالتَّضَرُّعُ ؛ أَلَيْتُ بِاللَّيِّ تَلَعًا .

نحو قرّ في المكان واستقرّ ، وعلا رفّته واستعلاه .

وفوله : « استوصوا بالتجارة خيرا » ، أى أوصى بتلك بذلك ، ومسه قول النبيّ صلى الله عليه وآله : « استوصوا بالتجارة خيرا » ؛ ومثمولا « استوصوا وأوصوا » ها هنا محذوفان للعلم بهما ، ويجوز أن يكون « استوصوا » أى أقبل الوصية منى بهم ، وأوصى بهم أنت عبرك .

ثم قسم عليه السلام الوصى بهم ثلاثة أقسام : انان منها للتجارة^(١) ، وهما القم ، والضطرب ، يعنى المسافر ، والضرّ : الضرّ في الأرض ؛ قال نسائي : (إذا غرّبتم في الأرض^(٢)) ، وواحد لأرباب المصانع ، وهو قوله : « والفرق يسدنه » ، ورؤى « بهبه » ، ثلثه بد .



والطّارح : الأماكن البعيدة .

وجب لا يلتزم الناس : لا يهتمون ، ورؤى لا حيث لا يلتزم ؛ محذوف الواو . ثم قال : « فإنهم أولو سنم » ، بنى التجارة والصناع ، استعمله عليهم ، واستأله إليهم .

وقال : لبسوا كمال الحراج وأمرء الأحناد ، فجاشهم بنى أن براى ، وحالهم يجب أن يحمط ويحمى ، إذ لا يتخوف منهم بائعة لا في مال يخنون فيه ، ولا في دولة يفسدونها ، وحوائى البلاد : أطرافها .

ثم قال له : قد يكون في كثير منهم نوع من الشج واليخزل فيدعوم ذلك إلى الاحتكار في الأموات ، والخبث في البياعات . والاحتكار^(٣) : ابتياع التلات في أبلم

(١) د : « التجارة » . (٢) سورة النسا : ١٠٦ .

(٣) د : « الاحتكار » .

رخصها ، وادخلها في المحازن^(١) إلى أبام القلاء والنخبط . والحليف : تطليق في الوزن والكيل ، وزيادة في السر^(٢) ، وهو الذي عثر عنه بالنحكم ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاحتكار ؛ وأما التطليق وزيادة التثنية فنهى عنهما في نص الكتاب^(٣) . وقارَفَ حُكْرَةً ، وافهما ، والحاء مضمومة ، وأمرء أن يؤدب قاعل ذلك من غير إسرائ ، وذلك أنه دون المعاصي التي نوحب الحنود ، فتابه أمره من التمزير الإهانة والنع .

الأفضل :

ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْعَلَفَةِ السَّامِيَةِ مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ ؛ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْيُوسُفَى وَالزُّمْتَى ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَائِمًا وَمُتَعَمِّرًا .

وَاحْذَرِ اللَّهَ مَا اسْتَحْذَرْتَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاحْمِلْ لَهُمْ فِسْعًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ ، وَفِسْعًا مِنْ عِلَالٍ سِوَايَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَلَكٍ ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى ؛ وَكُلُّ قَدَرٍ اسْتُرِعِيَتْ حَقُّهُ .

وَلَا بَشْعَانَتَكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لَا تُعَدِّرُ بِتَضْيِيعِ النَّافِعِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمَوْهِمِ ؛ فَلَا تُشْجِسْ حَمَكَ عَنْهُمْ ، وَلَا تُصْعَرْ حَدَكَ لَهُمْ . وَتَعَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا بَسِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ ، يَمُنْ تَقْدِيسُهُ الْمُبُونُ ، وَتَخْفِرُهُ الرِّجَالُ ؛ فَفَرِّغْ لِأَوَّلِيكَ تَقْتِكَ مِنْ أَهْلِ الْحَشِيَّةِ وَالْتَوَاسِعِ ، فَلْيَبْرَقْ إِلَيْكَ أُمُورُهُمْ .

ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ نَفَاةٍ ؛ فَإِنَّ هُوْلَاءَ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَخْرَجَ إِلَى الْإِنْسَابِ مِنْ قَبْرِهِمْ ؛ وَكُلُّ قَائِدٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ .

(١) د : « المحازن » . (٢) د : « السر » .

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿ وَبُيِّنَ لِلْمُظْلِمِينَ ﴾ .

وَنَهَدُ أَهْلَ الْيَمِينِ ، وَذَوِي الرَّفْرِ وَالسِّنِّ ، يَمْنًا لَا حِيلَةَ لَهُ ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ
نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ تَقْبِيلٌ ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ تَقْبِيلٌ ؟ وَهَذَا بِحَقِّقَةِ اللَّهِ عَلَى أَقْوَامٍ
طَلَبُوا الْعَافِيَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَاتَّقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ .

البَّشْرُ :

انفل من التجار وأرباب الصناعات إلى ذكر فراء الرعية ومغموديهها ، فقال :
وأهل البؤسى ، وهى المؤس كالنمى للنمى ، والزمنى أولو الرمانه .

والفانح : السائل ؛ والمغز : الذى يهرس لك ولا يسألك ، وهما من ألقاب الكتاب
الغريب^(١) .



وأمره أن يعطيهم من بيت مال المسلمين لأشهرهم من الأصناف المذكورين في قوله تعالى :
(**وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**)^(٢) ، وأن يعطيهم من غلات سواى الإسلام - وهى الأرضون
التي لم يؤخف عليها بخيل ولا ركاب - وكانت صافيه لرسول الله صلى الله عليه وآله ،
فلما قضت صارت لفراء المسلمين ، ولما برأه الإمام من مصالح الإسلام .

ثم قال له : « فإن لأقصى منهم مثل الذى لأدنى » ، أى كل فراء المسلمين سواء
في مهامهم ، ليس فيها أقصى وأدنى ، أى لا تؤخر من هو قريب إليك أو إلى أحسب
من غسانك على من هو بعيد ليس له سبب إليك ، ولا علفه بينه وبينك . ويمكن
أن يرد به : لا تصرف غلات ما كان من الموقوف في بعض البلاد إلى مساكين ذلك

(١) وهو قوله تعالى في سورة الحج ٣٦ : (**فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا**) .

(٢) سورة الأهل ٤١ .

البلد خامسة ؛ فلنَ حقَّ البعبد عن ذلك البلد فيها كمثل حقِّ النِّم في ذلك البلد .
 والتائه : الخفي . وأشخصتُ زيدا من موضع كذا ؛ أخرجته عنه . وفلان بصمُرخذَه
 للناس ، أى بسكَبَ عليهم .
 ونفَّجِهم الميون ؛ رُدَّده . ونحْيِرُهُ والإعذار إلى الله : الاجتهاد والمبالغة في نأدبه حتَّى
 والقيام بفرأئعه .

كان بعض الأكسرة يجلس للفظالم بنمسه ، ولا يثنى إلى غيره ، ويقعد بحيث يسمع
 الصوت ، فإذا سمعه أدخلَ التلطَّم ، فأصعب بسمَ في تحفه فادَى مناديه ، إنَّ الملك يقول :
 أيتها الرعيَّة ، إنِّي إن أصبْتُ بسمَ في سمى فمُ أصبُ في نصرى ؛ كلَّ ذى ملامه فلنُبلَّس نوبا
 آخر ، ثم جلس لهم في مستشرق له .
 وكان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت سماء بين القصص ، يُلقي الناس فيه رعاَهم ،
 وكذلك كان فعل المهديِّ محمد بن هارونَ الواقف ، من خلفاء بني العباس .

الأضلُّ :

وَأَجْمَلُ لِدَوَى أَلْحَاجَاتِ مِنْكَ فِيمَا نَقَرُّعُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَنَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا
 عَامًا ؛ فَتَنَوَّاعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقَدِّدُ سَهْمُ جُنْدِكَ وَأَعْوَانِكَ مِنْ أَخْرَاسِكَ
 وَفَرْطِكَ ؛ حَتَّى بِكَلَمِكَ مَسْكَلُهُمْ غَيْرَ مُتَّعِصٍ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ : « لَنْ نَقْدَسَ أُمَّةً لَا يُوْخَذُ لِلصَّيْرِفِ فِيهَا حَقُّهُ
 مِنْ النَّوْرِ ؛ غَيْرَ مُتَّعِصٍ » .

ثُمَّ أَحْتَمِلُ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْيَمَّ ، وَحَ عَنْهُمْ الْمُبْقَى وَالْأَنْفَ ، يَسْطُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ
بِذَلِكَ أَكْثَرَ رَحْمَتِهِ ، وَيُوجِبُ لَكَ نَوَافِلَ مَا عَمِلْتَ هَبِئًا ، وَامْنَعُ
فِي إِجْمَالٍ وَإِعْدَارٍ .

ثُمَّ أَمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا ؛ مِنْهَا إِحَابَةُ عُمَلِكَ بِمَا بَعَا عَنْهُ
كُتَابُكَ ، وَمِنْهَا إِسْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وَرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا فَخَّرَ بِهِ مَدُورُ
أَعْوَانِكَ . وَأَمْنٌ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلُهُ ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا يَمُرُّ .



البشرح :

مَرْفُوعٌ كَمَا فِي مَرْفُوعِ مَرْفُوعٍ

هذا العمل من تنفع ما قبله ، وقد رُوِيَ : « حَتَّى يَكْلَمَكَ مَكَلَمُهُمْ » ، فاعل من « كَلَّمَ »
والرواية الأولى أحسن .

وغير منمنع : عبر مزيج ولا مقلق . والمقتضوع في الخبر النبوي : المزدّد للصعوب
في كلامه عِيًّا من خوف لحقه ، وهو راجع إلى المسمى الأول .

والخرق : الجهل . ورُوِيَ : « ثُمَّ احْتَمِلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْيَمَّ » ، والتيّ وهو الجهل
أبنا ، والرواية الأولى أحسن .

ثم يَبَيِّنُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ هَذَا الْجُلُوسِ لِأَمْرِ آخِرٍ غَيْرِ مَا قَدَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي حَاجَاتِ النَّاسِ مَا يَعْضِي بِهَ صُدُورُ أَعْوَانِهِ ، وَالنَّوَابِ
عَنْهُ ، فَيَتِمَّنْ عَلَيْهِ أَنْ يَاسْتَرْهَا بِنَفْسِهِ ؛ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي كُتُبِ عَمَالِهِ الْوَارِدَةُ عَلَيْهِ

ما يعيا كتابه عن جوابه ، فيجب عنه بعلمه . ويدخل في ذلك أن يكون فيها ما لا يجوز في حكم السياسة ومصلحة الولاية أن يطلع الكتاب عليه ، فيجب أيضا عن ذلك بعلمه .

ثم قال له : لا تدخل عمل يوم في عمل يوم آخر فيضيعك ويكدرك ؛ فإن لكل يوم ما فيه من العمل .

الأصل :

وَأَجَلُ لَيْسِيكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْصَلَ رِزْقِكَ الْمَوَاقِفِ ، وَأَجَزَلُ رِزْقِكَ الْأَفْئَامِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ ؛ إِذَا صَلَّيْتَ فِيمَا النَّبِيُّ ، وَسَلِمْتَ مِنْهَا الرَّسَبَةُ .
وَلَيْسُكَ فِي حَاصَةِ مَا تُخْلِسُ لِرَبِّكَ إِفَامَةُ فَرَانِيهِ الْبَنِي هِيَ لَهُ حَاصَةُ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْسِكَ وَفَهَارِكَ ، وَوَفَى مَا نَقَرْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سُحُفَانَهُ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَتْلُومٍ وَلَا مَنْفُوسٍ ، بَالِقًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ .

وَإِذَا قُفْتَ فِي سَلَانِكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُ مُقَرًّا وَلَا مُسْتَعْمِلًا ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَةُ ، وَلَهُ الْعَاحَةُ ؛ وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهْتَنِي إِلَى الْيَمَنِ : كَيْفَ أَسْأَلُ بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْفَعِهِمْ ؛ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » .

الشرح :

لما فرغ عليه السلام من وصيته بأمر رعيته ، شرع في وصيته بأداء الفرائض التي

افترضها الله عليه من عبادته ، ولقد أحسن عليه السلام في قوله : « وإن كانت كلها لله » ،
أى أن النظر في أمور الرعية مع صحة النية وسلامة النفس من الظلم من جملة العبادات
والفرائض أيضاً .

ثم قال له : « كالملا غير مثاوم » ، أى لا بمحملتك شغل السلطان على أن ينحصر
ال صلاة اختصاراً ، بل صلتها بفرائضها وسننها وشعارها في نهاوك وتليك ؛ وإن أنيك ذلك
ونال من بدتك وفوتك .

ثم أمره إذا سأل بالفاس جماعة ألا يطلع فيتفرم عنها ، وألا يندج الصلاة ويتفصها
فيضيمها^(١) .

ثم روى خبراً عن النبي صلى الله عليه وآله ، وهو قوله عليه السلام له : « سل بهم
كصلاة أضفهم » ، وقوله : « وكن بالؤمنين رحماً » ؛ يحتمل أن يكون من تنمة الخبر
النبي ، ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، والظاهر أنه من كلام
أمير المؤمنين من الوصية للأئمة ؛ لأن الأئمة الأولي عند أبواب الحديث هي المشهور
في الخبر .

الأصل :

وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا ؛ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنْ
الرَّعِيَةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضُّعْفِ ، وَفَلْتَ عِلْمُ بِالْأُمُورِ . وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ
عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْنَرُ عَنْدهُمْ الْكِبِيرُ ، وَيَمْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَفْجُرُ الْحَسَنُ ،
وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَبَسَابُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَتَرَفُّ مَا تَوَلَّى عَنْهُ
النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ مِمَاتٌ تُمَرِّقُ بِهَا ضُرُوبُ الصَّدَفِ مِنَ

(١) د : د : مبهمها .

الْكُذُوبِ ؛ وَإِنَّمَا أَنتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِنَّمَا أَمْرُكَ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدَلِ فِي الْحَقِّ ، فَفِيمَ
أَخْتِجُكَ بِكَ مِنْ وَاجِبٍ حَقٍّ نَفْطِيرٍ ، أَوْ قَدَّرَ كَرِيمٍ نُذِيرٍ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمُنْعَرِ ، فَمَا
أَسْرَعَ كَمَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ ، إِذَا أَسُوا مِنْ بَذَلِكَ ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ
النَّاسِ إِلَيْكَ مَا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شَكَاةٍ مَطْلَمَةٍ ، أَوْ طَلَبٍ لِنَصَابٍ
فِي مُمْلَكَةٍ .

البُشْرُخُ :

نهاه عن الاحتجاب ؛ فإنه مَطْلَمَةُ انْطِواءِ الأمورِ عنه ، وإذا رُفِعَ الحجابُ دخل عليه
كلُّ أحدٍ فَمَرَّفَ الْأَخْبَارَ ، ولم يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أحوالِ عمله .

ثم قال : لم يَخْجِبْ ، فإنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْتَجِبُونَ كَيْلًا يُطَلِّبُ مِنْهُمْ الرُّقْدَ !
وَأَمَّا فَإِنْ كُنْتَ حَوَادِثَ مَحْمُودَةٍ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَى الْحِجَابِ دَارِعٌ ، وَإِنْ كُنْتَ مُمَسِّكًا فَيَسْئَلُ
النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ ، فَلَا يَسْأَلُكَ أَحَدٌ شَيْئًا .

ثم قال : عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَسْأَلُ مِنْكَ مَا لَا مَوْوَنَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ ؛ كَرَدِّ ظُلَامَةٍ أَوْ إِصْصَافٍ
مِنْ حَصْنٍ .

[ذَكَرَ الْحِجَابَ وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ]

والقول في الحجاب كثير :

حضر بابَ عَمْرٍاءَ حَمَاقَةَ مِنَ الْأَشْرَافِ : مِنْهُمْ مُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ وَالْأَفْرَعُ
ابْنُ حَابِسَ ، غَجِبُوا ، ثُمَّ خَرَجَ الْأَدْنُ فَنَادَى : ابْنُ عَمْرٍو ؟ ابْنُ سُلَيْمَانَ ؟ ابْنُ سُهَيْبٍ ؟

فَادْخُلْهُمْ فَمَضَتْ (١) وَجْهَهُ الْقَوْمُ ، فَقَالَ شَهْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو : لَمْ يَتَمَرَّ وَجْهَهُمْ ! دُعُوا وَدُعِينَا فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، وَلَوْ أَنَّ حَسَدَنُومَ عَلَى بَابِ عَمْرِو الْيَوْمِ لَأَنْتُمْ قَدْ أَلْهَمَ (٢) أَحْسَدُ .

وَأَسْتَأْذِنُ أَبَا سُوْفْيَانَ عَلَى عَثَانَ خُجَّيْبَةَ ، فَقِيلَ لَهُ : حَجَّيْكَ ! فَقَالَ : لَا عَدَمْتُ مِنْ أَهْلِ مَنْ إِذَا شَاءَ حَجَّيْتِي .

وَحَجَّيْ مَعَاوَةَ أَبَا الدَّرْدَاءِ ؟ فَقِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : حَجَّيْكَ مَعَاوَةَ ! فَقَالَ : مَنْ يَمْنُنْ أَبْوَابَ السُّلُوكِ يُهَيِّئْ وَيُسَكِّرَمْ ، وَمَنْ صَادَفَ أَبَا ثُلَاقًا عَلَيْهِ وَجَدَ إِلَى جَانِبِهِ بَابًا مَقْتُوحًا ، إِنْ سَأَلَ أُعْطِيَ ، وَإِنْ دَعَا أُحِبَّ ، وَإِنْ بَكَى مَعَاوَةَ قَدْ أُحْتَجِبَ فَرَمَتْهُ مَعَاوَةَ لَمْ يَحْتَجِبْ .

وَقَالَ أَبُو رُبَيْرٍ لِحَاجِبِهِ : لَا تَصْنَعِي شَرِيحًا بِصُعُوبَةِ حَجَابِ ، وَلَا زَقَمًا وَضِيْعًا بِسَهُولَتِهِ ؟ ضَعِ الرِّجَالَ مَوَاضِعَ أَطْطَارِمَ ، فَنِ كُلِّ قَدَمٍ شَرْفُهُ ثُمَّ ارْجُدِيهِ (٣) وَلَمْ يَهْدِمِهِ دَدُ آبَائِهِ قَدَمُهُ عَلَى شَرْفِهِ الْأَوَّلِ ، وَحَسَّنَ رَأْيَهُ الْآخِرَ ، وَمَنْ كُنَّ لَهُ شُرُفٌ مُتَقَدِّمٌ وَلَمْ يَمْنُنْ ذَلِكَ حِيَاةً لَهُ ، وَلَمْ يَرْجُدْهُ تَعْبِيرُ الْفَارَسَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَبَا بَابِهِ مِنْ شَرْفَةِ عَالِمِهِ بِتَضَمُّنِهِ سَائِرَ شُرُفِهِمْ ، وَالْحَقُّ بِهِ فِي شَأْنِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَنْسَى ، وَلَا تَأْذِنُ لَهُ إِلَّا دَرَبٌ وَإِلَّا سَرَارًا ؟ وَلَا نَلْحَنَهُ بِطَبَقَةِ الْأَوَّلِينَ . وَإِذَا وَرَدَ كِتَابٌ عَامِلٌ مِنْ عَمَلٍ فَلَا تَحْسَبْهُ عَنِّي عَارِفَةً عَيْنِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ عَلَى حَالٍ لَا نَسْتَطِيعُ التَّوَصُّلَ إِلَى فِيهَا ، وَإِذَا أَتَاكَ مَنْ يَدْعِي الصَّيْحَةَ لَنَا فَلْتَكُنْهَا سِرًّا ثُمَّ أَدْحِلْهُ بَعْدَ أَنْ تَسْأَلَهُ لَهُ ، حَتَّى إِذَا كُنَّ مَسَى بِحَبْثِ أَرَاهُ فَأَدْفَعُ إِلَى كِتَابِهِ ، وَإِنْ أَحْسَدَتْ قَبِلْتُ ، وَإِنْ كَرِهَتْ رَفَضْتُ . وَإِنْ أَتَاكَ عَالِمٌ مَشْهُورٌ بِالْعِلْمِ وَالْفَصْلِ يَسْتَأْذِنُ ، فَأُذِنُ لَهُ ، فَإِنْ الْعِلْمُ شَرِيفٌ وَشَرِيفٌ سَاحِبُهُ ، وَلَا تَحْجُبِينَ عَنِّي أَحَدًا مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ، إِذَا أُخِذْتُ بِعِلْيَتِي مَجْلِسَ الْعَامَّةِ ، فَإِنَّ الْمُسْلِكَ لَا يُحْجَبُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثٍ : عَمِي يُكْرَهُ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، أَوْ يَخْلُ بِكُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ بَسَائِلِهِ ، أَوْ رِيَّةٌ هُوَ مَعْرُوفٌ عَلَيْهَا فَيَشْفِقُ مِنْ إِهْدَائِهَا ،

(١) نَحَرَتْ وَجْهَهُمْ : تَعَبَتْ غَطًّا وَحَقًّا . (٢) سَاطِطَةً مِنْ د . (٣) لَزْدَرَعِي : أَمْنَتُهُ .

ووقوف الناس عليها ، ولابد أن يجبطوا بها عنقا ، وإن اجتهد في سترها . وقد أخذ هذا المعنى الأخير محمود الوراق فقال :

إذا اعتصم الوالي بإغلاق بابيه ورد ذوى الحاجات دون حجابيه
ظننت به إحدى ثلاث ورثها رَحِمْتُ بظنِّه وأغمر بصوابيه
أقول به مَسٌّ من الميِّ طاهره ففي إذنه للناس إنلهار ما يريه
فإن لم يكن عيَّ اللسان فغالب من الشغل يحمى ماله عن غلابيه
وإن لم يكن لآذا ولادا فربيه بُكَّتْهَا مستورة بتيابيه

أقام عبد العزيز بن زوارة السكلاحي على باب معاوية سنة في ثلثة من صوف لا يأذن له؛ ثم أذن له وقرَّبه وأدامه ، ولَطَفَ بحكِّه عنده حتى ولَّاه مصر ، فكان يقال : استأذن أفوام لعبد العزيز بن زوارة ، ثم صار يستأذن لهم ، وقال في ذلك :

دخلت على معاوية بن حرب ولكن مدبأ من دحولي
وما نلتُ الفخولَ عليه حتى حلفت بحكِّه الرجل الذليل
وأغصبتُ الجموعَ على فذاها ولم أنظر إلى قائلٍ وفيل
وأدركتُ الذي أملتُ منه وحرمتُ المني رادَّ العجول

وبقال : إنه قال له لما دخل عليه أمير المؤمنين : دخلتُ إليك بالأمل ، وأحتملت جفونك بالصبر ، ورأيتُ بياضك أفواما فدسهم الحظ ، وآخرين آخرهم الحرمان ، فليس ينبغي للمقدم أن يأمن عواقب الأيام ، ولا للعوض أن يتيأس من عطف الزمان .

وأوَّلُ المعرُضة الاختيار ، قائلٌ واحترى إن رأيت . وكان يقال : لم يلزم باب السلطان أحدٌ فصَّير على ذلِّ الحجاب ، وكلام البواب ، وألغى الألف ، وحل الضم ، وأدام الملازمة ، إلَّا وصل إلى حاجته أو إلى معظمتها .

قال عبد الملك لحاجبه : إنك عن أنظر بها ، وجئت أستلم بها ، وقد وليت ما وراء
بابي ، فإذا زارك صانعا برعيتي ؟ قال : أنظر إليهم لينك ، وأحلمهم على قدر منازلهم عندك ،
وأضمرهم في إبطائهم عن بابك ، وزوم خدمتك مواضع استحقاقهم ، وأرتبهم حيث وضعهم
ترتيبك ، وأحسن إيلانهم عنك وإبلاغك عنهم . قال : لقد وفيت بما عليك ، ولكن إن
صدفت ذلك بملك . وقال دحبل وقد حجب عن باب مالك بن طوق :

لعمري ثن حجبتني العبدُ لَمَّا حَجَبْتُ دُونَكَ الْغَافِيَةَ (١)
سأري بها من وراء الحجابِ شِعَاءَ تَائِسِكَ بِالْذَّاهِبَةِ
نصير السميع ، ونمعي البصير ويسأل من يثلها الغافية

وقال آخر :

سأرك هذا الباب ما دلم إذني على ما أري حتى يلين قليلا
ما خاب من لم يأت مزفعا ولا كرم من قد دلم فيه دحولا
إذا لم نجد للإذن عندك موعدا وجدنا إلى ترك الهوى سبيلا

وكتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف الكاتب وقد حجبه :

وإن عدت بعد اليوم إني لظالم صأرو وجهي حيث فُني المكالم
منى مُبلج القادى إليك حاجر ونصفت محجوب ، وصفت نائم !
يعني ليلة ونهاره .

استأذن رجلان على معاوية ، فأذن لأحدهما - وكان أشرف مسئلة من الآخر - ثم
أذن للآخر فدخل ، فجلس فوق الأول ، فقال معاوية : إن الله قد أرمنا فأديسكم

كما الركناء رعايتكم ، وإنا لم نأفك له فبك ، ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك ، فقم
لا أقام الله لك وزنا . وقال بشار :

نأبى خلأني حادير وفأله إلا نحبب كل أمر عاب
وإذا أغبنا الباب وقت غدائه أدنى الفداه لنا برعم الحاجب
وقال آخر بهجو :

بألمبر على جريب من الأدر صر له نسمة من الحجاب
فأعد في الخراب بحجب عسا ما سمعنا بحاجب في حراب
وكتب بعضهم إلى حمزة بن محمد بن الناعم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب :
أبا حمزة إن الولاية إن نكن مسته فوسا فأت لها نبل
فلا تزيغ عتا لأمر وليعه كما لم بصغر عندنا شأنك العزل
ومن جيد ما مدح به بشر بن مروان قول النائل :

بعيد مراد القرف ما رد طرفه حدار التواني باب دار ولا ستر
ولو شاء بشر كن من دون بابه طهلم سود أو سقابة مخر^(١)
ولكن بشر يصر الباب لئلى يكون لها في غنها الحد والأجر
وقال بشار :

خليل من كعب أعبا أكا على دهره إن الكريم بمن
ولا تبغلا بخل ابن قرعة إبه غافة أن برجي نداء حزين
إذا جته للرف أغلق بابه فم نقه إلا وانت كمين
فضل لأبي يحيى متى تدركه العلا وفي كل معروف عليك بين !

وقال إبراهيم بن هرمة :

هَمٌّ إِذَا نَزَلَ الْفُؤُودُ بِيَابَهُ سَهْلُ الْحِجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ (١)
وَإِذَا رَأَيْتَ سَدْبَةً وَشَفِيفَةً لَمْ نَدِ أَبَهِمَا دَوَى الْأَرْحَامِ
وقال آخر :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي السَّكْرَمَ إِذَا آتَى عَلَى طَمَعٍ عِنْدَ الثَّمِيرِ بُطَالِيَهُ
وَأُوتِي لَهُ مِنْ عَجَلِينَ عِنْدَ بَابِهِ كَرَرْتَنِي لِلطَّرَفِ وَالْمِنَحِ رَاكِبَهُ
وقال عبد الله بن محمد بن عيسى :

أُنَبِّئُكَ زَائِرًا لِفَضَاءٍ حَقٍّ خَالَ السَّخَرِ دُونَكَ وَالْحِجَابِ
وَرَأَيْ مَذْهَبَ عَنْ كُلِّ نَاهٍ بِعَيْنِهِ إِذَا عَزَّ اللَّهُ الْعَابِ
وَلَسْتُ بِسَالِطٍ فِي فِئَرِ فُؤُودٍ كَرِهُوا كَمَا يَفْعُ الدَّيْبُ
وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى رُلَصٍ نَطَلَبُ الرِّزْقِ وَلَا رَاهِبِ
بَلْ ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَاعِرٍ أَمْسَحَ بِشَكْوَى حَمَوَةِ الْحَاجِبِ
فَدَشَّتَمَ الْحَاجِبَ فِي شَعْرِهِ وَإِنَّمَا يَنْصِيدُ لِلصَّاحِبِ

الْأَسْلُ:

ثُمَّ إِنَّ الْوَالِيَّ حَاسَةً وَبَطَانَةً ، فِيهِمْ السُّنْبُتَارُ وَتَطَاوُلُ ، وَفِيهِ الْإِنصَافُ فِي مُعَامَلَةٍ ،
فَأَحْسِنُ مَثْوَى أَوْلِيَّكَ ، يَفْطَحُ أَسْبَابَ نَيْلِكَ الْأَحْوَالِ ، وَلَا نَفْطَحُ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ
وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ وَاعْتِقَادِ عُنْدِي نَصْرُ مَنْ يَلْبَهُ مِنَ النَّاسِ فِي

يُشْرِبُ أَوْ عَمَلِهِ مُشْرَكَ، يَحْمِلُونَ مَوَدَّتَهُ عَلَى عَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَتَعْيِبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالزَّيْمُ الْحَقُّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْغَرَبِ وَالْبَعِيدِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ صَاحِبًا مُخْلِصًا، وَاقْعًا ذَلِكَ مِنْ فَرَاتِكَ وَحَوَاسِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتِغَاءَ عَافِيَتِهِ بِمَا يَنْفُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ قَالَ مَمَّةَ ذَلِكَ عَمُودًا.

وَإِنْ طَلَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَتْفًا، وَأَسْجَرَ لَهُمْ يَغْدُرُكَ، وَاقْدُلْتُ عَنْكَ طُغُوتَهُمْ بِاسْتِحَارِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِغْدَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ نَفْسِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.



البُشْبُوح :

نهاه عليه السلام عن أن يَحْمِلَ أَقَارِبَهُ وَجَانِبِيَهُ وَحَوَاسِيَهُ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَأَنْ يَكْتُمَهُمْ مِنَ الْإِسْتِثَارِ عَلَيْهِمْ وَالتَّغَاوُلِ وَالْإِذْلَالِ، وَنَهَاهُ مَنْ أَنْ يَنْطَلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ فَطِيْمَةً، أَوْ يَمْلِكَهُ شُبْعَةً نَفَرَ عَنْ بِحَاوِرِهَا مِنَ السَّادَةِ وَاللِّدَاهِنِ^(١) فِي شُرْبِ يَنْفَلُونَ عَلَى الْمَاءِ مِنْهُ، أَوْ يُلْبِغَ بِصَبْغِهَا إِلَى مَا مَلَكَهُمْ إِبَاءً، وَإِعْاءَ لَهُمْ مِنْ مَوْثَةٍ، أَوْ حَمْرٍ وَعَبْرَةٍ، فَيُعَذِّبُهُمُ الْوَلَاءَ مِنْهُ مِرَافِقَةً لَهُمْ، فَيَكُونُ مَوْثَةٌ ذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ قَدْ أَسْفَطَتْ عَنْهُمْ وَجُمْلُ ثَقْلِهَا عَلَى عَيْرِهِمْ.

ثم قال عليه السلام: لِأَنَّ مَمَّةَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا نَسْكَوْنُ لَهُمْ دُونَكَ، وَالرَّوْزَرُ وَالْآخَرَةُ عَلَيْكَ، وَالْمَيْبُ وَالزَّيْمُ فِي الدُّنْيَا أَبْصَا لِاحْفَانِ بَكَ.

ثم قال له: إِنْ أَتَيْتُكَ الرِّعْيَةَ بِحَيْمٍ عَلَيْهِمْ، أَوْ طَلَّتْ بِكَ حَوْرًا، فَادْكُرْ لَهُمْ عَدْرَكَ

(١) اللِّدَاهِنُ: صمغ دغافل؟ وهو من ألفاظ الرُّسَاءِ وَالْأَعَامِ.

في ذلك ، وما عندك ظاهرا غير مستور ، فإنه الأول والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق .

وأصرت بكذا ، أي كشفت ؟ مأخوذة من الإحصار ، وهو الخروج إلى الصحراء .
وحاجة الرجل : أقربه وبطائه . واعندت عقدة ، أي أذخرت ذخيرة . والمهنا مصدر
هنا كذا . ومغبة الشيء : عاقبته .
واعدل عنك ظنونهم : نحمها . والإعذار : إقامة الدثر .

[طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وزاهته في خلافته]

ردَّ عمرُ بنُ عبد العزيز الظالم الذي احتجبها^(١) بنو مروان فأبغضوه وذمُّوه ؟ وفيل :
إنهم صمَّوه مات .

مراحمته في حرمه

ودروى الزبير بن بكار في " الوقفيات " أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز
دخل على أبيه يوما وهو في غائته ، فأبغظه . وقال له : ما يؤمنك أن تؤثني في منامك
وفدؤمت إليك مظالم لم تتع حق الله فيها ! فقال : يا بني ! إن عسى محليتي إن لم أرفق بها
لم نبغني ، إني لو أنسبت عسى وأعوأى لم يكن ذلك إلا قليلا حتى أسفلت وبسفلوا ،
وإني لأحتسب في نومي من الأجر مثل ألفي احتسب في يقظتي ، إن الله جل ثناؤه
لو أراد أن يزل القرآن جملةً لأزله ، ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر^(٢) الإيمان
في قلوبهم .

ثم قال : يعني مما أنا فيه أمر هو أم إلى أهل بيتك ، هم أهل المدَّة والمدد ، وفيلهم
ما قبلهم ، فلو جئت ذلك في يوم واحد خست انتصارهم علي ، ولكنني أصف من الرجل

(١) يقال احتجب فلان الإجم ؟ كأنه حجه واحتجبه من خلفه . (٢) د : د استكثر .

والأثنين ، فيبلغ ذلك من وراءها ، فيكون أنجع له ، فإن يُرد الله إتمام هذا الأمر أتمه ، وإن تسكن الأخرى تحسب عبدٌ أن يعلم الله منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته .

وروى جُوربة بنُ أسماء ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فلما تفرقنا نادى مناديه : الصلاة جامعة ! فحشَّ المسجد ، فإذا عمرُ على المنبر ، تحميدُ الله وأنسى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن هؤلاء — بنى خلفاء بنى أمية قبله — قد كانوا أعطونا عطاءً ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم ، وما كان ينبغي لهم أن يُعطوناها ، وإنى قد رأيتُ الآن أنه ليس على في ذلك دون الله حسب ، وقد بدأت بنفسى والأفرين من أهل بيتي ، افرأ يا مزاحم . فجعل مزاحم يقرأ كتاباً فيه الإفطاعات بالضباع والتولحي ، ثم يأخذ عمر بيده فينفضه بالجلثم ^(١) ، لم يزل كذلك حتى ودنى بالظهر .

وروى الثراث بنُ السائب ؛ قال : كان عند فاطمة بنت عبد الملك بن مروان حوهر جليل ، وحنها أوهها ، ولم يكن لأحد منه ، وكانت تحت عمر بن عبد العزيز ، فلما ولي الخليفة قال لها : اختاري ؛ إما أن تردى جوهرك وحليتك إلى بيت مال المسلمين ، وإما أن تأذني لي في فراغك ، فإنني أكره أن أجمع أنا وأنتِ وهو في بيت واحد . فقالت : بل أختارك عليه وعلى أضافته لو كل لي ؛ وأمرت به فحمل إلى بيت المال ، فلما هلك عمر وأستخلف يزيد ابن عبد الملك قال فاطمة أخته : إن شئتِ رددته عليك ؛ قالت : فإنني لا أشاء ذلك ، طبت عنه نفساً في حياة عمر ، وأرجع فيه بعد موته ! لا والله أبدا . فلما رأى يزيد ذلك قسمه بين ولده وأهله .

وروى سبيل بن يحيى الرُّوزي عن أبيه ، عن عبد العزيز ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما دفن سليمان صيد عمرُ على المنبر فقال : إنني قد خلعتُ ما في رقبتي من بيعتكم . فصاح الناسُ صيحةً واحدةً : قد أخزناك ، فزل ودخل وأمر بالسُّتور فهُسكت ،

والثياب التي كانت تُبَسِّط للخلفاء فَحِيلَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَسَالِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَنَادَى مُنَادِيهِ : مَنْ كَانَتْ لَهُ مِطْلَعَةٌ مِنْ بَيْدٍ أَوْ فَرَسٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَحْضُرْ ؛ فَجَاءَ رَجُلٌ دَحَى مِنْ أَهْلِ رَحْصَ أَيْضُ الرَّاسِ وَاللَّحْيَةِ ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ ! قَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَغْنَصَبَنِي ضَبْعِي - وَالْعَبَّاسُ حَالِسٌ - فَسَالَ عَمْرٌ : مَا نَقُولُ بِالْعَبَّاسِ ؟ قَالَ : أَفَطَعْنَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدَ ، وَكُتِبَ لِي بِهَا سَجَلًا . فَقَالَ عَمْرٌ : مَا نَقُولُ أَمَّا أَنْهَا الَّذِي ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْأَلُكَ كِتَابَ اللَّهِ ! فَقَالَ عَمْرٌ : إِبْرَاهِيمَ لَعَمْرِي إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ لِأَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ مِنْ كِتَابِ الْوَلِيدِ ، لَرُدُّ عَلَيْهِ يَا عَبَّاسُ مَنِّمَتَهُ ؛ فَجَعَلَ لَا يَدْفَعُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِي أَهْلِ بَيْتِهِ مِنَ الْعُلَامِ إِلَّا رَدَّهَا مَقْلِبَةً مَقْلِبَةً .

وَرَوَى مِمْوُونُ بْنُ مِهْرَانَ ، قَالَ : بَعَثَ إِلَى عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مَكْحُولٍ وَأَبِي فَلَانَةَ فَقَالَ : مَا زَوَّيْتُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ طَلْعًا ؟ فَقَالَ مَكْحُولٌ قَوْلًا ضَمِيمًا كَرِهَهُ عَمْرٌ ، فَقَالَ : أَرَى أَنَّ كَيْفَ كُنْتُ وَتَدَخَّلَ مَا عَطَى ، فَانْظُرْ إِلَى عَمْرٍو كَالْمَنْفِيثِ بِي ، فَفَلَتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْضَرْتُ وَلَدَكَ عَبْدَ الْمَلِكِ لِنَظَرٍ مَا يَقُولُ . فَخَصِرَ ، فَقَالَ : مَا نَقُولُ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ؟ فَقَالَ : مَاذَا أَقُولُ ؟ أَلَسْتُ نَعْرِفُ مَوَاسِمَهَا ! قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ ، قَالَ : فَأَرَدْتُهَا ، فَإِنْ لَمْ نَعْمَلْ كُنْتُ شَرِيكًا لِمَنْ أَخَذَهَا .

وَرَوَى أَنِّي دَرَسْتُ بِهِ ، عَنْ يَمْفُوبِ بْنِ سَعْيَانَ ، عَنْ حَوْبَرَةَ بْنِ أَسْمَاءَ ، قَالَ : كَانَ يَبْدُ عَمْرٍو بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ ضَبْعَةً مَعْرُوفَةً بِالسَّهْلَةِ ، وَكَانَتْ بِالْبِجَامَةِ . وَكَانَتْ أَمْرًا عَنِيهَا لَهَا غَلَّةٌ عَظِيمَةٌ كَثِيرَةٌ ، يُكَاعِبْنَهَا وَعَبَسُ أَهْلُهَا مِنْهَا ، فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ قَالَ لِمَزَامِحَ مَوْلَاهُ - وَكَانَ قَاضِيًا - : إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَرُدَّ السَّهْلَةَ إِلَى بَيْتِ مَالِ السُّلُوكِ ، فَقَالَ مَزَامِحُ : أَنْتَ دَرَى كَمْ وَلَدُكَ ؟ إِيَّاهُمْ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : قَدْ رَفَعْتُ عَيْنَاهُ ، فَجَعَلَ يَسْتَدِمُّ وَيَسْجَحُ لِلدَّامَةِ مَأْصِمَهُ الْوَسْطَى ، وَيَقُولُ : أَرَكُلَهُمُ إِلَى اللَّهِ ، أَرَكُلَهُمُ إِلَى اللَّهِ ! فَضَى مَزَامِحُ فَدَحَسَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ عَمْرٍو ، فَقَالَ لَهُ : أَلَا نَعْلَمُ مَا قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ أَبُوكَ ! إِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَرُدَّ السَّهْلَةَ ، قَالَ : فَمَا فَلَنتَ

له ؟ قال : ذكرتُ له ولدَه فجعل يستر مع ويقول : أكلهم إلى الله . فقال عبد الملك :
 بشي وذبرُ الدين أنت ! ثم وثب وانطلق إلى أبيه فقال للأذن : استأذن لي عليه ، فقال :
 إني قد وضع رأسه الساعة للثاثة ، فقال : استأذن لي عليه ؟ فقال : أما ترجونه ! ليس له
 من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لي عليه لا أم لك ! فسمع عمرُ كلامَها ،
 فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل فقال : على ماذا عرمت ؟ قال : أردتُ السهلة قال : فلا تؤخر
 ذلك فم الآن . قال : فجعل عمرُ يرفع يده ويقول : الحمد لله الذي جعل لي من ذنبي من
 يعينني على أمر ديني . قال : نعم يا بني أصفى الظهر ، ثم أصعد الشجر فأردّها علانية على
 رؤس الناس ، قال : ومن لك أن نمشي إلى الظهر ! ثم من لك أن نسلم نبتك إلى الظهر
 إن عشت إليها ! فقام عمر فصعد البئر ، خطب الناس ورد السهلة .



قال : وكتب عمرُ بنُ الوليد بن عبد الملك إلى عمرُ بن عبد العزيز لما أخذ من مروان
 رد العظام كتاباً أعطاه فيه ، من مملته : إني أؤتممت على كل من كان فلك من الخلاء
 وعيبتهم ، وسرتهم سيرتهم ، فبعضاً لم يشأوا أن يبدتم من أولادهم ، وقطعت ما أمر
 الله به أن يؤسل ، وعهدت إلى أموال فريش ومواربهم فأدخلتها بيت المال حوراً وعُدوا ،
 فأتى الله بابن عبد العزيز ورافقه ، فأتى حصن أهل بيتك بالظلم والخور . ووالذي حصن
 محمداً صلى الله عليه وآله بما حصنه به لقد أزددت من الله بئعاً بولابك هذه التي زعمت أنها
 عليك بلاه . فأفصر عن بعض ما صنعت ، وأعلم أنك بعين جبار عزيز وفي قبضه ،
 ولن يتركك على ما أنت عليه .

قالوا : فكتب عمرُ جوابه : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وسوف أجيبك بنحوه ،
 أما أول أمرك يا بن الوليد فإن أملك نبأنة أمة السكون ، كات نفوف في أسواق يخص ،
 وتدخل حوائثها ، ثم الله أعلم بها ! اختراها ذبيان من ذبيان من قبي السطين ، فأهداها

لأبيك ، غفمت بك ، فبش الحامل وبش الحمل ! ثم نشأت فكنيت جئارا عنيدا . وترجم
أني من الظالمين لأنني حرمتك وأهل بيتك و . الله الذي هو حق الغرابه والساكنين
والأرامل ! وإن أظلم مني وأتركك لعهد الله من استعملك مبتيا سعيها على جند السلطين نحكم
فيهم برأيتك ، ولم يكن له في ذلك شبه إلا حب نواله ولده ، فويل لك وويل لأبيك ! ما أكره
خصماء كما يوم النيامه ! وإن أظلم مني وأتركك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على
مختار العرب ، بسفك الدم الحرام ، وبأخذ المال الحرام . وإن أظلم مني وأتركك لعهد
الله من استعمل قرة بن شريك ، أعرابيا جامعا على مصر ، وأخذ له في المعارف والخمر
والشرب والمهوى . وإن أظلم مني وأتركك لعهد الله من استعمل عثمان بن حبان على الحجاز ،
فينشد الأشعار على سب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن جبل للعالية العربية سبها في
الجلس ، فربدا بأبي نبانة ، ولو التفت خلفك سلطان^(١) ورد إلى أهله ، لصرخت
لك ولأهل بيتك فومستكم على المحنة البيضاء ، فطالما زكمت الحق ، وأحدثتم في بيئات
الطريق ! ومن وراء هذا من المعصية شأرا تفتروا أممته ، يسع دفتك ، وفيهم نمسك بين
الأرامل واليتامى والساكنين ، فإن لكل فيك حقا ، والسلام عليها ، ولا ينال سلام
الله الظالمين .

وروى الأوزاعي قال : لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان من قسسه
ميجرونه عليهم من أرزاق الحاشية ، فنكمت في ذلك عتسة من صعب ، فقال : بأمر المؤمنين
إن لا فرابة ، فقال : مالي إن يتسع لكم ، وأما هذا المال فخصكم به كحق رجل بأفصى
بوك النعماد^(٢) ، ولا تجتنه من أحذه إلا بعد مكانه . والله إنني لأرى أن الأمور

(١) التفت خلفنا البطال . مثل يصوب للأمر العنيم .

(٢) برك النعماد : موضع بين مكة وربد .

تو أَسْتَحَات حَتَّى يُصْبِحَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَ مِثْلِ رَابِعِكُمْ لَمَرَّتْ بِهِمْ بَاقِعَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ أَيْضًا ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْ بَنِي أُمَيَّةَ كَلَامٌ أَعْصَبَهُ : إِنَّ اللَّهَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ يَوْمًا - أَوْ قَالَ : ذِيحَاءَ - وَابِهِمُ اللَّهُ لَنْ كَانَ ذَلِكَ الذَّبْحُ - أَوْ قَالَ ذَلِكَ الْيَوْمَ - عَلَى بَدْيٍ لِأَعْدُونَ اللَّهَ فِيهِمْ . قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ كَفُّوا ، وَكَانُوا يَمْلِكُونَ مَرَاتَهُ ، وَإِذَا وَفَعٌ فِي أَمْرِ مَفْئِي فِيهِ .

وَرَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ : لَا تُدْخِلْنِي عَلَى الْيَوْمِ إِلَّا مَرَوَانِيَا . فَلَمَّا احْتَضَمُوا قَالَ : يَا بَنِي مَرَوَانَ ، إِنَّكُمْ قَدْ أُعْطِيتُمْ حَقًّا وَشَرَكًا وَأَمْوَالًا ، إِنِّي لَأَحْسِبُ شَطْرَ أَمْوَالِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ ثُلُثَهَا فِي أَيْدِيكُمْ ، فَسَكَّنُوا ، فَقَالَ : أَلَا تُجِيبُونِي ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : فَا بِاللَّهِ ؟ قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْزِعَ عَنْكُمْ ، فَأُرَدَّهَا إِلَى بَيْتِ مَالِ السُّلَاطِينِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّى يَحَالَ بِبَنِي رُمُوسَانَ وَأَحْسَادِنَا ، وَاللَّهِ لَا تُسَكَّرُ أَسْلَافُنَا ، وَلَا تُعْقَرُ^(١) أَوْلَادُنَا . قَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ نَمْسَبَتُوا عَلَى بَنِي أَطْلَبَ هَذَا الْحَقُّ لَهُ لَأَضْرَعْتُ حُدُودَكُمْ أَفَرُمُوا عَنِّي .

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُرَوَّانِيَّةِ فَجَابَهُمْ ، وَعِنْدَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا وَاللَّهِ سَكَرْنَا أَنْ تَمْسَبَ آبَاؤُنَا ، وَتَضَعُ شُرَفُنَا ؟ فَقَالَ عُمَرُ : وَأَيُّ عَيْبٍ أَعْيَبُ مِمَّا عَابَهُ الْقُرْآنُ ! وَرَوَى تَوْفَلُ بْنُ الْمُرَاتِ ، قَالَ : شَكَا بَنُو مَرَوَانَ إِلَى عَاتِكَةَ مَرَوَانَ بْنِ الْحَكَمِ عُمَرَ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ يَجْعَبُ أَسْلَافَنَا ، وَيَأْخُذُ أَمْوَالَنَا . فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ - وَكَانَتْ عَظِيمَةً - عِنْدَ بَنِي مَرَوَانَ - فَقَالَ لَهَا : يَا عَمَّةُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَيُضِوْتُ رَكَتَكَ

الناس على نهر مَورود ، فولى ذلك النهرَ نمداء رجلان لم يستخسنا أنفسهما وأهلها منه بشيء ، ثم وليه ثالثٌ ففكرى منه سافية ، ثم لم تزل الناس يكرهون منه السواني حتى تركوه بابساً لا قطرَ فيه ، وأيم الله لئن أبغض الله لأسكركن^(١) تلك السواني حتى أعيد النهر إلى مجراه الأول ؛ قالت : فلا يُستون إذا عندك ! قال : ومن يستهم ! إنما يرفع الرجل معلقته فأردّها عليه .

وروى عبد الله بن محمد التميمي ، قال : كان بنو أمية يُنزلون عائكة بنت مروان بن الحكم على أبواب قصورهم ، وكانت حليمة الوصيح عديم ، فلما وليَ عمرُ قال : لا يسلي إنزالها أحدٌ غيري ، فأدخلوها على دابتها إلى باب دنته ، فأركها ، ثم ملق لها وسادتين ، إحداهما على الأخرى ، ثم أنشأ يُمازحها - ولم يكن من شأنه ولا من شأنها المِزاح - فقال : أما رأيت الحرس الذين على الباب ؟ فقالت : بلى ، وربما رأيتهم عند من هو خير منك ! فلما رأى الممسيب لا يتحلىل عنها ترك المِزاحَ وسألتها أن تذكر حاجتها ، فقالت : إن فرايتك بشكوكك ، وبزعمون أنك أخذت منهم خير عرك ، قال : ما منعهم شيئاً هو لهم ، ولا أحدث منهم حقاً يستحقوه ! قالت : إني آسف أن يهيجوا عليك يوماً عصياً^(٢) ، وقال : كل يوم أخافه - دون يوم القيامة - فلا وفائي الله شره . ثم دعا بدبنار وعمرة وحك فأتى الدبنار في النار ، وحمل يمسح حتى أحر ، ثم تناول به بشيء . فأحرقه فوضعه على الجبلد ، ففتق وفتّر ، فقال : يا عصية ، أما تأوين لابن أحبك ، من مثل هذا ، فقامت فخرجت إلى بني مروان فقالت : تروجون في آل عمر بن الخطاب ، فإذا نزّعوا إلى الشبه^(٣) جزعتم ! اسبروا له .

وروى وهيب بن الورد ، قال : اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز ، فقالوا لولده له : قل لأبيك يأذن لنا ، فإن لم يأذن فأبلغ إليه عنا رسالة ، ثم بأذن لهم ، وقال :

(١) سكر السافية : سماعاً . (٢) د : د أن يهيجوا عليك غصاً يوماً .

(٣) كذا في د ، و ، ا ، ب ، هـ .

فليقولوا ، فقالوا : قل له : إن من كان قبلك من العلماء كان بمطبخنا ، وعرّف لنا مواضعنا ، وإن أباك قد حرّمنا ما في يده . فدخل إلى أبيه فأبلغه عنهم ، فقال : أخرج فقل لهم : إني أخاف إن عصيتُ ربّي عذاب يوم عظيم .

وروى سعيد بن عمار ، عن أسماء بنت عبيد ، قال : دخل عتبة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من كان قبلك من العلماء كانوا يملئوننا عطاباً بمنناتها ، ولى عيال وشبعة ، فأبى أن يخرج إلى سبى ، وما يصلح عبالاً ! فقال عمر : إن أحسكم إلينا منكم ما مؤثرون . فخرج عتبة ، فلما صار إلى الباب ناداه : أباه ! أباه ! مرحع فقال : أكثر ذكر الموت فإن كثرت في صبي من العيش وسّمت عليك ، وإن كثرت في سفر من العيش سنّبت عليك .

وروى عمر بن علي بن مقدم ، قال : قال ابن مسيرٍ سليمان بن عبد الملك لمراحم : إن لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ، قال : فاستأذنت له ، فأحسبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لم أخذت فليمتي ؟ قال : معاذ الله أن يأخذ فليمةً صنت في الإسلام ! قال : فهذا كتابي بها - وأخرج كتاباً من كفه - فقرأه عمر وقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : كانت للمسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها . قال : فاردّد عليّ كتابي ، قال : إنك لو لم تأتني به لم أسألكه ، فأما إذ جئتني به فليست أدعك طلب به مالبس لك بحق ، فسكى ابن سليمان ، فقال لمراحم : يا أمير المؤمنين ، ابن سليمان تصبّع به هذا - قال : وذلك لأن سليمان عهد إلى عمر ، وعنده على إخوته - فقال عمر : وبُحُك لمراحم ! إني لأحد له من اللوط^(١) ما أرجسد لوكدى ، ولكنّها نفس أحادل عنها .

وروى الأوزاعي ، قال : قال هناد بن عديّ الملك ، وسعيد بن خالد بن عمر بن عثمان

(١) في اللسان : « قد لا بد منه خلق » أي لص ، وفي حديث أبي بصير : ما أزعج أن علياً أفضل من أبي بكر وعمر ، ولكن أحد له من اللوط ما لأجد لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

ابن عَفَّانَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِزِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اسْتَأْذِنَ الْعَمَلُ بِرَأْيِكَ فِيمَا نَحْتَجُّ بِكَ ، وَخَلَّيْنِ بَيْنَ مَنْ سَبَقَكَ وَبَيْنَ مَا وَكَّلَهُ عَلَيْهِمْ كُنْ ، أَوْ لَهِمْ ، فَإِنَّكَ مُسْتَكْفٍ أَنْ تَدْخُلَ فِي خَبَرِ ذَلِكَ وَشَرِّهِ . قَالَ : أَنْقَضُوا كَمَا أَلَّفَ الَّذِي إِلَيْهِ نَعُودَانِ ، لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَلَكَ وَزَكَ ذَنْبُهُ أَصَاغِرُ وَأَكْبَرُ ، فَتَرَ الْأَكْبَرُ الْأَصَاغِرَ بِفَوْتِهِمْ ، فَأَكَلُوا أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ بَلَغَ الْأَصَاغِرُ الْخُلْمَ فَجَاءَ وَكَأَ بِهِمْ وَبِمَا صَنَعُوا فِي أَمْوَالِهِمْ مَا كُنْثَا صَانِعِينَ ؟ قَالَ : كُنَّا نُرَدُّ عَلَيْهِمْ حَقُوقَهُمْ حَتَّى يَسْتَوْفُوا . قَالَ : فَإِنِّي وَجَدْتُ كَثِيرًا مِمَّنْ كَفَى فَبَيْلِي مِنَ الْوَلَاةِ عَرَّ النَّاسَ دِسْطَانَهُ وَفُوتَهُ ، وَآثَرَ بِأَمْوَالِهِمْ أَنْبَاءَهُ وَاهْلَهُ وَرَهْلَهُ وَخَاشَتَهُ ، فَلَمَّا وَلَيْتُ أَنْوِي بِذَلِكَ ، فَلَمْ يَسْمَعْ بِلَا الرَّدِّ عَلَى الصَّعِيبِ مِنَ النَّوِيِّ ، وَعَلَى الدُّنَى مِنَ الشَّرِيفِ . فَذَا : بِوَقْفِ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .



الْأَضْلُ

وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلَاحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ قَهْرًا مِنْهُ رَهْمًا مِنْهُ وَالصَّالِحَ دَعَا لِيُجِدُوكَ ؛ وَرَاحَةً مِنْ مُهْمِكَ ، وَأَمْنًا لِيَلِدَكَ ، وَلَكِنَّ الْحَدَرَ كُلَّ الْحَدَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صَلَاحِهِ ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَرَّبَ لِيَتَّقَلَ ، فَحَدِّ بِالْحَزْمِ ، وَأَشْرِمِ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَقْدًا ، أَوْ أَلَمَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً ، فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ .

وَأَجْعَلْ نَفْسَكَ حَكَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَسَدُّ عَلَيْهِمْ اجْتِمَاعًا مَعَ تَعَرُّفِي أَهْوَاءِهِمْ ، وَنَشَفِ آرَائِهِمْ ، مِنْ تَعْلِيمِ الْوَفَاءِ بِالْمَعْهُودِ ؛ وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرُكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِمَا اسْتَوْبَكُوا مِنْ عَوَافِي النَّدَرِ . فَلَا تَنْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَخْبِسَنَّ لِيَهْدِكَ ، وَلَا تَخْتَلَنَّ عَدُوَّكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَدِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْمِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ،

وَحَرِّمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَتَعَتِهِ ، وَيَسْتَقِيمُونَ إِلَى حِرَارِهِ ، فَلَا إِذْعَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ .

وَلَا تَقْصِدُهُ عَقْدًا جُجُودُ فِيهِ الْيَمَلُ ، وَلَا تُؤَكِّنْ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ النَّاكِدِ وَالْتَوَاتُفِ ، وَلَا بَدْعُوتِكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ الْإِسْخَاجِ بِفَسْرِ الْخَلْقِ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو أَنْصِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ ، حَبْرٌ مِنْ عَذْرِ تَخَافُ تَبَحُّثَهُ ، وَأَنْ تُحِبَّ بِكَ مِنْ اللَّهِ طِلَّةٌ لَا نَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

البُخْرُ :

أَمَرَ أَنْ يَبْلُغَ السَّلَامُ وَالصَّلَاحُ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، لَا فِيهِ مِنْ دَعَا الْحَمْدِ ، وَالرَّاحَةِ مِنَ الْهَمِّ ، وَالْأَمْنِ لِلْبَلَدِ ، وَلِسَكْنِ بَيْتِي أَنْ يَحْمَدَ عَمَدُ الصَّلَاحِ مِنْ عَائِلَةِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ ، فَإِنَّهُ دَعَا قَلْبٍ بِالصَّلَاحِ لِيُفْعَلَ ، أَيْ يَطْلُبَ عَمَلَتِكَ ، تَحْدِثُ بِالْحَرَمِ ، وَأَنْتُمْ حُسْنُ ظَنِّكَ ، لَا تَتَّقِ وَلَا تَسْكُنْ إِلَى حُسْنِ ظَنِّكَ بِالْعَدُوِّ ، وَكُنْ كَالطَّائِرِ الْخَافِ .

ثُمَّ أَمَرَ بِالْوَفَاءِ بِالْهَيْدِ : قَالَ : وَاحْمِلْ مَسَّكَ حَتَّى دُونَ مَا أُعْطِيتَ ، أَيْ وَلَوْ ذَهَبْتَ نَفْسُكَ فَلَا تَقْدِرُ .

وَقَالَ الرَّائِدِيُّ : النَّاسُ مَبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ مَبْتَدَأُ ثَانٍ ، وَمِنْ نَعْيِ الْوَفَاءِ خَيْرُهُ ، وَهَذَا الْمَبْتَدَأُ الثَّانِي مَعَ خَيْرِهِ خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ الْأَوَّلِ ، وَعَمَلُ الْجَلَّةِ نَصَبٌ لَهَا حَبْرٌ لَيْسَ ، وَمَحَلٌّ لَيْسَ مَعَ اسْمِهِ وَخَيْرُهُ رَفْعٌ ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ ، فَإِنَّهُ وَشَى اسْمُ لَيْسَ ، وَمِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ حَالٌ ، وَلَوْ تَأَخَّرَ لَسَكُنَ صِفَةً لَيْسَ . وَالْعَوَابُ أَنَّ « شَى » اسْمُ لَيْسَ ، وَجَازَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ نَسْكَرَةً لِاعْتِنَا عَلَى النَّفْيِ ، وَلِأَنَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ فَهِيَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَالصَّنَةِ ، فَتُخَصَّصُ بِذَلِكَ وَفَرْقٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالنَّاسُ : مَبْتَدَأٌ ، وَأَشَدُّ : خَيْرُهُ ، وَهَذِهِ الْجَلَّةُ الْمَرْكَبَةُ مِنْ مَبْتَدَأٍ

وخبر في موضع رَفَع لَأْتِيَا صَفَةً « شئ » وأما خبر البتداء الذي هو « شئ » فمحذوف ،
وتندبره « في التوحيد » كما حذف الخبر في قولنا : لا إله إلا الله ، أي في الوجود . وليس
بصح ما قال الراوندي من أن « أشد » مبتدأ ثان ، و « من تعظيم الوفاء » خبره ، لأن
حرف الجز إذا كان خبراً لمبتدأ تدل على محذوف ، وما هنا هو متعلق بأشد عسه ، فكيف
يكون خبراً عنه ! وأيضاً فإنه لا يجوز أن يكون أشد من تعظيم الوفاء خبراً عن الناس ، كما
رغم الراوندي ، لأن ذلك كلام غير معبد ، ألا ترى أنك إذا أردت أن نخبر بهذا الكلام
عن المبتدأ الذي هو « الناس » لم يبق من ذلك سورة محصلة فميدك شئاً ، بل يكون
كلاماً مسطرباً !

ويمكن أيضاً أن يكون « من فرائض الله » في موضع رفع ، لأنه خبر البتداء ، وقد قدم
عليه ، ويكون موضع « الناس » وما بعد رفعه ، لأنه خبر البتداء الذي هو « شئ » كما
قلناه أولاً ، وليس يمتنع أيضاً أن يكون « من فرائض الله » منصوب الموصوع ، لأنه حال ،
ويكون موضع « الناس أشد » رضاء ، لأنه خبر البتداء ، الذي هو « شئ » .

ثم قال له عليه السلام : وقد ترم الشركون مع شريكهم الوفاء بالعهود ، وصار ذلك لهم
شريعة وبينهم سنة ، فالإسلام أولى بالقروم والوفاء .

واستوبلوا : وحدوه ، وريلا ، أي ثعبلا ، استوبلت البلاد ، أي استوتحتها واستغفلتها ،
ولم يوافق مزارحك .

ولا تحبسن يهدهك ، أي لا تقفرون ، غاس فلان يدهمه ، أي عذر وسكت .
قوله : « ولا تختلن عدوك » ، أي لا تحسرن به ، حثله ، أي حذمه .

وقوله : « أقصاء بن عباده » ، جملة مشتركا بينهم ، لا يختص به فريق دون

قال : « ويستغيثون إلى رجوار » ، أى يتفشرون فى طلب حاجتهم ومآربهم ، ساكتين إلى جوار ، فإلى هاهنا متعلقة بمحذوف مقدر ، كقوله تعالى : ﴿ فى نَسْعِ آيَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ ^(١) ، أى مرصلا . قال : « فلا إدغال » ، أى لا إفساد ، والدَّغْل : الفساد . ولا مُدَالَسَة ، أى لا خديعة ، يقال : فلان لا يوالى ولا يُدالَس ، أى لا يمدح ولا يخون ، وأصل الدَّلس الظلمة ، والتدليس فى البيع : كتمان عيب السلعة عن المشتري .

ثم نهاه عن أن يمتدَّ عَنَدًا يمكن فيه التأويلات والمثل وطلب المخارج . ونهاه إذا عُدَّ المَدَّ يَتَدَّ وبين المدو أن يفحصه مودلا على تأويل حتى أو لحوى قول ، أو يقول : إنما عبت كذا ؛ ولم أعن ظاهر اللطلة ؛ فإن المَعْوَدَ إنما تُقَدَّ على ما هو ظاهر فى الاستعمال متداول فى الاستصلاح والعرف لا على ما فى الياضين .
وروى « أمصاحه » بالخاء المهملة ، أى سفته .

• • •

[فصل فيما جاء فى الحذر من كيد العدو]

قد جاء فى الحذر من كيد العدو والتعنى عن التفریط فى الرأى السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيرة ، وكذا فى التعنى عن التدنر والتعنى عن طلب تأويلات اليهود وفسخها بغير الحق . فرمى عبد الله بن مظاهر فى أيام أبيه فى أمر أشرف فيه على العطب ، ونجا بعد لائى ^(٢) فكتب إليه أبوه : أنا فى بائى من خبر تربطك ما كل أكر عندي من نعلك لو ورد ، لائى لم أرج فط الآفوت . وقد كنت أرجو ألا تمنضح برك الحزم والتبغظ .
وروى ابن السكيت أن فبس بن زهير لما قتل حذيفة بن بدر ومن معه بجفأ الهباءة ،

(٢) لائى : بد لائى ؛ بد جهد .

(١) سورة النمل ١٢ .

خرج حتى لحق بالنمر بن قاسط وقال : لا نظرك في وجهي عطفانيةً بعد اليوم ؛ فقال :
 بما عاشر النمر ، أنا فبس بن زهير ، عربية حروب طريد شريد مونور ، فأنتروا إلى
 امرأه فدأبها الفسي وأدأها العفر . فروجوه بأمرأة منهم ، فقال لهم : إني لا أقيم فيكم
 حتى أخبركم بأخلاق ، أنا حور عبور أيب ، ولست أفر حتى أبتلى ، ولا أعار حتى أرى ،
 ولا آتف حتى أطم . فرضوا أخلاقه ، فأقم فبهم حتى ولد له ، ثم أراد أن يتحول عنهم ،
 فقال : يا معشر النمر ، إن لكم حقا على من مضاهرن فيكم ، ومضاهي بن أطر كم ،
 وإني موصيكم بمصالح أمركم بها ، وأما كم عن حصار : عليكم بالأنث فإن بها ندرتك
 الحاحصة ، وتقال العرصة ، ونسود من لا نمأبون بنسوده ، والوفا ، فاللهو وإن
 يبعث الناس ، وإعطاء ما زبدون إعطاءه قبل السأله ، ومنع ما زبدون منعه قبل الإصام ،
 وإحارة الحار على الدهر ، ونفيس البيوت عن منازل الأباي ، وخلط العيف بالبعال .
 وأنها كم عن القدر ، فإنه عار الدهر ، وعن الزمان فإن من تكلف ما لكا أحي ، وعن
 النسي فإن به صرع زهير أبي ، وعن السرقة في الدماء ؛ فإن قتل أهل الهابة أوردني
 العار . ولا أعطوا في المصول فتعجزوا عن الحقوق ، وأنكحوا الأباي الأكفاء فإن
 لم نصيبوا بهن الأكفاء شبر ميونين القبور . وأعلموا أني أصبحت ظالما ومغالوما ، ظلمي
 بنو بدر يقتلهم مالكا ، وظلمهم يقتلي من لا دله . ثم رحل عنهم إلى غار^(١) فتنصر
 بها ، وعف عن الآكل حتى أكل الخنظل إلى أن مات .

الأفضل :

إناك والدماء وسفكها يغير جلها ، فإنه لبس مني أدعى ليفة ؛ ولا أعظم

لِنَبِيٍّ ، وَلَا أُخْرَى بِرَوَالٍ رَمَعَةٍ ؛ وَافْطَاعَ مُدٍّ ، مِنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ ،
وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِيٌّ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا نَسَافَكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ النِّيَامَةِ ،
فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفَكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِجْمًا بَصِغُهُ وَبُوهُهُ ، بَلْ يُزِيلُهُ
وَيَسْفُلُهُ .

وَلَا عُدْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ، لِأَنَّ رِيسَ قَوَدِ الْبَدَنِ ،
وَإِنِ ابْتَلَيْتَ بِخَطَا ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ بَدَلَكُ بِأَمَقُوبَةٍ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْرِ
فَمَا قَوْفَهُ مَفْنَنَةٌ ، فَلَا نَطْمَحَنَّ بِكَ نَحْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ نُؤَدِيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمُتَنَوِّلِ
حَقَّهُمْ .



البُشْرُحُ :

قد ذكرنا في وصية نبي بن زهير ^{عليه السلام} عن الإسراف في الدماء ، ونذك وصية
مبتدئة على شريعة الجاهلية مع محبتها ونهايها على القتل والقتال ، ووصية أمير المؤمنين
عليه السلام مبتدئة على الشريعة الإسلامية ، وانتهى عن القتل والمعدوان الذي لا يُسبغه
الدين ، وقد ورد في الحر المرفوع : « إِنْ أَوَّلَ مَا بَغَضَ اللهُ بِهِ يَوْمَ النِّيَامَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ أَمْرُ
الدَّمَاءِ » . قال : إنه ليس شيء أدى إلى حلول النعم ، وروال النعم ، وأمثال الأول ، من
سَفَكِ الدَّمِ الْحَرَامِ ، وإنك إن طَلَعْتَ أَمَّا تَقْرَأُ سُلْطَانَكَ بِذَلِكَ ، فابس الأمر كما ظَلَمْتَ ،
بل نَسَمَهُ ، بل نَعَدِمَهُ بِالسَّكَايَةِ .

ثم عرّفه أَنَّ قَتْلَ الْعَمْدِ يوجب القَوْدَ وقال له : « قَوْدُ الْبَدَنِ » أي يجب عليك هَدْمُ
صورتك كما هدمت صورة القنول ، والراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ له :
« فَإِنَّ فِيهِ الْقَوْدَ » .

ثم قال : إِنْ غَلَبْتَ خَطَا أَوْ شِئَ عَمْدٌ كَالضَّرْبِ بِالسَّوْطِ فَعَلَيْكَ الدَّيَّةُ . وقد اختلف

الفتنه في هذه المسألة ، فقال أبو حنيفة وأصحابه : التتل على خمسة أوجه : عمد ، وشبه عمد ، وخطأ ، وما أجرى مجرى الخطأ ، وقتل بسب .

فالعمد : ما يعمد به ضرب الإنسان بسلاح ، أو ما يجري مجرى السلاح ، كالخدود من الخشب وليطة^(١) النصب ، والرؤوس^(٢) المهددة ، والنار ؛ وموجب ذلك المأثم والقود إلا أن يعمد الأولياء ، ولا كفارة فيه .

وشبه العمد أن يعمد الضرب بما ليس بسلاح ، ولا أجرى مجرى السلاح ، كالخجر العظيم ، والخنبة العظيمة ، وموجب ذلك المأثم والكفارة ، ولا قود فيه ، وفيه الدية مغلطة على العاقلة .

والخطأ على وجهين : خطأ في النصب ، وهو أن يرمى شخصا بقلبه متيدا ، فإذا هو آدمي . وخطأ في الفعل ، وهو أن يرمى شخصا بسبب آدميا ، وموجب النوعين حيا الكفارة والدية على العاقلة ، ولا مأثم فيه .

وما أجرى مجرى الخطأ مثل النائم ينقلب على رجل فيقتله ، فعكسه حكم الخطأ . وأما التتل بسب ، فخاف البئر وواسع الحخر في عبر يملكه ، وموجه إذا نلف فيه إنسان الدية على العاقلة ، ولا كفارة فيه .

فهذا قول أبي حنيفة ومن تآمه ؛ وقد خالفه أصحابه أبو يوسف وعمر في شبه التمد ، وقالوا : إذا ضرب به بحجر عظيم أو حشمة عظيمة فهو عمد ؛ قال : وشبه التمد أن يعمد ضربه بما لا يقتل به غالبا ، كالنمصا الصغرة ، والسوط ؛ وهذا القول قال الشافعي .
وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أن المؤذب من الولاة إذا تلف تحت

(١) البطة : قنبر النصب اللزاري به .

(٢) الرؤوس : حجر أبيس براق ؛ وفي الحديث : « إن له عدى بن حاتم : إذا أصاب أحدا صيدا وليس معه سكبن ، أبذخ بالرؤوس وشقة العسا ؟ »

بدء إنسان في التأديب فعليه الذب ، وقال لي قوم من فقهاء الإمامية : إن مذهبتنا أن لا ذباً عليه ، وهو خلاف ما بنفسه كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

الأصل :

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنِعْمِكَ ، وَالنِّفَةَ عَمَّا يُعْجُزُكَ مِنْهَا ، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ ؛ فَلِذَا ذَلِكَ مِنْ أَوْفَرِ فَوْصِلِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ ، لِيَمْنَحَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .

وَإِيَّاكَ وَالْمَنِّ عَلَى دَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ؛ أَوِ الرَّيْبِ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنَّ نَعْدَهُمْ ، فَتَنْسَحَ مَوْعِدُكَ بِحُلُمِكَ ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالرَّيْبُ يَدْهَبُ نُبُورُ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفَ بَوْرُحُ الْمُنْتَهَى عِنْدَ اللَّهِ وَالْبَاسِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ كَبُرَ مَقْنًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقُولُونَ ﴾ ١٥٠ .

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ فَسَلِّ أَوَّلَهَا ، وَأَوَّلَ النَّفَاطِ فِيهَا عِنْدَ إِسْكَانِهَا ، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا نَسَكَّرَتْ ، أَوِ الْوَهْنَ عَمَّا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ ، فَصَحَّ كُلُّ أَمْرٍ مَوْضِعُهُ ، وَأَوْفَعَ كُلُّ عَمَلٍ مَوْفِعُهُ .

وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِنْتَارَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ أَسْوَدُ ، وَالنَّيَاقَ عَمَّا نَعْتَى بِرِيحٍ فَدَوَّجَحَ لِلْمَيُومِنِ ، فَإِنَّهُ مَا خُوذَ مِنْكَ لِعَبْرِكَ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَسْكُتُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ ، وَتُتَصَفُّ مِنْكَ لِلْمَطْلُومِ .

أَمْنُكَ حِمِيَّةُ أَنْفِكَ ، وَسُورَةُ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةُ يَدِكَ ، وَغَرْبُ لِسَانِكَ ، وَاحْتِرَاسُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَلَفِ الْبَادِرَةِ ، وَتَأْخِيرِ السُّطُورَةِ ، حَتَّى يَمُكِّنَ عَمَلُكَ ، فَتَمُكِّنَ الْإِخْتِيَارَ . وَلَنْ تَخْشَكَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْعَمَادِ إِلَى رَيْكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْذَرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ ، مِنْ حُكُومَةِ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ قَانُونِيَّةٍ ، أَوْ أَتَرٍّ عَنْ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ بِمَا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَتَجْتَنِدَ لِنَفْسِكَ فِي أَتْبَاعِ مَا عَمِدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا ، وَاسْتَوْفَتْ بِهِ مِنْ الْحُجَّةِ لِمَنْبَى عَلَيْكَ ، لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ نَسْرِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

البُزْخُ :



قد اشتمل هذا الفصلُ على وصاياه من صلواتها ، منها قوله عليه السلام : « إِيَّاكَ وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ مَسْكٍ ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا » ؛ قد وَوَدَّ في الخبر : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتُ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهُوَ مِنْ مَسْكٍ ، وَإِجَابَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » ؛ وفي الخبر أيضا : « لَا وَحْشَةَ أَشَدَّ مِنَ الْعُجْبِ » ، وفي الخبر : « النَّاسُ لَا دَمَ ، وَأَدَمٌ مِنْ رَبِّهِ ، فَا لِبْنِ آدَمَ وَالْمَخْزُورِ وَالْعُجْبِ ! » . وفي الخبر : « الْجَارُ ثَوْبُهُ خَيْلَاءُ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ؛ وفي الخبر - وقد رأى أَبَا دُجَانَةَ يَقْبِخَرُ : « إِنَّهَا لَمِثْبَةٌ يُنْفِضُهَا اللَّهُ إِلَّا بَيْنَ الصَّفَيْنِ » .

ومنها قوله : « وَحُبُّ الْإِطْرَاءِ » ، فَانْظُرَ الْمُأْمُونُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ التُّوسِجَانِيَّ لِلنَّكَمِ ، فَجَعَلَ يَصْدَقُهُ وَيُطْرِبُهُ وَيَسْتَحْسِنُ قَوْلَهُ ، فَقَالَ الْمُأْمُونُ : بِأَعْمَدَ ، أَرَأَيْكَ نَفَادًا إِلَى مَا تَقْنَنُ أَنَّهُ يَسْرَتِي قَبْلَ وَجُوبِ الْحُجَّةِ لِي عَلَيْكَ ، وَنُطْرِبِي بِمَا لَسْتُ أَحِبُّ أَنْ أُطْرِبِي بِهِ ، وَتَسْتَخْذِي لِي فِي الْقَامِ الَّذِي بَيْنِي أَنْ نَكُونَ فِيهِ مَقَامًا لِي ، وَعَجَبًا عَلَيَّ ، وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَفِيرَ الْأُمُورَ بِفَضْلِ بَيَانٍ ، وَطُولِ لِسَانٍ ، وَأَغْنِيْبِ الْحُجَّةَ بِقُوَّةِ الْخِلَافَةِ ، وَأَهْبَةِ الرِّيَاسَةِ لَصَدَقْتُ وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ، وَعَدْتُ وَإِنْ كُنْتُ حَاثِرًا ، وَسَوَّيْتُ وَإِنْ كُنْتُ مُخْطِئًا ،

لكى لا أرضى إلا بنكبة الحجّة ، ودفع الشبهة ، وإن أنقص الملوك عقلا ، وأسحقهم رأيا ، من رضى بنوهم : صدق الأمير .

وأشقى رجل على رجل ، فقال : الحمد لله الذى سترنى عنك . وكان بعض الصالحين يقول إذا أطراه إنسان : لبسائك ^(١) الله عن حسن ظنك .

ومنها قوله : « وإياك والنّ » ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا مَا كَانَ لَكُمْ يَأْتِي وَالْأَذَى ﴾ ^(٢) . وكان يقال : النّ حبة للنفس ، مفسدة للصنع .

ومنها نهيّه إياه عن الرّيد فى فعله ، قال عليه السلام : إني بذهاب بنور الحقّ ، وذلك لأنّه عمى الكذب ، مثل أن يسدى ثلاثة أجزاء من الجليل فيدعى فى المألى والمأفل أنه أسدى عشرة ، وإذا خالط الحقّ الكذب أضعف نورّه .

ومنها نهيّه إياه عن حلف الوعد ، قد صرح الله بنها من الألباء وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام بصدق الوعد . وكان يقال : وعد الكريم تقدوننجيل ، ووعد اللّثم مظل ونطيل . وكذب بعض الكتاب : وحقّ لمن أهره يقول ، أن يثير فيمنل . وقال أبو مقاتل الفرير : قلت لأعرابي : قد أكثر الناس فى الواعد ؟ فأقولك فيها ؟ فقال : بشىء ! الوعد مشقة للغلب الفارع ، مذبة للبدن الخافض ، خير غائب وشره حاضر . وفى الحديث الرفوع : « مئة المؤمن كأخذ باليد » ، فما أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « إني يوجب القت » ، واستشهد عليه بالآية . والقت : النفس .

ومنها نهيّه عن العجلة ؟ وكان يقال : أساب متنت أو كاد ، وأخطأ عجل أو كاد . وفى المثل : « ربّ عجّلة مهب ربّا » ، وذمها الله تعالى فقال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(٣) .

ومنها نهيه عن التساخط في الشيء الممكن عند حصوره ، وهذا عبارة عن النهي عن الخرص والتجسس ، قال الشاعر :

وإنْ مُدَّتْ الأيدي إلى الزادِ لم أكنْ ناعِجِلِهِمْ إذْ أخْشَعُ القومِ أَعْجَلُ
ومنها نهيه عن التجاحف في الحاجة إذا نذرت ؛ كان يقال : من لآخ الله عند حمته خصبا ، ومن كان الله حصمه فهو محصوم ، قال الفرزدق :

دُخِلَها مِثْلُ وَبَيْةٍ نَحْرِي عَلَى قَدَرٍ لَا تُفْسِدُنْهَا بِرَأْيِ مَنْكَ مَعْكُوسِ
ومنها نهيه له عن الوهن فيها إذا استوصحت ، أي وصحت واسكنمت ، ويروى : « واستوصحت » فعل ما لم يسم فاعله ، والوهن فيها إهمالها وتركها انبهار الفرسه فيها ، قال الشاعر :

فإذا أسكنتُ مَاحِدُ إلى هَاجِرٍ حَذَارًا مِنْ تَعْدُرِ الإِمْكَانِ

ومنها نهيه عن الاستنثار ، وهذا هو الخلق النحوي ، غنم رسول صلى الله عليه وآله عنائهم خبير ، وكانت رمل ، الأرض نعا ، فلما ركب راحلته وسار تبعه الناس يطلبون الفرائم وقسمها ، وهو ساكن لا يكلمهم ، وقد أكلوا عليه إلاما ومؤالا ، فرأ بشجرة شطفت^(١) رداءه ، قالت ضال : ردوا على ردائي ، فلو ملكك عدد رمل نهامة مغمما لقسمته بينكم عن آخره ثم لا تعدوسى بجبال ولا جبالا ، ونزل وفسم ذلك المال عن آخره عليهم كله ، لم يأخذ نفسه منه وبرء .

ومنها نهيه له عن التغابي ، وسورة ذلك أن الأمير يؤي إليه أن فلاما من غاسته يفعل كذا ، ويفعل كذا من الأمور المنكرة ويرتكبها سرا ، فينتابى عنه ويتغافل ، نهيه عليه السلام عن ذلك وقال : إناك مأخوذ منك لتبرك ، أي معاقب ؛ تقول : اللهم خذ لي من فلان بحقي ، أي آلهم انتقم لي منه .

ومنها نهيه إتياء عن الغضب ، وعن الحكم بما تقتضيه قوته التضييق حتى يسكن غضبه ، فد جاء في الطبر الرفوع : « لا يفضي القاضي وهو غضبان » ، فإذا كان قد نهى أن يفضي للقاضي وهو غضبان على غير صاحب الخصومة ، فبالأولى أن ينهى الأمير عن أن يسطور على إنسان وهو غضبان عليه .

وكان لكسرى أنوشيروان صاحب قدرته ونصبه لهذا المعنى ينف على رأس الملك يوم جلوسه ، فإذا غضب على إنسان وأمر به فرع سلسلة نأحه بنصف في يده وقال له : إنما أنت بكر ، فأرحم من في الأرض يرحمك من في السماء .

الأصل :



ومن هذا العهد وهو آخره :

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَمَةِ رَحْمَتِهِ ، وَبِعَظَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ ، أَنْ يُؤْتِنِي وَإِتَاكَ لِمَا رَغِبَ رِضَاءُ ، مِنْ الْإِقَامَةِ عَلَى الْمَدْرِ الْوَالِصِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْفِهِ ، مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعَادِ ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْمَلَادِ ، وَتَعَامِ النِّعَةِ ، وَتَضَعِيفِ الْكَرَامَةِ ؛ وَأَنْ يُنْجِنِي لِي وَلَكَ بِالسَّادَةِ وَالشَّهَادَةِ ؛ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ^(١) ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ[عَلَى]^(٢) [آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ] .

البنج :

رُوي : « كل رغبة » ، والرغبة ما يُرغَب فيه ؛ فأمَّا الرغبة فمصدر رَغِبَ في كذا ، كأنه قال : النادرُ على إعطاء كل سؤال ، أي إعطاء كل سائل ما سألَه .

(١) و د ه ونا إليه داعيون . (٢) من . . .

ومعنى قوله : « من الإمامة على السدور » ، أى أسأل الله أن يوقنى للإمامة على الاجتهاد ، وبذلك الوُشع في الطاعة ، وذلك [لأنه ^(١)] إذا بذل جهده ففسد أعذر ، ثم فسر اجتهاده في ذلك في رضا الخلق ، ولم يفسر اجتهاده في رضا الخلق ، لأنه معلوم ، فقال : هو حُسن الثناء في العباد ، وجبل الأثر في البلاد .

فإن قلت : فنوله « ونعم النعمة » على ماذا نعطفه ؟

قلت : هو معطوف على « ما » من قوله « لما فيه » ، كآية قال : أسأل الله توفيقي لنا ونعم النعمة ، أى ولنعم نعمته على ، ونضاعف كرامته لدى ، ونوفيه لها هو توفيقه للأعمال الصالحة التي يستوجبها بها .

[فصل في ذكر بعض وصايا العرب]

ويبنى أن يذكر في هذا الوُشع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أوصوا بها أولادهم ورَهْطهم ، فيها آدابُ حسان ، وكلام فصيح ، وهي مناسبة لمهدي أمير المؤمنين عليه السلام هذا ، ووصاياه الودعة به ، وإن كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام أجَلّ وأعلى من أن يُسبَّح به كلام ، لأنه فس من نور الكلام الإلهي ، وقرع من دَوحة المَظنن النبوي .

روى ابن السكيت قال : لما ^(٢) حضرت الوفاة أوس بن حارثة أنا الخُزرج ، لم يكن له ولدٌ غير مالك بن الأوس ، وكان لأخيه الخُزرج خمسة ، فيل له : كَسَا فأمرَكَ بأن تزوج في شبابك فلم تفعل حتى حضرَكَ الموت ، ولا ولدَكَ إِلَّا مالِكُ ! فقال : لم يهلكْ هالكٌ تركَكَ مِنْ مالِك ، وإن كلن الخُزرجُ ذا عَدَد ، ولبس لِمَالِك ولد ، فقلل الذي استخرج

الْعَذَى مِنَ الْجَرْيَةِ ^(١) ، وَالنَّارَ مِنَ الْوُثْبَةِ ^(٢) أَنْ يَجْعَلَ لِمَالِكٍ نَسْلاً ، وَرَجُلًا بُسْلاً ^(٣) ،
وَكُنَّا إِلَى الْمَوْتِ . بِأَمَّاكَ ، الْمَنَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ ، وَالنَّابُ قَبْلَ الْمَقَابِ ، وَالْتَجَدُّ لَا الْتَبَدُّ ،
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَمْرِ ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِ قَعْدًا حُرْمَ قَائِمًا ، وَشَرُّ الشَّرْبِ الْأَشْعَافُ وَشَرُّ
الْعِلْمِ الْأَخْشَافُ ^(٤) ، وَذَهَابُ الْبَصَرِ ، خَيْرٌ مِنْ كَثْبٍ مِنَ النَّظَرِ ، وَمَنْ كَرَّمَ الْكَرِيمَ الدَّفْعُ
عَنِ الْحَرِيمِ ، وَمَنْ قَلَّ ذَلٌّ ، وَخَيْرُ الْفَتَى الْقَنَاعَةُ ، وَشَرُّ الْفَقْرِ الْخُسُوعُ . الدَّهْرُ مَرَّتَانِ :
مَرَّفٌ رِخَاءً ، وَصَرَفٌ بَلَاءً ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانِ : يَوْمُ لَيْلٍ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا نَظَرَ ،
وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْطَبِرْ ، وَكَلَامُهَا سَبْطُ حَسِرٍ ^(٥) وَكَيْفَ بِالسَّلَامَةِ ، لِمَنْ لَيْسَتْ لَهُ إِقَامَةٌ ،
وَحَيَاكُ رُبَّكَ .

وَأَوْصَى ^(٦) الْحَارِثُ بْنُ كَبٍ بَنِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، قَدَانَتْ عَلَى مَائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً
مَا صَاحَبْتُ بِمِثْلِي بَيْنَ عَادٍ ، وَلَا قَسَمْتُ لِنَفْسِي بِحُلَّةٍ فَاجِرَةٍ ، وَلَا صَوْتُ بَابِنَةٍ عَمٍ
وَلَا كِتَّةٍ ^(٧) ، وَلَا بَحْتُ لِمُصَدِّقٍ بِئَرٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عَنْ قَوْمِيَّةٍ فَنَاعًا ، وَلَا بَقِيَّ عَلَى دِينِ
عَبَسِي بْنِ مَرْبِمْ . وَفَدَّ رُؤْيَى عَلَى دِينِ شُعْبٍ . مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي وَعَبَرُ نَحْمٍ مِنْ مَرَا بْنِ أَسَدٍ
ابْنِ خَزِيمَةٍ ، فَوُتُوا عَلَى شَرِيعَتِي ، وَأَحْضَطُوا [عَلَيَّ] ^(٨) وَصِيَّتِي ، وَإِلَهُكُمْ فَاتَّقُوا ، بِكَلِمَةٍ
مَا أَمَّكُمْ ، وَبِصَلَحٍ لَكُمْ حَالَكُمْ ، وَإِبَاكُمْ وَمَصِيبَتَهُ ، فَيَحُلَّ بِكُمْ الدَّمَارُ ، وَيُوحِشَ مَسْكَمُ
الدُّبَارِ . كُونُوا جَمِيعًا ، وَلَا تَعْرِفُوا فَكُونُوا شَيْعًا ، وَبُرِّ وَأَهْلًا أَنْ تُبَزَّوْا ^(٩) ، فَمَوْتُ

(١) الجرعة : الوالد ، والعذل : العلة . (٢) الوثبة : الصخرة .

(٣) بسيل : جمع باسل ؟ وهو الشجاع . (٤) الأشعاف : الامتناس والاعتكاف : الأحد صيغة .

(٥) هي بنكنت .

(٦) الروايات ١٢٣ ، وسبعده الوصية إلى مالك بن النضر الحلّ قال : هـ وقد كان أصاب دماً وقومته ؟
فشرح ما رآه بأهله حتى أتاهم بي هلال ، فلما احتضر أوصى به ، وأمرهم أن يطهروا قومه الصف من
حده الذي أحدثه فيهم .

(٧) الكتفة : امرأة الابن أو الأخ . (٨) تكلمت من د . (٩) بز : سله .

في عزٍّ، خبرٌ من حياة في ذلٍّ وهجر، وكلٌّ ما هو كائن كائن، وكلٌّ جمع إلى نابين، والدمر صرّخن: صرف بلاد، وصرف رعاة، واليوم يومان: يومٌ حَبْرَة^(١)، ويومٌ عَبْرَة، والناس رجلان: رجلٌ لك، ورجلٌ عليك. رَوَّجُوا الماءَ الأكفَاءَ، وإلّا فأنظروا بهنّ الفضاء، وليكن أطيب طيبين الماء، وإياكم والورهاء، فإنّها أدوا الداء، وإنّ ولدها إلى أفن^(٢) يكون. لا راحةَ لفاطمة الغراية. وإذا اختلف القومُ أمكنوا عدوهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة، والتعلُّق بالحسنة يقي السيئة، والكفاية بالسبّة دخول فيها، وعمل السوء يُزيل النعماء، وقطيعة الرحم تُورث الهرم، وانتهاك الحرمّة يُزيل النعمة، وعقوق الوالدَيْن يُغيث النكد، ومُحَرِّبُ البلد، ومُخَنِّقُ العدد، والإسراف في المنيعة، هو المنيحة، والحقد منع الرِّقْد، ولروم الحطبة بُدب السبّة، وسوء الدّعة^(٣) يقطع أسباب السّعة، والضمان يدعو إلى التباين؛ يا بنيّ! إلى عدلٍ أكلتُ مع أقوامٍ وشربتُ، فذهبوا وغرتُ، وكأني بهم قد لحقتُ، ثم قال:

أكلتُ شاي مَافِينَه ~~وَأَبْنَيْتُ~~ بِمَد دُهورِ دُهوراً
ثلاثةَ أهليينِ صاحبُهم فادُوا وأصبحتُ شيخاً كبيراً
فلبسَ الطعامَ عسبرَ النيا في فذرك الدهرُ خَطَوى فصبراً
أصبتُ أرايمى محومَ السباء ألقبُ أمرى بطلونا طهوراً

وصيّاكم بنُ سَقيّ سبه ورحمته فنال: يا بنيّ نيم، لا يهوننكم وقطى، إن فانكم الدهر بنفسي، إن بين خيروى وسدى لكلاماً لا أحدٌ له مواقع إلا^(٤) أمتاعكم ولا مفار إلا قلوبكم، فتلّفوا بأمتاع مُعْتَبِه، وقلوب دواعيه، تحمّدوا مَعْبَته: الهوى

(١) الحبرة: السرور. (٢) الأفن: السواد.

(٣) الوصايا: الرعة. (٤) في «دعبر».

لا يرضيه عن عرضه عوض، وإياك وضرب الأبقار فإنه عازٍ باقٍ، ووثر مطلوب، واستعمل على التجارة والفضل دون الهوى، ولا تمزق إلا عن عجز أو خيانة. ولا يمتك من استطاع الرجل أن يكون غيرك فذ سببك إليه، فإنك إنما تستطيع الرجال لغفلها. وليكن صيغتك عند من يكافئك عنه المشائر. احمل الناس على أحسن أدبك بكموك أنفسهم. وإذا كنت كتاباً فأكثر النظر فيه، ولبكن رسولك فبا بيني وبينك من يقفه عنى وعنك؛ فإن كتاب الرجل موضع عقله، ورسوله موضع مبره. واستودعك الله، فلا بد للودع أن يسكت، والشيخ أن يرحم. وما عفت من التلق وفل من الخطيئة أحب إلى أبيك.



وأوصى قيس بن عاصم الميموني به، فقال: يا بني، خذوا عني فلا أحد أصبح لكم مني. وإذا دفتنوني فاصرفوا إلى حالكم، فتودوا المكره كما أنه فإن النوم إذا سودوا أكرهم خلغوا أباهم، وإذا سودوا أصفرهم أدرى ذلك بهم في أكفائهم. وإياكم وممصية الله وقطيعة الرجم، ونمساكوا طاعة أمرائكم فإنهم من دفعوا الرنم، ومن قسّموا اتضع. وعليكم بهذا المال فأصلحوه، فإنه متبته للكرهم، وخنة ليرض اللثم. وإياكم والمسالمة فإنها آخر كسب الرجل، وإن أحدا لم يسأل إلا ترك الكسب، وإياكم والنباح، فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بنعى عنها، وادفون في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والإسلام، وأخاف أن يدخلوا عليكم بي عارا. وخذوا عني ثلاث خصال: إياكم وكل عرق لثم أن فلا يسوء فإنه إن سررركم اليوم يسؤركم غداً، وأكظموا النفيظ، واحذروا بني أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم، ثم قال:

أحيا الضعفاء آباءنا سلفوا فلن تبيد ولآباءنا

قال ابن السكيت : فتحكى الناس هذا البيت سابقا للزير ، وما هو إلا لغير

ابن عامر .

وأوصى عمرو بن كلثوم النخعي^(١) [بيه]^(٢) فقال : يا بني ! إني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي ، ولا بد من أمر يقتل ، وأن ينزل بي ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد ، فاحفظوا عني ما أوصيكم به . إني والله ما عيرت رجلا قط أمرا إلا عبرتني مثله ؛ إن حقا عني ، وإن باطلا فباطل ، ومن سب سب ، فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأفراضكم . وصلوا أرطلكم معكم^(٣) ، واكرموا حلركم بحسن ثنائكم ، وزوجوا نساءكم بنى العم فإن نعتهم بين إلى الغراء فلا قالوا بين [عن]^(٤) الأكفاء . وأبدوا بيوت النساء من بيوت الرجال . فاستحسن للبصر ، وأعتل للذكور ؛ ومتى كانت العناية والثناء ، ففى ذلك داء من الأدواء ، ولا خير فيمن لا يشار انبره كما يشار لنفسه ، وفل من انتهك حرمة لعبره إلا انتهكت حرمة . واعلموا الغريب من ظلم الغريب ، فإنك تدل على غريبك ، ولا تكمل بك ذل غريبك ، وإذا تنازعتم فى الدماء فلا يكن حاكم الكفاء ، فرب رجل خير من ألف ، ووذ خير من حلف ، وإذا حدثتم قفوا ، وإذا حدثتم فأوجزوا ، فإن مع الإكثار يكون الإهذار ، وموت عاجل خير من ضي آجل ، وما يكيئ من رمل إلا دهانى بدمه رمل ، وبعسا شجائى^(٥) من لم يكن أمرا .

(١) ب : ه الطلى ، غريب . (٢) نسكه من د .

(٣) د : « دياركم » . (٤) من د .

(٥) شجائى : أحزى .

تَحَنَّى ، وما عَجِبْتُ مِنْ أَخْذِهِ إِلَّا رَأَيْتُ بَعْدَهَا مُعْجِبَةً . وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَشْجَعَ الْقَوْمِ الْعَطْلُوفُ ، وَخَيْرُ الْمَوْتِ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيْفِ ، وَلَا خَيْرَ فَيْمِنْ لَا رُوبَةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فَيْمِنْ إِذَا مُعْتَبٍ لَمْ يُعْتَبْ ، وَمَنِ النَّاسُ مِنْ لَا رَجَى حَبْرُهُ ، وَلَا بَخَافَ شَرُّهُ ، فَيَكُونُهُ ^(١) خَيْرٌ مِنْ دَرَّةٍ ، وَعَقْلُهُ خَيْرٌ مِنْ بَرَّةٍ ، وَلَا يُبْرِحُوا فِي حَكْمٍ فَإِنَّ مِنْ أَرْحَ فِي حَبْرٍ أَلَّ ذَلِكَ إِلَى قَبِيحٍ بَعْضُ ، وَكَمْ فَدَازَى إِنْشَانِ وَزُرْتُهُ ، فَأَتَقَلَّبَ الدَّهْرُ بِنَا فَبَرَّ نَهْ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْحَلِيمَ سَلِيمٌ ، وَأَنَّ السَّعْبَةَ كُلِّهَا ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ وَلَسْكَنَ هَرَمْتُ ، وَدَحَلْتُ دِلَّةً فَسَكْتُ ، وَضَعْتُ قَلْبِي فَأَهْتَرْتُ ^(٢) ، سَلَّمَكُمْ رَبِّكُمْ وَحَيَّاكُمْ أ

وَمِنْ كِتَابِ أَرْدَشِيرَ بْنِ بَابَكٍ إِلَى بِيهِ وَالْمُلُوكِ مِنْ بَعْدِهِ : رَشَادَ الْوَالِي خَيْرٌ لِلرَّعِيَّةِ مِنْ حَسَبِ الزَّمَانِ ، الْمُلْكُ وَالِدَيْنِ نَوْمَانِ لَا فَرْقَ لِحَدِّهِمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ ، فَالَّذِينَ أَسَّ الْمُلْكَ وَعَمَّادُهُ ، ثُمَّ صَارَ الْمُلْكُ حَارِسَ الدِّينِ ، فَلَا يَلُوحُ لِلْمُلْكِ مِنْ أَمْنِهِ ، وَلَا يَدُ لِلَّذِينَ مِنْ حَارِسِهِ ، فَأَمَّا مَا لَا حَارِسَ لَهُ فَمَضَائِعُ ، وَمَا لَا أَسَّ لَهُ فَهَدُومٌ ^(٣) . إِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَبَادِرَةَ السَّلَاطَةِ إِنَّمَا كُمْ إِلَى دِرَاسَةِ الدِّينِ وَتَأْوِيلِهِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ ، فَتَحْمِلُكُمْ الثَّقَلُ بِقُوَّةِ الْمُلْكِ عَلَى انْتِهَاوَنِ بِهِمْ ، فَتُحَدِّثُ فِي الدِّينِ رِبَاسَاتٍ مُنْشِرَاتٍ سَرًّا فَيْمِنْ فَدَ وَزَرْتُمْ وَحَقَّقْتُمْ ، وَحَرَمْتُمْ وَأَخْفَضْتُمْ ، وَسَنَرْتُمْ مِنْ سِرَّةِ النَّاسِ وَالرَّعِيَّةِ وَخَشَوُ الْعَامَّةِ ، ثُمَّ لَا نَنْشَبُ نَكْلَ الرِّبَاسَاتِ أَنْ تَحْدُثَ خُرْفًا فِي الْمُلْكِ وَوَهْشًا فِي الدَّوْلَةِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَكُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَحْسَادِ الرَّعِيَّةِ لَا عَلَى قُلُوبِهَا ، وَإِنْ غَلِبْتُمْ النَّاسَ عَلَى مَالٍ أَيْدِيهِمْ فَلَنْ تَغْلِبُوهُمْ عَلَى مَالٍ عُنُوقِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْعَاقِلَ الْمَحْرُومَ سَأَلَ عَلَيْكُمْ لِسَانَهُ ، وَهُوَ أَقْطَعُ سَبْعِيهِ ، وَإِنْ أَشَدَّ مَا يَضُرُّ بِكُمْ مِنْ لِسَانِهِ مَا صَرَفَ الْحِيلَةَ فِيهِ إِلَى الدِّينِ ، فَكَانَ لِلدُّنْيَا يَحْنَجُ ^(٤) ، وَلِلَّذِينَ فِيهَا يَنْظُرُ بِنَمْسٍ ، فَيَكُونُ

(١) كَثَأْتُ الْهَاقَةَ نَكْرًا : مِثْلُ لَهَا .

(٢) الْهَرْتُ : دَعَايَ الْفُلَّ . (٣) أ : « يَجِيحُ » .

للذين بكأوه ، وإليه دعاؤه ، ثم هو أوجد للتائبين والمصدقين والمناصحين والمؤازرين ، لأن
نعتب^(١) الناس موكل بالملك ، ورحمتهم وعيبتهم موكل بالضعفاء المغلوبين ، فاحذروا هذا
الذي كل الحذر .

واعلموا أنه ليس ينبغي للعَلِك أن يعرف للمناد والفساك بأن يكروا أولي بالذين منه ،
ولا احتدب عليه ولا أعضب له . [ولا ينبغي له]^(٢) أن يجلي الساك والمناد من الأمر
والنهي في نكسهم ودينهم ، فإن خروج الساك وعبرهم من الأمر والنهي عيب على الملك
وعلى المملكة ، وتلذه بئنه الضرر على الملك وعلى من بعده .

واعلموا أنه قد مضى قسما من أسلافنا ملوك كل ملك منهم بنعت الحباة بالتفليس
والجماعة بالتفصيل ، والفراغ بالإشغال ، كنعيتهم جسد بنعت فضول الشعر والفقر وغسل
الدون والشم^(٣) ومدواة ما طهر من الأدواء وما دلفن ، وقد كان من أولئك الملوك من
صحة ملكه أحب إليه من صحة جسمه ، حتى أن تلك الأملاك بذلك كانوا ملك واحد ،
وكان أرواحهم روح واحدة ، يمكن أولهم لأخرهم ، وبصدق آخرهم أولهم ، يجتمع أباء
أسلافهم ، ومرايت آواهم ، وغرات عفوهم عند الباقي منهم بدمهم ، وكانهم جلوس
معه يحدوثونه ويشاورونه ، حتى كأن على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبة الإسكندر
الرومي على ما علب عليه من ملكه . وكان إفساد أمرنا ، ونرفسه جاعتنا ، ونحريه
عمران مملكتنا أبلغ له قبا أراد من سنك دمانا ، فلما أذن الله عز وجل في جمع مملكتنا ،
 وإعادة أمرنا ، كان من بعثه إياها ما كان . وبالأعبار يقتضى الشار ، والنجارب الماشية
مستور يرجع إليه من الحوادث الآتية .

واعلموا أن طباع الملوك على غير طباع الرعية والسوقة : فإن الملك بطيف به العز ،
والأمن والسرور والقُدرة على ما يريد ، والآفة وأنجرأة الذهب والبطر ، وكلما ازداد

في الممر نفساً ، وفي الملك سلامةً أزداد من هذه الطبايع والأخلاق حتى يُسلمه ذلك إلى سُكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب ، فيفسى النكبات والمآثر ، والنير والدوائر وحسن تسلط الأيام ، ولوم عابه الدهر ، فبرسل يده بالفعل ولسانه بالقول . وعند حسن الظن بالآيام يحدث النير ، ونزول السّم ، وقد كان من أسلافنا وفدّماء مذكور كفا من يذكر عزّ الدّل ، وأمنه الخوف ، وسروره الكآبة ، وقدره العجزة ، وذلك هو الرّجل الكامل قد جمع بهجة اللوك ، وفكرة الشوفة ، ولا كمال إلا في حهما .

واعلموا آسكم سنبولون على الملك بالأرداج والأولاد والزّباء والوزراء والأخذنان ، والأنصار والأعوان والنزريين والندماء والضحيكين ، وكلّ هؤلاء - إلا قليلاً - أن يأخذ لنفسه أحبّ إليه من أن يملأ منها محله ، وإنما عمله سوق لهومه ، وذهيرة لفته ، فنصبحه الدولك فضل نصبحته نفسه وعابه الصّلاح هذه صلاح نفسه ، وغاية الفساد عنده فسادها ؛ بقية للسلطان سوق الودّة ما أطم له سوق الأديار والنافع ، إذا استوحى الملك من فطانه أطلعت عليه ظلم الجمالة . أخوف ما يكون العامة آمن ما يكون الوزراء ، وآمن ما يكون العامة^(١) [أخوف ما يكون الوزراء .

واعلموا أن كثيرا من وزراء اللوك من يحاول أسفهاء دولته ما يابغ الأضراب ، والخط في أطراف مملكة اللوك ، لبحساج الملك إلى رأيه ونديره ؛ فإذا عرقم هذا من وزير من وزراءكم فأعزلوه فإنه يذبل الوهن والنقص على الملك والرعية فصلاح حال نفسه ، ولا نفوم نفسه بهذه النفوس كلّها .

واعلموا أن يده ذهاب الدولة بشأ من قتل إعمال الرعية خير أشغال معروفة ولا أعمال مملومة ، فإذا نشأ الفراغ تولّته النظر في الأمور ، والفكر في الفروع والأسول . فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه لطبايع غمامة ، فتختلف بهم المذاهب ، ويتولد من اختلاف مذاهبهم تمايزهم ونضاعتهم ، وهم مع اختلافهم هذا متفقون ومجمعون على بنف اللوك ، فكل صنف منهم إنما يجري إلى فجبم الملك بملكه ، ولكنتهم لا يجدون سُلماً إلى

(١) نكسة من دويها يستقيم السلام .

ذلك أوثق من الدين والناموس ، ثم يتولد من تعاديبهم أن الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد ، فإن ائتمر باختصاص بعضهم صار عدوً بينهم ، ولئى طبايع العامة أستقال الولاد وملاهم ، والنفاة^(١) عليهم ، وألحد لهم ، وى الرعية المحروم والضروب والمقام عليه الحدود ، ويتولد من كثرتهم مع عداوتهم أن يحى الملك عن الإقدام عليهم ، فإن فى إقدام الملك على الرعية كلها كافة فغيراً بمسكه . ويتولد من حى الملك عن الرعية استمجالهم عليه ، وهم أقوى عدو له وأخلفه بالطغر ، لأنه جاضر مع الملك فى دار ملكه ، فن أفضى إليه الملك بمدى فلا يكون بصلاح جسده أشد اهتمامه بهذه الحال ، ولا نكوى نسي من الأنباء أكره وأسكر لراس صار دنبا ، وذنب صار رأسا ، وبد مشغولة صارت فارغة ، أو عى صار فبرا ، أو عامل مصروف ، أو أمير مبرول .

واعطوا أن سياسة الملك وحراسه ألا يكون ابن السكاب إلا كابنا ، وابن الجندى إلا جدبا ، وابن التاجر إلا تاجرا ، وهكذا فى جميع الطبايع ، فإنه يتولد من تغل الناس عن حالهم أن يلتمس كل امرئ منهم فوق مرتبه ، فإذا أنغل أو شك أن برى شيئا أرفع مما انتغل إليه ، فبحسد أو ينافس ، وى ذلك من الضرر المتولد ما لا خفاء به ، فإن عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوسيناه فلا يكون للمعبص القبول أسرع حلما منه ليا لس من قهص ذلك الملك .

واعطوا أنه لى ملك إلا وهو كثر الدكر إن بلى الأمر بعده ، ومن فساد أمر الملك شر ذكره ولا العهد ، فإن فى ذلك شروبا من الضرر ، وأن ذلك دخول عدو بين الملك وولى عهده ، لأنه نطمح عبته إلى الملك ، وبصر له أحباب وأخذلن يعتونه ذلك ، وبسبطلون موت الملك . ثم إن الملك يستوحش منه ، ونساق الأمور إلى هلاك أحدها ، ولكن لينظر الوالى منكم لله تعالى تم نفسه ثم لرعيتة ، وليتخى وليا للعهد من بعده

ولا يُعلمه ذلك ، ولا أحد من الخلق فربما كان منه أو بعيدا ، ثم يكتب اسمه في أربع صحائف ، ويختتمها بخاتمه ، ويصمها عند أرملة سر من أعيان أهل المملكة ، ثم لا يكون منه في سره وعلاته أمر يستدل به على وليّ عهده من هؤلاء ، وإدناؤه وغريب يعرف به ، ولا في إفشاء وإعراض يُستراب له . وليت ذلك في اللحظة والكلمة ، فإذا هلك الملك صحت تلك الصحائف إلى السحرة التي تكون في حِزاة الملك ، فتصنّ جِما ، ثم ينوء حبشذ بأسم ذلك الرجل ، فيلبى الملك إذا نفيه بحدائه عهد . بحال السوفة ، ولبسه إذا لسه بعصر السوفة وسمها ، فإن في معرفته بحاله قبل إفشاء الملك إليه سُكراً نُحديته عده . ولا به العهد ، ثم باناء الملك فيرده سُكراً إلى سكره ، فبمى وبصم ، هدامع ما لا بد أن يلفاء أنهام ولاية العهد من جيل الثناء ، ومعى الكذابين ، وزمة النعمان ، وإظهار صده ، وإفساد قلبه على كثر من رعبته ، وجواس دولته ، وليس ذلك بمحسود ولا صالح .

واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف ، لأنه لا يفتر أحد أستراره ، وليس له أن يفض لأنه قادر ، والفصيح لقاح الشر والندامة ، وليس له أن يبيت ويكلم ، لأن اللاب والعبت من عمل الفراغ ، وليس له أن يعرف لأن الفراغ من أمر السوفة ، وليس للملك أن يحسد أحداً إلا على حسن التدبير ، وليس له أن يحاف لأنه لا يد فوق يده .

واعلموا أنكم لن تفقدوا على أن تحبموا أقواء الناس من الطعن والإرراء . عليكم ، ولا قدرة لكم على أن تجعلوا البيع من أفضالكم حسنا ، فأحبسوا في أن تحسن أفضالكم كلها ، وألا تحبموا للعامة إلى الطعن عليكم سهلا .

واعلموا أن لباس الملك ومطعمه ومشربه مفارب لباس السوفة ومعامهم ، وليس

خصل الملك على الشوفة إلا بقدرته على اقتناء المحامد وأستفادة المكارم ، فإنَّ الملك إذا شاء أحسن ، وليس كذلك الشوفة .

واعلموا أنَّ لكلِّ ملك بطانةً ، ولكلِّ رجل من بطانته بطانة ، ثمَّ إنَّ لكلِّ أمرىٍّ من بطانة البطانة بطانة ، حتَّى يجتمع من ذلك أهلُ الملكة ، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم ، أقام كلَّ أمرىٍّ منهم بطانته على مثل ذلك حتَّى يجتمع على الصلاح عامة الرعية .

احذروا باباً واحداً طالما أمِنْتُهُ فصرُّي ، وحذَرْنِي فَنَقَمِي . احذروا إفشاء السرِّ بحضرة الصنار من أهليكم وخدعكم ، فإنه ليس بصنرٍ واحدٍ منهم عن حمل ذلك السرِّ كمالاً ؛ لا يترك منه شيئاً حتَّى يضمنه حبُّ نكروهم إما سخطاً أو عداً .

واعلموا أنَّ في الرعية سنيئاً أنا الملك من قبل المتماخ له ، والنمساو إصلاح متارلهم بإفساد متارل الناس ، فأولئك أعداءُ الناس وأعداءُ الملوك ، ومن عادي الملوك والناس كلهم فقد عادي نفسه .

واعلموا أنَّ الدهر حاكمكم على طبقات ؛ فيها حال السخاء حتَّى يدنوَّ أحدكم من الترف ، ومنها حال التبذير حتَّى يدنوَّ من السُخْل ، ومنها حال الأمانة حتَّى يدنوَّ من البهلافة ، ومنها حال أنهاز الرُصة حتَّى يدنوَّ من الخلفة ، ومنها حال الطلاقة في التسان حتَّى يدنوَّ من الهذر ، ومنها حال الأخذ بحكمتكم^(١) الصمت حتَّى يدنوَّ من العي ، فإللك منكم جدبرٌ أن يبتلع من كلِّ طبقة في محاسنها حدها ، فإذا غض عليه ألبم نفسه عما وراءها .

واعلموا أنَّ ابن الملك وأخاه وأبن عمه يقول : كدت أن أكون ميكاً ، وبالخرى ألا أصوت حتَّى أكون ميكاً ، فإذا قال ذلك قال ما لا يسرُّ الملك ، وإن كتمه فلداء

(١) الحكمة في الأصل : الإجماع ؛ والسلام على الامتارة .

في كلِّ مكتوم ، وإذا تخي ذلك جعل انفساد سُوءًا إلى الصلاح ، ولم يكن الفساد سُوءًا إلى صلاح فقط . وقد رحمتُ لكم في ذلك مثالا ، احملوا الملك لا ببنين إلا لأبناء الملوك من بنات عمومهم ، ولا يصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غير سخييف الفضل ، ولا عازب الرأي ، ولا نافس الخوارج ، ولا مطعون عليه في الدين ، فإنكم إذا فعلتم ذلك قلَّ طغاب الملك ، وإذا قلَّ طغابُه اسزاح كلُّ امرئ إلى ما يليه ، ونزع إلى حدِّ قلبه ، وعرف حاله ، ورضى معيشته ، واستطاب زمانه .

فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ، ووصايا أكثر ملوك الرُوس وأعظمهم حكمةً لتُفتمَّ إلى وصايا أمير المؤمنين فيجعل منها وصايا الدين والدنيا ، فإن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، الدين عليها أغلب ، ووصايا هؤلاء الدنيا عليها أغلب ، فإذا أخذ من أخذ المؤمنين بيده بمجموع ذلك فقد سعد ، ولا تسعد إلا من أسعده الله .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ اسلام

(٥٤)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي،
وذكر هذا الكتاب أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات :

أَنَا بَعْدُ ، فَقَدْ عَامَتُمَا - وَإِنْ كُنْتُمَا - أَتَى لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ
أَبَايَهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ؛ وَإِسْكُمَا عَمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ
غَالِبٍ ، وَلَا يَجْرِي صِرَاحٌ ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا فِي طَائِعَتَيْنِ فَارْجِعَا وَتَوْبَا إِلَى اللَّهِ
مَنْ قَرَّبَ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَا فِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ حَمَلْتُمَا عَلَيَّ السَّبِيلَ بِإِثْنَارِكُمَا
الْعَامَّةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمُتَصَيِّفَةَ . وَلَمْ تَرَوْا مَا كُنْتُمَا بِأَحْنُ الْمُهَاجِرِينَ بِالنَّبِيَّةِ
وَأَلْسِنَتَيْنِ .

وَإِنْ دَفَعْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ قَبْلَ أَنْ نَدْخُلَ بِهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ حُرُوجِكُمَا
مِنْهُ بَعْدَ إِفْرَاقِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ شُعْمَانَ ، فَتَبَيَّنِي وَبَيَّنَّكُمَا مَنْ نَخَلَفَ مِنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ
أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ بَلَّزْتُمْ كُلُّ أَمْرِي بِبَنْدَرٍ مَا اخْتَمَلَ .

فَارْجِعَا أَهْلًا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ؛ فَإِنَّ الْآنَ أَغْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ . وَالسَّلَامُ .

الشَّيْخُ :

[عمران بن الحصين]

هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد بن شهيم بن سالم بن فاضلة بن سكول ابن خبشية بن سكول بن كعب بن عمرو الخزاعي . يكنى أبا يعقوب بأبنته يعقوب بن عمران . أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر ، وكان من فضلاء الصحابة وفضائهم ، يقول أهل البصرة عنه : إنه كان يرى الحطلة ، وكانت تسلمه حتى اكتوى .

وقال محمد بن سيرين : أقبل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عمران بن الحصين وأبو بكر بن الأشعث واستنصاه عبد الله بن عامر بن كرز على البصرة فقبل له آباءها ، ثم استنصاه فأعلمه . ومات بالبصرة سنة أربعين وخمسين في أيام معاوية .

[أبو جعفر الإسكافي]

وأما أبو جعفر الإسكافي فهو شيخنا محمد بن عبد الله الإسكافي . عدّه قاضي القضاة في الطبقة السابعة من طبقات المعزلة مع عباد بن سليمان الميموني ، ومع زرقان ، ومع عيسى بن الهيثم الصوفي ، وجعل أول الطبقة ثمانية من أئمة أبا معن ، ثم أبا عثمان الجاحظ ، ثم أبا موسى عيسى بن صبيح الرزاز ، ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمد بن شعيب ، ثم محمد بن إسماعيل بن العسكري ، ثم عبد الكريم بن رَوْح العسكري ، ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أبا الحسن المالح ،

ثم الجعفران : جعفر بن جرير وجعفر بن مبشر ، ثم أبو عمران بن النفاش ، ثم أبو سعيد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عباد بن سليمان ، ثم أبو حمزة الإسكافي هذا . وقال : كان أبو حمزة فاضلا عالما ، وصفت سبعين كتابا في علم الكلام .

وهو الذي نفى كتاب " العنابة " على أبي عثمان الحافظ وحياته ، ودخل الحافظ الوراقين بغداد ، فقال : من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنه تعرض لنفى كتابى ! وأبو جعفر جالس ! فأخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعدة معروفة ببغداد ، ويبالغ في ذلك ، وكان علوى الراى ، محققا منسما ، قليل العصية .



ثم تعود إلى شرح الفاظ الفصل ومعانيه :
قوله عليه السلام : « لم أزد الناس شيئا لم أزد قولاً عليهم حتى أرادوا هم متى ذلك . »

قال : « ولم أباينهم حتى يابسون » ، أى لم أمدد بدي إليهم مدّ الطلب والحرص على الأمر ، ولم أمددها إلا بعد أن خاطبوني بالإمرّة والخلافة ، وقتلوا بالناسك : فد بابنك ، فبشد مددت بدي إليهم .

قال : ولم يابني العامة والسفهاء لسلطان غصبهم وفهرم على ذلك ، ولا لحرص حاضر ، أى مال موجود فرقته عليهم .

ثم قسم عليهما الكلام ، فقال : إن كنّا باقنماني طموعا عن رضا فقد وجب عليكما الرجوع ، لأنه لا وجه لاستفاض تلك البنية ، وإن كنّا بابنماني مكرهين عليهما فالإكراه

له سورة ، وهي أن يجرّد السيف ويعدّ العنق ، ولم يكن قد وقع ذلك ، ولا يمكنكم أن ندعيه ، وإن كنّا بايعتاني لا عن رضا ولا مكرهين بل كراهين ، وبين المكره والكاره فرق بين ، فالأمور الشرعية إنما تُبنى على الظاهر ، وقد جملنا في على أنفسكم السبيل بإظهاركم العاطفة ، والدخول فيها دخل فيه الناس ، ولا اعتبار بما أسردتم من كراهية ذلك . على أنه لو كان عندي ما يكرهه المسلمون لكان المهاجرون في كراهية ذلك سواء ؛ فما الذي جعلكم أحقّ المهاجرين كلهم بالكتمان والتغيب ؟

ثم قال : وقد كان امتناعكم عن البينة في مبدأ الأمر أجل من دخولكم فيها ثم سكتها .

قال : وقد زعمنا أن الشبهة التي دخلت عليكم في أمري أني فلت عثمان ، وقد حملت الحكم بيني وبينكم من تحلف عني وعليكما من أهل المدينة ، أي الجماعة التي لم تضرعنا ولا طلحة ، كمحمد بن مسلمة ، وأما عبد الله بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، يعني أنهم غير متهمين عليه ولا على طلحة والزبير ، فإذا حكموا ثم كل أمرى ما بقدر ما تقتضيه الشهادات . ولا شبهة أسهم لو حكموا وهم را بصورة الحال لحكموا براءة على عليه السلام من دم عثمان ، وبأن طلحة كان هو الجلة والتفصيل في أمره وحصره وفنّه ، وكان الزبير مساعداً له على ذلك ، وإن لم يكن مكاشفاً مكاشفة طلحة .

ثم نهاها عن الإصرار على الخطيئة ، وقال لها : إنكم إنما تخافون العار في رجوعكم وإصراركم عن الحرب ، فإن لم ترجعا اجتمع عليكم العار والنار ؛ أما العار فلا أنكم تهزمان وتفرّان عند اللقاء فتعتران بذلك ، وأيضا سيكشف للناس أنكم كنّا على باطل فتعتران بذلك ، وأما النار فإلّاها مصير الشعاة إذا مانوا على غير نوبة واحتمال العار ، وحده أهون من احتماله واحتمال النار معه .

(٥٥)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سَخَّاهُ جَدَلَ الدُّنْيَا لِمَا نَعْدَهَا ، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَهْلَهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلَفَا ، وَلَا يَأْتِي فِيهَا أَمْرُنَا ، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِيُبْتَلَى فِيهَا ، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ رِي ، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، فَتَدَوَّنَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا يَتَأَوَّلُ الْفُرْقَانِ ، وَطَلَبْنِي بِمَا لَمْ نَجْعَلْ يَدِي وَلَا لِسَانِي ، وَوَعَبْتُهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ رِي ، وَالْبَ عَالِمُكُمْ **بِأَهْلِكُمْ** ، وَمَا تَكُنُّمْ قَاعِدَكُمْ .

فَاتَّقِ اللَّهَ رِي مَنِيكَ ، وَتَزِرْ **الشَّيْطَانُ بِمَا نَكَ** ، وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ ، فَعَيَّ طَرِبُنَا وَطَرِبُكَ ، وَاحْذَرْ أَنْ يَصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِسَاحِلِ فَارِغَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ ، وَتَقْطَعُ الدَّائِرَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ لَكَ بِأَقْبِ أَرْبَعَةٍ عَمَرَ فَاِحْرَةً ، إِنَّهُ حَمَمَنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِغُ الْأَفْدَلِ لَا أَرَاكَ يَاحَنِكَ ، (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَمَوْحِجُ الْحَاكِمِينَ) .

الشرح :

قال عليه السلام : « لا إن الله قد جعل الدنيا لما نعدّها » ، أي جعلها طريقاً إلى الآخرة .
ومن الكلمات الحكيمية : الدنيا قلزرة فاعبروها ولا نمروها . وابتلى فيها أهلها
أي اختبرهم ليعلم أيهم أحسنُ عملاً ، وهذا من العاط الفزان العزيز ، والمراد ليعلم خلفه ،

أو ليعلم ملائكته ورؤسُه ، لحذف الضاف ، وقد سبق ذكر شيء يناسب ذلك فيما تقدم ، قال : « ولستُ للدنيا خُلُقْتَا » ، أى لم تخلق الدنيا فقط .

قال : « ولا بالسمي فيها أمرنا » ، أى لم نؤمر بالسمي فيها لها ، بل أمرنا بالسمي فيها لتبرها .

ثم ذكر أن كل واحد منه ومن معاوية مُبتلى بصاحبه ، وذلك كابتلاء آدم بإبليس وإبليس بآدم .

قال : « فقدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن » ، أى تعديت وظفّت ، و « على » ها هنا متعلّقة بمحدود دلّ عليه الكلام ، نقديره متابراً على طلب الدنيا أو مصراً على طلب الدنيا ، وتأويل القرآن ما كان معاوية يمؤّه به على أهل الشام فيقول لهم : أنا وليّ عثمان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ^(١) ﴾ .

ثم بعدُهم الطغر والدولة على أهل العراق بقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ^(٢) ﴾ .

مراتب من كلامه في سورة

قوله : « وعصيته أنت وأهل الشام » ، أى أئتمنته كما تئرم العصاية الرأس ، « وأنت » عالمكم جامعكم » ؛ أى حرص .

والفياذ : حبل تناديه الدابة .

قوله : واحذر أن يصيبك اللهُ منه بإحاطة فارعة ، الصمير في « منه » راجع إلى الله تعالى ، « ومن » لا ابتداء القاية .

وقال الراونديّ : منه ، أى من البُهتان الذى أثبتّه ، أى من أجله ، و « من » للتعليل ، وهذا بعيد وخلاف الظاهر .

قوله : « نَحَسَّ الأَصل » ، أى تقطعه ، ومنه ماء ممسوس أى يقطع التُّلّة . ويقطع النابر أى العقب والنسل .

والأُلبسة : اليمين . وباحة القدار : وسَطُها ، وكذلك ساحتُها ، ورؤى بناحيّتك .

قوله : « ساحل قازعة ، وحوامع الأقدار » ، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف^(١) للتأكيّد ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى لَحْنٍ يَقِينٍ^(٢) ﴾ .



مرکز اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

(١) د : • الصلة إلى الموصول ، . (٢) سورة الحاقة ٥٩ .

(٥٦)

الأبْسَلُ :

ومن كلام له عليه السلام وصى به شريح بن هاني لما جمعه على مقدمته إلى الشام :

أَنْتَ اللهُ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَصَبَاحٍ ، وَخَفْتُ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْفَرُودَ ، وَلَا تَأْمَنُهَا عَلَى حَالٍ .

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدِّعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ بِمَا تُحِبُّ عَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ ، مِمَّا يَكُ الْأَعْوَالُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْفُرَرِ ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَأْنِيًا وَإِعْآ ، وَلِلزَّوَانِكِ رِعْدَةً أَلْعَبُطَةً وَأَقِيمًا قَائِمًا .

مرآة الخائفين في شرحه

[شريح بن هاني]

البَرْخ :

هو شريح بن هاني بن بزبد بن نهيك بن دُرَيْد بن سُفْيَان بن الضَّبَاب ، وهو سَلَمَةُ ابْنُ الْحَارِث بن ربيعة بن الحارث بن كعب اللَذَجِيُّ . كان هاني يَكُنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَبَا الْحَكَمِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَبِي شُرَيْحٍ ، إِذْ وَفَدَ عَلَيْهِ . وابنه شُرَيْحٌ هَذَا مِنْ رِجْلَةِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، شَهِدَ مَعَهُ لِلشَّاهِدِ كُلِّهَا ، وَعَاشَ حَتَّى فُتِلَ بِرِجْسَتَانِ فِي زَمَنِ الْحُجَّاجِ ، وَشُرَيْحٌ جَاهِلِيٌّ مُسْلِمٌ ، يَكُنَى أَبَا الْيَقْدَمِ ،

ذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْاسْتِجَابِ^(١) .

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَخَفَّ عَلَى نَفْسِكَ الْغُرُورُ ، يَعْنِي الشَّيْطَانُ ، فَأَمَّا الْغُرُورُ بِالضَّمِّ
فَمَصْدَرٌ ، وَالزَّادُ : الْكَافُ الْمَانِعُ . وَالزَّوَاتُ : الْوَتَبَاتُ . وَالْحَفِيفَةُ : النَّصْبُ . وَالْوَارِقُ :
فَاعِلٌ ، مِنْ وَقَعَتْهُ أَيْ رَدَدَتْهُ أَفْبَحَ الرَّدُّ وَفَهْرُهُ . بِنُفُولٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ
عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِكَ أَفْعَصَتْ نَفْسُكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :
فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا وَفَرَّجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا^(٢)



مركز بحوث الدراسات الإسلامية

(١) الاستجاب ٦٠٢ . (٢) البيت حاتم ، وهو من شواهد ألفي ٣٣١ .

(٥٧)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة

إلى البصرة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَبِّي هَذَا إِنَّمَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا مَظْلُومًا ، وَإِنَّمَا بَاعِيًا
وَإِنَّمَا مَنِيئًا عَلَيْهِ ، وَأَنَا أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَزَلَ إِلَيَّ ، فَإِن كُنْتُ
مُحِبًّا لِعَانِي ، وَإِن كُنْتُ مُبِغًّا لِمُبِغِّي .



البُشْرُخ :

ما أحسنَ هذا التضمين وما أبلغه في عطف الغروب عليه ، واستهالة النفوس إليه !
قال : لا يَجُوزُ حَالِي فِي خُرُوجِي مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ أَكُونَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ،
وَبَدَأَ بِالظَّالِمِ حُضْمًا لِنَفْسِهِ (١) ، وَلِئَلَّا يَقُولَ عَدُوُّهُ : بَدَأَ بِدَعْوَى كَوْنِهِ مَظْلُومًا ، فَأَعْطَى عَدُوَّهُ
مِنْ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ .

قال : فَلْيَتَغَيَّرِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى فَإِنْ وَجِدُونِي مَظْلُومًا أَعَانُونِي ، وَإِنْ وَجِدُونِي ظَالِمًا نَهَوْنِي
عَنْ طُلُوعِي لِأَعْتَبَ وَأَنْتَبَ إِلَى الْحَقِّ . وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ ، وَصَرَّاحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَصْلِ عَلَى
كُلِّ الْوُجُوهِينَ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمَرَّ ، وَهَذَانِ الْوُجُوهَانِ بِنَتْنِيَّانِ تَجَرَّعَ إِلَيْهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، وَالْحَقُّ : الْمَرْءُ ، وَلَمَّا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِلَّا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا
حَافِظَةٌ ﴾ (٢) فِي خُرَاجِهِ مِنْ فِرَاقِهَا بِالْإِشْدِيدِ .

(١) « وَأَرَادَ بِالظَّالِمِ حُضْمَ نَفْسِهِ » . (٢) سورة الطارق ٤ .

(٥٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين :

وَكَانَ مَعَهُ أَسْرَانَا أَنَا الْقَتِينَا بِالْقَوْمِ مِنْ أَهْلِ النَّاهِرِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ ، وَنَبِينَنَا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَانَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا نَسْتَرِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِالْفِعْلِ وَالْتَعْدِيدِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَرِيدُونَا ، وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ غُلَامَيْنِ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بِرَسُولِهِ ، فَقُلْنَا : نَمَالُوا بِدَاوِي مَا لَا بُدَّ لَكَ الْيَوْمَ بِإِطْلَاقِ النَّارِ ، وَنَسْكِبِ الْعَالِيَةَ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ ، فَمَقَوْى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِي بِالْمَكَارَةِ ، فَأَبَوْا ، حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكِدَتْ ، وَوَقَعَتْ زِبْرَاهِمًا وَحَمِشًا^(١) .

فَلَمَّا عَرَّسْنَا وَإِنَّا مُرٌّ ، وَوَصَعَتْ غَالِيَهَا فِينَا وَفِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجْبَسَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، حَتَّى اسْتَبَاكَتْ قُلُوبُهُمُ الْحُجَّةُ ؛ وَالْقَطْعُ مِنْهُمْ الْمُعْذِرَةُ ، مَنْ نَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَثَقَّهُ اللَّهُ مِنَ الْمَلَكَةِ ، وَمَنْ لَحَّ وَكَأَدَى فَهُوَ الرَّائِكُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَسَارَتْ دَاوِيَةُ السَّوْدِ عَلَى رَأْسِهِ .

البُخَرِي :

رَوَى : « التَّمِيمَةُ وَالْقَوْمُ » بِالْوَاوِ ، كَمَا قَالَ :

« فَلْتُ إِذَا أَفْبَلْتُ وَزَمَرْتُ كَهَادِي »

وَمَنْ لَمْ يَرْوِهَا بِالْوَاوِ فَقَدْ اسْتَزَاحَ مِنَ التَّكْلِيفِ .

قَوْلُهُ : « وَالْقَوْمُ ، أَنْ رَبَّنَا وَاحِدٌ » ، كَلَامٌ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ لِأَهْلِ رِصَمَيْنِ مِنْ حَاطَبٍ مَعَاوِيَةَ حُكْمًا قَاطِعًا بِالْإِسْلَامِ ، بَلْ قَالَ : طَاهِرُهُمُ الْإِسْلَامُ ، وَلَا حَافٍ يَنْتَسِبُ وَبَيْنَهُمْ فِيهِ ، بَلْ أَطْلَفَ فِي دَمِ عَمَّانٍ .

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَلَمَّا لَمْ : نَمَالُوا فَلَنُطْلِقَ هَذِهِ السَّائِرَةُ الْآنَ بِوَضْعِ الْحَرْبِ ، إِلَى أَنْ تَتِمَّ قَاعِدَتِي فِي الْخِلَافَةِ وَزَوَلَ هَذِهِ الشُّوَابُّ الَّتِي خَلَدْتُ عَلَى الْأَمْرِ ، وَبَكُونُ لِلنَّاسِ حَافَةً تُزَجُّ إِلَيْهَا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَمَّكَ مِنْ قَدَرِ عَمَّانٍ أَعْيَانِهِمْ فَأَتَمَّ مِنْهُمْ ، فَأَبَوْا إِلَّا الْمَكَابِرَ : وَالنَّالِيَةَ وَالْحَرْبَ .

قَوْلُهُ : « حَتَّى جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَرَكَدَتْ » ، حَمَّجْتُ : أَفْبَلْتُ ، وَمَعَهُ : قَدْ جَنَّحَ اللَّيْلُ ، أَيْ أَفْبَلْتُ ، وَرَكَدَتْ : دَامَتْ وَتَبَيَّنَتْ .

قَوْلُهُ : « وَوَقَدْتُ نِيرَانُهَا » ، أَيْ التَّهَيَّيْتُ .

قَوْلُهُ : « وَحَمَّجْتُ » ، أَيْ أَسْمَرْتُ وَشَبَّيْتُ . وَرَوَى : « وَأَسْتَحْشَمْتُ » (١) وَهُوَ أَصَحُّ ؛ وَمِنْ رِوَايَا « حَمَّجْتُ » بِالسِّينِ الَّتِي هِيَ أَرَادَ أَنْشَدْتُ وَصَلَّيْتُ .

قَوْلُهُ : « فَلَمَّا ضَرَّسْنَا وَإِبَاهُمْ » أَيْ عَصَيْنَا بِأَضْرَاسِهَا ، وَيُقَالُ : ضَرَّسَهُمُ الدَّهْرُ ، أَيْ أَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ .

(١) فِي « وَاسْتَحْجَرْتُ » . وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَهْمُ أَنْفُسًا .

قال : لما أشدت الحرب علينا وعليهم ، وأكلت منا ومنهم ، عادوا إلى ما كنا سألناهم ابتداء ، وصرعوا إلينا في رفع الحرب ، ورموا المصاحف يسألون التزول على حكمها ، وإعطاء السيوف ، فأجبتهم إلى ذلك .

قوله : « وسارعناهم إلى ما طلبوا » كلمة مصبحة ، وهي نداء للتعلي اللزيم ، كأنها لما كانت في معنى السابفة ، والسابفة متعبدية عدى الساعة .

قوله : « حتى استبانت » ، يقول : استمررتنا على كفت الحرب ووضيها ، إجابة لسؤالهم ، إلى أن أسبانت عليهم حجتنا ، وبطلت معاذيرهم وشبهتهم في الحرب وشق الدماء ، من تم منهم على ذلك ، أي على أسباده إلى الحق بعد ظهوره له ، فذلك الذي خلقه الله من أهلاك وعذاب الآخرة ، ومن لج منهم على ذلك ونعادي في ضلاله فهو الرأكس ؛ قال قوم : الرأكس هنا بمعنى المركوس ، فهو مطلوب فاعل بمعنى مفعول ، كعوله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ فِي عِصْيَانِهِ رَامِيًا ﴾ ^(١) أي مرضية ، وعندي أن الفاعل على بابها ، يعني أن من لج قد ركس نفسه ، فهو الرأكس ، وهو المركوس ، يقال : ركسه واركسه بمعنى ، والكتاب المنزى جاء بالهمز فقال : ﴿ وَأَلَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسُوا ﴾ ^(٢) ، أي ردم إلى كرم ^(٣) ، ويقول : ارنكس فلان في أمر كل نحاسه ، ورن على قلبه ، أي ران هو على قلبه ، كما فلنا في الرأكس ؛ ولا يجوز أن يكون الفاعل - وهو الله - عذوقا ، لأن الفاعل لا يُعَذَفُ ، بل يجوز أن يكون الفاعل كالمعذوب ، وليس بمعذوف ، ويكون المصدر وهو الرئ ، وذلك العمل عليه كقوله تعالى : ﴿ تَمَّ بِدَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ ﴾ ^(٤) أي بدالهم البداء . وركان بمعنى غلب وغطى ؛ ورؤى « فهو الرأكس الذي رين على قلبه » .

(١) الفارعة ٧ . (٢) سورة النسا ٨٨ .

(٣) في « كبد » . (٤) سورة يوسف ٣٠ .

قال : وسارت دائرة السوء على رأسه ، من ألتماظ القرآن العزيز ، قال الله تعالى :
(عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ)^(١) والدوائر : الدُّوَل .

قال :

• وإنَّ على الباغي تنورُ الدوائر •

والدائرة أيضا : المخرقة ، يقال : على مَنْ الدائرةُ منها ، والدوائر أَيْضاً الدَّوَامِي .



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد و اطلاع رسانی

(٥٩)

الأفضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان :

أَنَا بَعْدُ ، فَإِنْ أَوَّالِي إِذَا اخْتَلَفَ عَوَاءُ مَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْمَدْلِ ، فَلْيَكُنْ
أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْخَوَرِ عَوْضٌ مِنَ الْمَدْلِ ، فَلَا جُنْبُ
مَا نُنْكِرُ أَمْنَالَهُ ، وَابْتَدِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رَاحِبًا تَوَّابَهُ ، وَمُنْخَوَفًا
عِقَابَهُ .

وَأَهْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَقَةٍ لَمْ يَفْرُجْ سَاحِلُهَا فِيهَا فَطُ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَقَةً
عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْفِتَانَةِ ، وَإِنَّهُ لَنْ يُلْقِيَكَ مِنَ الْحَقِّ شَيْءًا أَبَدًا ، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ
حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَالْإِحْسَابُ عَلَى الرِّجْمَةِ بِجَهْدِكَ ، فَبَلِّغْ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ
أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَبْعِلُ بِكَ ! والسلام .

الشرح :

[الأسود بن قطبة]

لم أذهب إلى الآن على سبب الأسود بن قطبة ، وقرأت في كثير من النسخ أنه حرق
من بني الحارث بن كعب ، ولم أتحقق ذلك ، والذي يغلب على ظني أنه الأسود بن زيد
ابن قطبة بن غنم الأنصاري من بني عتبة بن عدي . ذكره أبو عمر بن عبد البر في
كتاب " الاستيعاب " ، وقال : إن موسى بن عتبة عنه فبين شهيد بذكره (١) .

(١) الاستيعاب ١ : ٩٠ (طبعة نفيسة مصر) .

قوله عليه السلام : « إذا اختلف هَوَى الوالى منته كثرنا من الحق » قولٌ سيِّئٌ ،
لأنه متى لم يكن الحصان عند الوالى سواءً فى الحقِّ حارٌّ وظلٌّ .

ثم قال له : فإنه ليس فى الجوز عوضٌ من المدلِّ ؛ وهذا أيضا حقٌّ ، وفى المدلِّ كلُّ
العوض من الخور .

ثم أمره باجتناب ما ينكر مثله من غيره ، وقد تقدم نحو هذا .

وقوله : « إلا كانت فرغته » كلمةٌ فصحةٌ ، وهى المرة الواحدة من الفراغ ،
وقد روى عن النبىِّ صلى الله عليه وآله : « إن الله يُغْنِى الصَّحِيحَ الْفَارِغَ لا فى شغلٍ
الدنيا ولا فى شغلٍ الآخرة » ، ومرادُ أمير المؤمنين عليه السلام هاهنا الفراغُ من عمل
الآخرة خاصة .



قوله : « فإن الذى يصل إليك من ذلك أفضل من الذى يصل بك » ، معناه : فإن
الذى يصل إليك من نواب الاحسان على الرعية ، وحط نفسك من مطالبهم والخياف
عليهم ، أفضل من الذى يصل بك من حراسة دِمَائِهِمْ^(١) وأعراضهم وأموالهم ؛
ولا شبهة فى ذلك ، لأن إحدى النفعين دائمة ، والأخرى منقطعة ، والتعقُّبُ الدائمُ أفضلُ
من المنقطع .

(٦٠)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين بطأ عملهم الحياوش^(١) :

مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَلَى أَيْمِرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَبِشُ مِنْ جُبَاةِ الْخُرَاجِ
وَعُمَالِ الْبِلَادِ :

أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي فَدَّ سَيَرْتُ جُودًا هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْسَيْتُهُمْ
بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَدَى ، وَصَرَفِ الشَّدَى ، وَأَنَا أُرِي الْوَسْكَ
وَالْإِلَى دِمْنَكُمْ مِنْ مَعْرِةِ الْحَقِيقِ ، إِلَّا مِنْ حَوْكَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ مَعَهَا مَذَهَبًا
إِلَى شَيْعَةٍ^(٢) ، مَسْكَاةً أَمِنْ نَاقِلٍ مِنْهُمْ طَلَمًا عَنْ طَلِيمِهِمْ ، وَكُمُوا أَبْدَى سُقْمَانِكُمْ
عَنْ مُصَادَرَتِهِمْ ، وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَنْجَبُوا مِنْهُمْ ، وَأَنَا بَيْنَ أَطْهَرِ الْجَبِشِ ،
فَارْقُمُوا إِلَى مَقَالِيسِكُمْ ، وَمَا عَرَاكُمْ رِمًا بَقِيَتْكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا يُطْبِقُونَ دَفْعَهُ
إِلَّا بِاللَّهِ^(٣) وَبِى ، أَعْبَرُهُ تَعْمُودُ اللَّهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشرح :

رُوي « عن مُسَادَرَتِهِمْ » بالراء المشددة . وجُبَاةُ الْخُرَاجِ : الَّذِينَ يَجْمَعُونَهُ ، حَيْثُ لَاءُ
فِي الْخَوْضِ ، أَيْ جَمْعُهُ . وَالشَّدَى : الضَرْبُ وَالشَّرُّ ، تَقُولُ : لَقَدْ أَشْدَيْتُ وَأَذَيْتُ . وَإِلَى دِمْنَكُمْ ،
أَيْ إِلَى الْبُهْودِ وَالنَّسَارَى الَّذِينَ يَنْسَكُونَ^(٤) ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ آذَى ذِمَّتِي فَكُلَّمَا^(٥) آذَانِي » ،

(١) د « عملهم الحياوش » . (٢) محطوطه الصحيح : « إلا إلى شيعة » .

(٣) د « يدين الله » . (٤) د « يجمعكم » .

(٥) د « يفتد » .

وقال : إنما بذلوا الجزية لئكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا ، وبسعى هؤلاء ذمة ، أى أهل ذمة ، يحدف المضاف ، والعرة : الضرة ، قال : الجبن ممنوع من أذى من يمر به من السلعين وأهل الذمة إلا من سد جوعه الصطر منهم خاصة ، لأن الصطر تباح له البيعة فصلا عن غيرها .

ثم قال : فسكّوا من ناول ، ورؤى « بن ناول » بالباء ، أى عابوه . و « عن » فى قوله : « عن ظلمهم » ، يتلن بسكّوا ، لأنها فى معنى « اردعوا » : لأن السكال يُورحب الردع .

ثم أمرهم أن يكتفوا أبدى أحدا منهم وسهائهم عن منازعة الجبن ومصادمته ، والتمرض لئلا عما استثناء ، وهو سد الجوعه عند الاضطرار ، فإن ذلك لا يجوز فى الشرع ، وأبضا فإنه يفضى إلى فتنه وهرج .

ثم قال : « وأنا بين أظهر الخبيث » ، أى أنا قريب منكم ، وسائر على إثر الجبن ، فادفعوا إلى مطالبكم وما عراكم منهم على وجه العلبة والقهر ، فإن منبر ذلك ومتصيف لكم منهم .

(٦١)

الأضل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على هيت
ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ نَفْسِيَعِ الْمَرَدِّ مَا وَلَّى ، وَنَكَلْتُهُ مَا كُنِيَ ، لَعَجْرُ حَاضِرٍ ،
وَرَأَى مُجْبَرٌ . وَإِنْ تَمَاطَيْكَ الْغَارَةُ عَلَى أَهْلِ قَرْيَسِيَا ، وَتَمَاطَيْكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَيْتَكَ
لَمْ تَبْسَ لَهَا مِنْ بَيْنَمَا ، وَلَا يَرُدُّ الْجَبَشَ عَنْهَا أَيْ شَعَالٌ ، فَدَّ صِرَتْ جِسْرًا لِمَنْ
أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أُولَئِكَ ، ^{فِي قَرْيَسِيَا} غَيْرَ شَدِيدِ الْمَسْكِبِ ، وَلَا مَهْمٍ الْجَانِبِ ،
وَلَا سَادَ ثَمَرَةٍ ، وَلَا كَاسِرٍ لِدَوْرِ شَوْكَةٍ ، وَلَا مُمْسِكٍ ^{مِنْ أَهْلِ مَمْنَرَةٍ} مَمْنَرَةٍ ^{مِنْ أَهْلِ مَمْنَرَةٍ} ، وَلَا يُجْزِرُ
عَنْ أَمِيرٍ .

الفتح :

[كميل بن زياد ونسبه]

هو كميل بن زياد بن مهمل بن هبم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان
ابن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد . كان من أصحاب
علي عليه السلام وشيعته وحاسنه ، وقتله الحجاج على الذّهب فيمن قتل من الشيعة .
وكان كميل بن زياد عامل علي عليه السلام على هيت ، وكان ضعيفا يمر عليه سرايا معاوية
تنهب أطراف العراق ولا يردّها ، ويحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يُغير

على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا وما يحرق بحرأها من القرى التي على العرات ،
فأنكر عليه السلام ذلك من فعله ، وقال : إن من المعز الحاضر أن يهيل الوالي ما ورثه ،
وبنكأ ما ليس من نكأيه .

والتبر : الهالك ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ ﴾ ^(١) .
والساح : جمع مسلحة ، وهي النواضع التي بنام فيها عاتقة من الحشد لحمايتها .
ورأى سماع ، بالفتح ، أى متفرق .
ثم قال له : « قد صرت حراً » أى تبرر عليك العدو كما تبرر الناس على الجسور ،
وكأن الجسر لا يجمع من تبرر به ويمر عليه فبذلك أنت .
والثفرة : الثامنة . وعمر : كائن ومعنى الأصل « بجزى » بالهمزة ، وب .

مركز توثيق نسخ و تصحيح النصوص

(٦٢)

الإملا :

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشر رحمة الله
تأولاه إمارتها :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَيَّنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفَرًا لِمَا لَيْسَ ،
وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُؤْمِلِينَ ؛ فَلَمَّا مَضَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنَازَعَ الْمُؤْمِلُونَ الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يَنْفَى وَرُوحِي ؛ وَلَا يَحْطُرُ بِبَالٍ أَنَّ الْعَرَبَ فُزِجُ هَذَا
الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ** ، وَلَا أَهْمُ مُنَحَوُّ عَنِّي مِنْ
تَعْدِي ، مَا رَأَيْتُ إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُسَامُونَهُ ، فَلَمَسْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ
رَاحِمَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْوِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعْلَهُ أَنْ أَرَى فِعْلَهُ ثَلَمًا أَوْ هَدَمًا ، نَسْكُونُ
الْمُصِيبَةَ بِهِ عَلَى أَغْلَامٍ مِنْ قَوْمٍ وَلَا يَتَّقُونَ ، أَنِّي إِعَا هِيَ مَنَاعُ أَبَائِهِمْ فَلَا تَلْ ،
يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، وَكَمَا يَنْفَتِحُ السَّحَابُ ، فَهَمَّتُ فِي ذَلِكَ
الْأَحْدَاثِ حَتَّى ذَاغَ الْبَاطِلُ وَزَعَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَنَهَتَهُ .

الْبَسْجُ :

المهيمين : الشاهد ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُنْشِرًا ﴾ ، أى
تشهد بإيمان مَنْ آمَنَ وكُفْر مَنْ كَفَرَ . وفصل : تشهد بصحة نبوة الأنبياء قبلك .

وقوله : « على المرسلين » ، يؤكد صحة هذا التفسير الثاني ، وأصل المظلة من « آمن غيره من الطوف » ، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، ثم نصرّفوا فيها فأبدلوا إحدى هزئي « مؤامن » بـ « فصار » مؤامين » ، ثم قدّوا الهَمْزة هاء كاذبة وحرّفت فصار « مُهَيَّين » .

والرّوع : انخلد ؛ وفي الحديث : « إن رُوح القدس نمت رُوسى » ، قال : ما يختار لي ببال أن الرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله عن بنى هاشم ، ثم من بنى هاشم عسى ؟ لأنه كل النوفين يحكم الحال الحاضرة . وهذا الكلام يدل على إطفان دعوى الإمامية المصنّ وخصوصا الخليّ .

قال : « فإراعى إلا انبئال الناس » ، نقول للنسب بمجئوك فننته : ما راعى إلا كذا ، والرّوع بالفتح : الفرع ، كأنه يقول : ما فرعى شئ بعد ذلك السكون الذي كان عدى ، وذلك الثمة التي اطمانت إليها إلا وفروعها وقع من انبئال الناس - أى انصباهم من كل وجه كما يثاب التراب - على أبي بكر ، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر ، وإنما الناس يكتبونه الآن « إلى فلان » ثمّما من ذكر الاسم كما يكتبون في أوّل الشّرفيّة : « أما والله لقد نفعها فلان » ، واللفظ « أما والله لقد نفعها ابن أبي فحافة » .

قوله : « فأسكتُ بدي » ، أى امتنعتُ عن بيعته ، حتى رأيت راجعة الناس ، بمعنى أهل الردّة كسبله ، وسحاح وطليحة بن خويلد وماضى الزكاة ؛ وإلى كل ما معو الزكاة قد اختلف في أهمهم أهل ردّة أم لا .
وعنّ الدين : إبطاله .

وزَهْن : خَرَجَ وزال . نهته : سكن ، وأصله السكّ ، نقول : نهيت السَّعَ فَنَهْنَه ،

أَيَّ كَفٍّ عَنْ حَرَكَتِهِ وَإِقْدَامِهِ ، فَكَانَ الَّذِينَ كَانُوا مُنْجَرَّكَامًا مَطْطَرًا فَسَكَنُوا وَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ
الاضْطِرَابَ .

رَوَى أَبُو حَمَلٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ لَمَّا مَاتَ اجْتَمَعَ أَهْلُ مَدِينَةِ مَكَّةَ وَعُظَمَاءُهَا وَعُظَمَاءُ بَنِي كِنَانَةَ عَلَى طَلْحَةَ بْنِ خُوَيْلِدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَوَاصِّ
أَقْوَامٍ فِي الطَّوَائِفِ الثَّلَاثِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ مَدِينَةِ مَكَّةَ ، وَعُظَمَاءُهَا وَمَنْ يَجْتَنِبُ طَلْحَةَ ^(١) وَعُظَمَاءُهَا
حُدُودَ أَرْضِهِمْ ، وَاجْتَمَعَ ثَلَاثَةُ بَنِي أَسَدٍ وَمَنْ يَلْبِهِمْ مِنْ فَيْسٍ بِالْأَبْرِ ^(٢) مِنَ الرَّبْعَةِ ،
وَنَاشَبَ ^(٣) إِلَيْهِمْ مَاسٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، وَلَمْ يَحْمِلْهُمْ الْبِلَادُ ، فَاتَّفَقُوا فَرَمَتَيْنِ : أَقَامَتِ إِحْدَاهُمَا
بِالْأَبْرِ ، وَسَارَتِ الْآخَرَى إِلَى ذِي الْقَعْدَةِ ، وَبَنُوا وَفُودًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأُتُونَهُ أَنْ يَتَرَكُوا
عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَمَعَ الزَّكَاةِ ، فَنَزِمَ اللَّهُ ^(٤) لِأَبِي بَكْرٍ عَلَى الْحَقِّ ، فَقَالَ : لَوْ مَسَّوْنِي عِيَالًا ^(٥)
لَخَافْتُهُمْ عَلَيْهِ . وَرَجَعَ الْفُودُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَخْبَرُوهُمْ بِفَلَّةٍ مِنْ أَهْلِ الدَّنَةِ ، فَأَطْعَمُوهُمْ فِيهَا
وَعَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ : أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ
وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْكُمْ فِلَّةً ، وَإِنْكُمْ لَا تَدْرُونَ أَلَيْلًا تَوُتُونَهَا أَمْ نَهَارًا ، وَأَدَانَاهُمْ مِنْكُمْ عَلَى
بَرٍّ ، وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ بِأَمَلٍ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ وَوَادِقَهُمْ ، وَقَدْ أَبْغَضَ عَلَيْهِمْ ، وَتَبَذَّنَا
إِلَيْهِمْ ، فَأَعِيدُوا وَاسْتَعِيدُوا . وَخَرَجَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَفْسِهِ ، وَكَانَ عَلَى تَقْيِيرٍ مِنْ أَسْنَابِ
الدَّنَةِ ، وَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعَبْرُهُمْ فَكَانُوا عَلَى الْأَتْنَابِ الثَّلَاثَةِ ،
فَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا غَلِيلاً حَتَّى طَرَفَ الْقَوْمُ الْمَدِينَةَ عَرَّةً مَعَ الْقَيْسِلِ ، وَحَلَقُوا بِعَصَمِهِمْ بَنَى حَتَّى

(١) فِي الْأَصُولِ : « طَلْحَةُ » وَالصَّوَابُ مَا أَبْنَتْهُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « الْأَبْرِ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَبْنَتْهُ مِنْ الطَّبْرِيِّ .

(٣) نَاشَبُوا إِلَيْهِمْ : انصَبُوا .

(٤) أَرَادَ مَا عَالَ الْخَيْلَ إِلَى يَتَلَّ بِهَ النَّحْرَ إِلَى كَأَن يُوْخَذُ فِي لَيْلِ الصَّدَفَةِ . وَالطَّرْهُاءُ ابْنُ الْأَنْبَرِ .

ليكونوا ردة^(١) لهم ، فوافوا الأتخاب وعلبها السلون ، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ، ففعلوا ، وخرج أبو بكر في جمع من أهل المدينة على النواضح ، فانتشر الصدوق بين أيديهم ، واتبعهم السلون على النواضح حتى بلغوا ذا حصى ، فخرج عليهم السكينة بأنحاء^(٢) فدفعوها ، وجعلوا فيها الجبال ، ثم دهموها بأرجلهم ووجوه الإبل ، فتدغده^(٣) كل نخي منها في طير^(٤) ففرت إبل المسلمين ، وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء نازها من الأنحاء - فاحت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرح منهم أحد ولم يصب ، فبات السلون تلك الليلة يهتفون ، ثم خرجوا على نعيبة ، فسا طلع العجر^(٥) إلّا وهم والنوم على صبيد واحد ، فلم يسموا المسلمين حيا ولا تمنا حتى وصوا بهم السب ، فاقطنوا أعجاز ليثهم ، فما ذر قرن الشمس إلا وفد وكروا الأخبار وغلبهم على عامة طهرهم ، ورجعوا إلى المدينة ظاهرين^(٦)

قلت : هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهى فيه أبا بكر . وكأنه جواب عن قول قائل : إنه عمل لأبي بكر^(٧) . وهذا^(٨) بين يحيى أبي بكر ، فبين عليه السلام عدوه في ذلك ، وقال : إنه لم يسكن كما ملته الفاتل ، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين ، فإنه واجب سواء كان للناس إعلم أو لم يكن .

[ذكر ما طعن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها]

وبعني حيث حرى ذكر أبي بكر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن نذكر ما أورده فاضل القضاء في «النقطة» ، من الطاعن التي طعن بها فيه وجواب فاضل القضاء

(١) الأنحاء : جمع نخي ، وهو الزن . (٢) دهموها : دهموها .

(٣) الطول : الخيل بقده . (٤) تاروخ العاري ٣ : ٢٤٤ (طبعة المعارف) مع تصرف واختصار .

عنها ، وانعراضُ الرنضي في " الشاق " على قاضي النعاض ، ونذكر ما عسدا في ذلك ،
ثم نذكر مطلاعن أخرى لم يدكرها قاضي النعاض .

[الطعن الأول]

قال قاضي النعاض بعد أن ذكر ما ملن به فيه في أمر فذكر ، وقد سبق القول فيه .
ومما ملن به عليه قولهم : كيف يصلح للإمامة من يُخرج عن نفسه أن له شيطاناً يمتد به
ومن يحدّ الناس عنه ، ومن يقول : « أفيلوني » بعد دخوله في الإمامة ، مع أنه لا يحلّ
للإمام أن يقول : أفيلوني النيمة !

أحب قاضي النعاض فقال : إن شيطاناً يمتد به على قال : لو كان ذلك نعاضاً فيه لكان قولُ
الله في آدم وحواء : ﴿ فَوَسَّوْا لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾^(١) ، وقوله : ﴿ فَأَرْكَبُهَا الشَّيْطَانُ ﴾^(٢) ،
وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا إِذَا خَمِيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي
أُمِّيَّتِهِ ﴾^(٣) ، بوجوب التقص في الأعياء ، وإذا لم يحج ذلك ، فكذلك ما وصف به أبو بكر
نفسه ، وإنما أراد أنه عند انصب بيشين من المصيبة ويحدّ منها ، ويحاف أن يكون
الشيطان يمد به في تلك الحال فهو وسوس إليه ، وذلك منه على طريق الزجر لنفسه عن
العاصي ، وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ترك محاسنة الناس في حقوقه إنشافاً
من المصيبة ، وكان يولّي ذلك عقيباً ، فلما أُنس عقيل كان يولّيها عبد الله بن حمير . فأما
ما روي في إقالة البينة فهو خبر ضعيف ، وإن صحّ فالراد به التنبيه على أنه لا يبالى لأمر
يرجع إليه أن يُقبله الناس البينة ، وإنما يقرّون بذلك أنفسهم ؛ وكأنه نبه بذلك

(١) سورة الأعراف ٢٠ . (٢) سورة الفرقة ٣٦ .

(٣) سورة الحج ٥٢ .

على أنه غير مكره لهم ، وأنه قد خلاص وما يريدون إلا أن يتراض ما يوجب خلافه . وفقدروا
أن أمير المؤمنين عليه السلام أقالَ عبد الله بن عمر البية حين استقاله ، والمراد بذلك أنه
تركه وما يختار .

اعرض الرضى رضى الله عنه فقال : أما قول أبي بكر : « وَلَيْسَ بِكُمْ وَلَسْتُ بِمُخْبِرِكُمْ » ،
فإن استمنعت فاستمعنى ، وإن أعوججت فتوهموا ، فإن لي شيطاناً يتربص عند غضبي ،
فإذا رأيتهم منغصباً فاجتنبوني لا تؤثروا وأشاركم وأبشاركم » ، فإنه يدل على أنه لا يسأل
للإمامة من وجهين : أحدهما أن هذا صفة من ليس بمعصوم ، ولا بأمن النطق على نفسه
من يحتاج إلى تنويم رعيته له إذا وضع في المعصية ، وقد بينا أن الإمام لا بد أن يكون
معصوما موقفاً مسدداً ، والوجه الآخر أن هذه صفة من لا يملك نفسه ، ولا يسيطر غضبه ،
ومن هو في نهاية العلبس والخذلة والخرق والفحولة . ولا خلاف أن الإمام يجب أن
يكون معزها عن هذه الأوصاف ، غير حاصل عليها وليس بشيء قول أبي بكر ما تلاه من
الآيات كلها . لأن أبا بكر خبر عن صفة بطاعة الشيطان عند النصب ، وأن عادته بذلك
حاربة ، وليس هذا بمنزلة من يؤسوس إليه الشيطان ولا بطيئته ، وحين له التبيح فلا
بأنبه ، وليس وسوسة الشيطان يعيب على المؤسوس له إذا لم يسرفه ذلك عن العوالب ، بل
هو زيادة في التكليف ، ووجه بشضاعف منه الثواب ؛ وقوله تعالى : ﴿ أَتَقَى الشَّيْطَانَ فِي
أُخْرَى ﴾ قيل : معناه في تلاوته ؛ وقيل : في فكرته ، على سبيل الخاطر ، وأما الأمرين
كلن ، فلا عار في ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ولا منعه ، وإنما العار والنقص على من
يطيع الشيطان ويتبع ما يدعو إليه . وليس لأحد أن يقول : هذا إن سلم لكم في جميع
الآيات لم يسلم في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ؛ لأنه قد جبر عن تأثير غوايته وسوسته
بما كلن منهما من الفعل . وذلك أن المعنى الصحيح في هذه الآية أن آدم وحواء
كانا مندوبين إلى اجتناب الشجرة وترك تناول منها ، ولم يكن ذلك عليهما واجباً لازماً ،

لأنَّ الأنبياء لا يُخَيَّلُونَ بالواجب ، فوسوس لها الشيطان حتى تناوَلَا من الشجرة ، فتركا مندوبا إليه ، وحرَّما بذلك أغسهما النَّوَاب ، وسماه إرلا لا ، لأنه حطَّ لهما عن درجة الثواب وفعل الأفضل ؛ وفوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(١) لا يثنى هذا المعنى ، لأنَّ للمصيبة قد يُستقى بها من أخذ بالواجب والندب ما . فوله : « فَغَوَى » أى غلب من حيث لم يستحق الثواب على ما تُدب إليه . على أنَّ صاحب الكتاب يقول : إنَّ هذه المصيبة من آدم كانت صعبة لا يستحق بها عذاباً ولا ذمّاً ، فعل مذهبه أبصا نكول المارغة بينه وبين أبى بكر ظاهرة ، لأنَّ أبى بكر خبر عن منه أنَّ الشيطان يمزجه حتى يؤثِّر في الأشعار والأخبار ، ويأثي ما يستحق به النجوم ، فابن هذا من ذنب صغير لا دم ولا عذاب عليه ، وهو بحري من وجه من الوحوه تحرى الباسح ، لأنه لا يؤثِّر في أحوال قاعله ^(٢) وحطَّ دنته ؛ وليس يجوز أن يكون ذلك على سبيل المشية والإنسان على ما نلن ، لأنَّ مفهوم خطابه يُتَمَتَّى خَلْقِي فَكُلْ ، ألا ترى أنه قال : « إِنَّ لِي شَيْطَانًا يَمْرِئِي » وهذا قول من قد عرَّف عادته ، ولو كان على سبيل الإنفاق والخوف لخرج عن هذا المخرج ، ولكان يقول : فإني لا آمن من كذا وإني لشئ منهُ . فأمَّا ترك أمبر المؤمنين عليه السلام عاصمة الناس في خوفه فكأنَّه إنما كان نثرها ونكرها ؛ وأى نسبة بين ذلك وبين من صرَّح وتهد على عسه بما لا يلبق بالآئمة ؛ وأما خبر استقالة البهمة وتضيف صاحب الكتاب له فهو أبدا بضغف ما لا يوافقه من غير حجة بعينها في تضعيفه . وفوله : إنَّه ما استقال على التحنن ، وإنما ذبه على أنَّه لا يزال بخروج الأمر عنه ، وأنَّه غير مُكرَّم عليه ؛ فبعد من المواب ؛ لأنَّ ظاهر قوله « أفيلوني » أمرٌ بالإفالة ، وأقلُّ أحواله أن يكون عرَّضا لها وبذلا ، وكلا الأمرين فيج . ولو أراد ما عثه لكان له

في غير هذا القول مندوحة ، ولكان يقول : إني ما أكرمكم ولا تحلتكم على مبايعتي ، وما كنت أبالي ألا يكون هذا الأمر في ولا إلي ، وإن مفارقتي لفرقتي لولا ما ألزمني السخول فيه من التمسك به ، ومتى عدلتنا عن طواجر الكلام بلا دليل ، جرت ذلك علينا ما لا يقبل لنا به . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يقل أن عمر البينة بعد دخولها فيها وإنما استعماه من أن يلزمه البينة ابتداء فاعماه فلهذا فكر فيه ، وعلما بأن إمامته لا تثبت بمبايعة من يبايعه عليها ، فأين هذا من استئالة بيعة قد تقدمت وأسفرت ^(١) !

قلت : أما قول أبي بكر : « ولبيسكم ولست بحجركم » فمددني عند كثير من أصحابنا ؛ لأن خيرهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومن لا يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصري : والله إنه ليعلم أنه حبرم ، ولكن للؤمنين بهم فيه . ولم يطمئن للرخصي فيه هذه الملاحظة لتطيل القول فيها . وأما قول الرخصي عنه إنه قال : « فإن لي شيطانا يعزبي عند عصب » ، فالشهور في الرواية : « فإن لي شيطانا يعزبي » ^(٢) ، قال القسرون : أراد بالشيطان الغضب ومنه شيطان على طريق الاستعارة ، وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين في « التمر » . قال معاوية لإسحاق عصب في حضرته فحككم بما لا يحسبكم بثله في حضرة الخلفاء : أوبع على ظلمك ^(٣) أيها الإنسان ، فإنما الغضب شيطان ، وإنما لم يقل إلا خيرا .

وفد ذكر أبو حمزة محمد بن جرير الطبري في « كتاب التاريخ الكبير » خطبتي أبي بكر عقيب بيعة بالسفينة ، ونحن نذكرها نقلًا من كتابه ، أما الخطبة الأولى فهي :

(١) الطائ ٤١٥ ، ٤١٦ . (٢) أي من غير ذكر لعل « عند عصب » .

(٣) أوبع على ظلمك أي توب .

أما بعد أيها الناس ، فإني وليكم ولست بغيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، لأن الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف منكم قوياً عندي حتى أرفع عليه حقه ، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشفع الماحضة في قوم إلا مهمهم الله بالبلاء . أطيعوا ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم : قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله .

وأما الخطبة الثانية فهي : أيها الناس إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدرى لعلكم تستكفونني ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطبئه (١) . إن الله أسلمني محمدًا صلى الله عليه وآله على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمتبوع ، فإن استعمت فأنتم مؤمنون ، وإن زُغت فمؤموني ، وإني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس أحد من هذه الأمة بطلبه بطلقة خربة سوط فلا يوصل إلا وإن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا عصمت فأجتنبوني لا أوتر في أشعاركم وأبشاركم . ألا وإسكم تغدؤون ونزوحون في أجل من غيب عنكم علمه ، فإن استعظمت ألا يتغيى هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ، وإن نستطيعوا ذلك إلا بالله . فما بنوا في مهل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن فوما نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لعبهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم . الحمد الجدة ! الوحا الوحا ! فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، أجل (٢) مره سريع . احذروا الموت ، واعتصموا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تقبلوا الأحياء إلا بما يُقبض به الأموات (٣) .

إن الله لا يبدل من الأعمال إلا ما يُراد به وحته ، فأريدوا وجه الله بأعمالكم ، واعلموا

(١) الطبري : « يطعن » .

(٢) الطبري : « أجل » . (٣) إلى هنا في النص نهاية الحجة ؛ وما بعدها من خطبة أخرى .

أَنْ مَا أَخْلَصْنَاهُ اللَّهُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَلَطَاعِيهِ أَنْبَتُوهَا ، وَحَظَّ ظَفَرُكُمْ بِهِ ، وَضَرَابٌ أَذْهَبُوهَا ،
 وَسَلَفٌ فَدَمَتُوهُ مِنْ آثَامِهِ ثَانِيَةً لِأُخْرَى بِأَفْهٍ ، لِحَبْنِ فَرْكِهِ وَحَاجَتِكُمْ ؛ فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ بِعَيْنِ
 مَاتَ مِنْكُمْ ، وَتَسْكُرُوا فِيمَنْ كُنْ فَرْكُكُمْ ؛ إِنْ كَانُوا أَمْسَ وَأَيْنَ هُمْ الْيَوْمَ ! إِنْ الْجَبَّارُونَ ؟
 إِنْ الَّذِينَ كُنْ لَمْ ذَكَرَ الْغَنَالَ وَالْعَلْبَةَ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ ! قَدْ نَصَمَعُ بِهِمُ اللَّهُمَّ ، وَصَارُوا
 رَمْبًا ، قَدْ نَزَكَتْ عَلَيْهِمُ الْغَالَاتُ الْغَلْبِيَّاتُ ، وَإِنَّمَا الْجَبِينَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْجَبِينُونَ لِلْخَبِيثَاتِ .
 وَإِنْ السُّلُوكُ الَّذِينَ أَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا ! قَدْ بَمَدُّوا بِسِيٍّ ذَكَرْهُمْ ، وَبَقِيَ ذَكَرْهُمْ
 وَصَارُوا كَلَامِي . أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَنْفَى عَنْهُمْ التَّيَمَّاتُ ، وَقَطَّعَ عَنْهُمْ السَّمَوَاتِ وَمَعْدَا
 وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ ، وَالْأَنْبِيَاءُ دُنَا عِبْرِهِمْ ، وَبَقِينَا خَلْقًا مِنْ تَعْدِيمِهِمْ ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ
 نَحْوَنَا ، وَإِنْ انْقَرَضْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ . إِنْ الرِّسَالَةُ (١) الْحُسْنَةُ وَخَوْفُهُمْ ، الْمَجْبُونُونَ بِشَبَابِهِمْ !
 صَارُوا زُرْبًا ، وَصَارُوا مَافَرَطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ (٢) إِنْ الَّذِينَ سَوَّاهُ الدَّائِنُ وَحَسَنُوهَا بِالْخَوَاتِمِ
 وَحَمَلُوا فِيهَا الْعَجَائِزَ ، وَزَكَرُوا لِمَنْ خَلَفَهُمْ ! فَنَلَتْ مَسَاكِنُهُمْ حَاوِيَةً ، وَحَمَلُوا فِي ظُلْمِ
 الْقُبُورِ ، (هَلْ تُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ نَسَمِعُ لَهُمْ رِكْرًا) (٣) . إِنْ مَنْ نَعْرِفُونَ مِنْ
 آبَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ! قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَرَمُوا عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ
 وَلِلْسَّامَةِ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ
 حَبْرًا ، وَلَا يُصَرِّفُ عَنْهُ بِهِ شَرًّا إِلَّا بِإِذْنِهِ وَاتِّبَاعِهِ أَمْرًا ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبَادٌ مُدَبَّرُونَ ،
 وَأَنْ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِتَوَاقُفٍ وَعِبَادَتِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بِمَدَى النَّارِ وَلَا شَرَّ بِشَرِّ
 بِمَدَى الْجَنَّةِ (٤) .

فهذه حُطْبَاتُ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَ السَّيْفَةِ ، وَالْيَوْمَ الَّذِي بَلَغَ ، إِنَّمَا قَالَ : « إِنْ لِي شَيْطَانًا
 يَغْتَرِّبُنِي ، وَأَرَادَ بِالشَّيْطَانِ الْغَضَبَ ، وَلَمْ يُرَدَّ أَنْ لَهُ شَيْطَانًا مِنْ مَرَدَةِ الْجَنِّ يَغْتَرِّبُهُ إِذَا

(١) الرِّسَالَةُ : دَوْرُ الرِّسَالَةِ وَالْحَسَنُ . (٢) سُورَةُ مَرْيَمَ : ٩٨ .

(٣) مُؤَلِّغُ الطَّبَرِيِّ ٣ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

غضب فلزبادة فيها ذكره المرتضى في قوله : « إن لي شيطاناً يمتري بي عند غضبي » ، تحريف لا محالة ، ولو كان له شيطان من الجن مبتادئ وبؤيه لكان في عداد الصرّوعين من المجانين ، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لا من أوليائه ولا من أعدائه ؛ وإنما ذكرنا خطبته على طولها والراد منها كلمة واحدة ؛ لئلا فيها من الفصاحة والوعظة على عادتنا في الاعتناء بإدخال هذا الكتاب ما كان ذاهباً هذا الذهب ، وسالكاً هذا السيل .

فأما قول المرتضى : « فهذه صفة من ليس بمعصوم » ، فالأمر كذلك والمعصية عندنا ليست شرطاً في الإمامة ولولم يدل على عدم اشتراطها ؛ إلا أنه قال على الخبر بمسور الصحابة هذا القول ، وأفتوا على الإمامة - لكون في عدم كون المعصية شرطاً ، لأنه قد حصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك ، إذ لو كان شرطاً لأنكر منكر إسلامه كالأول قال : إني لا أسر عن شرب الخمر وعن الرق ،



فأما قوله : « هذه صفة طائفة لا ينكحهم » ، فلعمرى إن أبى بكر كان حديداً ، وقد ذكره عمر بذلك ، وذكره غيره من الصحابة بالجدّه والسرعة ؛ ولكن لا بحيث أن تبطل به أهليته للإمامة ؛ لأن الذي يبطل الإمامة من ذلك وما يخرج الإنسان عن العقل ، وأما ما هو دون ذلك فلا . ولبس قوله : « ما جنبوني لا أوتر في أشعاركم وإشاركم » محمول على ظاهره ، وإنما أراد به البالغة في وصف القوة المضنية عنده ، وإلا فاصمنا ولا نقل غافل من الشيعة ولا من غير الشيعة أن أبى بكر في ألبم رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في الجاهلية ولا في ألبم خلافة أحده على إسان مقام إليه فصر به بيده ومزق شعره .

فأما ما حكاه القاضي الفاضل عن الشيخ أبي علي من تشبه هذه اللفظة بما ورد في القرآن فهو على تقدير أن يكون أبو بكر عنى الشيطان حذيفة . وما أعرض به المرتضى ثانية عليه غير لازم ، لأن الله تعالى قال : (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) ، ونعقب ذلك بقوله

وسوسته ، وأكلهما من الشجرة ، فكيف يقول المرتضى : ليس قول أبي بكر بمنزلة من
وسَّوسَ له الشيطان فلم يُطِعْهُ ! وكذلك قوله تعالى في قصة موسى لما قَتَلَ الْفِيلِيَّ : ﴿ هَذَا
مِنْ مَحْضِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ، وكذلك قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ ،
وقوله : ﴿ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، وما ذهب إليه المرتضى من التأويلات مدني على مذهبه
في العصمة المكتوبة ، وهو مذهب يحتاج في نصرته إلى تكلف شديد ونسب عظيم في تأويل
الآيات ؛ على أنه إذا سلم أن الشيطان ألقى في تلاوة الرسول صلى الله عليه وآله ما ليس من
القرآن حتى ظنّه السامعون كلاماً من كلام الرسول ، فقد نفى دلالة التسميع المنصبة عمده
في العصمة ، لأنه لا نعبر عنه أبلغ من تمكن الله الشيطان أن يحيط بكلامه بكلامه ،
ورسوله يؤذيه إلى المكلفين حتى يستفد السامعون كأنهم أن الكلامين كلام واحد .

وأما قوله : **إِنَّ آدَمَ كُلَّ مَنْدُوبٍ إِلَى الْأَبْلِ كُلِّ مِنَ الشَّجَرَةِ لَا عَرْمَ عَلَيْهِ أَكْلُهَا** ،
ولفظه « عَصَى » إنما المراد بها **الحال للندوب** ^(١) ، ولفظه « عَوَى » ؛ إنما المراد « حاب »
من حيث لم يستحق الثواب على إعياد ما يديب إليه ؛ فنزل بدفعه ظاهر الآية ، لأن الصفة
صيغة النعى ، وهي قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ والنهى عند المرتضى يقتضى التحريم
لا محالة ، وليس الأمر الذي قد يراد به التدب ، وقد يراد به الوُحُوب .

وأما قول شيخنا أبي علي : **إِنْ كَلَامُ أَبِي بَكْرٍ خَرَجَ مَحْرَجَ الْإِسْثَنَانِ وَالْحَذَرِ مِنَ الْعَصَةِ**
عند الغضب فجيد .

وأعراض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ ذلك عبر لازم ، لأن هذه عادة العرب ،
يَهْرُونَ عن الأمر بما هو منه بسبب وسبيل ، كنولهم : **لَا نَذْنُ مِنَ الْأَسَدِ فَيَا كُفْكُ** ، فليس
أَنَّهُمْ فَعَلُوا عَلَى الْأَكْلِ عِنْدَ الدُّنُو ، وإنما المراد **الْحَذَرُ** والْخَوْفُ والتوقُّع للأكل عند
الدُّنُو .

وأما السلام في قوله : « أخيلوى » ، فلو صح الخبر لم يكن فيه مطمئن عليه ، لأنه إنما أراد في اليوم الثاني احتياطاً حالم في البيعة التي وضعت في اليوم الأول ليعلم ولأنه من عدوه منهم ، وقد روى جميع أصحاب السبآن أمير المؤمنين حطب في اليوم الثاني من بيعة فضالة : أيها الناس ؛ إنكم بايعتموني على السمع والطاعة ، وأنا أعرض اليوم عليكم ما دعوتوني إليه أمس ، فإن أجبتكم قدمت لكم ، وإلا فلا أحد على أحد . وليس بجديد قول الرضى : إنه لو كان يريد العرض والذل لكان قد قال كذا وكذا ، فإن هذه مضايقة منه شديدة للأعلام ، ولو شرعنا في مثل هذا لفسد أكثر ما يسلك به الناس . على أن لو سلمنا أنه استنالم البيعة حقيقة ، فلم قال الرضى : إن ذلك لا يجوز ؟ أليس يجوز للناس أن يستقبل من النساء بعد توليته^(١) إياه ، ودحوه فيه ! فكذلك يجوز للإمام أن يستقبل من الإمامة إذا أس من نفسه شيئاً ، أو أس من وعيته نبوة عنه ، أو أحسن بساد بمن في الأرض من جهة ولا ينع على الناس . ومن يذهب إلى أن الإمامة تكون بالاحتيار كيف يمنع من جواز استقالة الإمام وطلبه إلى الأمة أن يختاروا غيره لمؤثر بعله من حال نفسه ! وإنما يمنع من ذلك الرضى وأصحابه القائلون بأن الإمامة بالنص ، وإن الإمام عزم عليه ألا يقوم بالإمامة ، لأنه مأمور بالقيام بها لتعنه خاصة دون كل أحد من المكلفين . وأصحاب الاحتيار يقولون : إذا لم يكن زيد إماماً كان عمرو إماماً عوضه ، لأنهم لا يعتبرون الشروط التي يعتبرها الإمامية من العصمة ، وأنه أفضل أهل عصره وأكثرهم ثواباً وأعلمهم وأشجعهم ، وغير ذلك من الشروط التي تقتضي نفيه ونوحده بالأمر ، على أنه إذا جاز عدم أن يترك الإمام الإمامة في الظاهر كما فعله الحسن ، وكما فعله غيره من الأئمة بعد الحسين عليه السلام للتخفيف ، جاز للإمام

على مذهب أصحاب الاختيار أن يترك الإمامة ظاهراً وباطناً لئلا يُلْغى من حال نفسه أو حال رعيته .

الطعن الثاني

قال قاضي القضاة بعد أن ذكر قول عمر : « كانت بيعة أبي بكر فلتته » - وقد تقدم منا القول في ذلك في أول هذا الكتاب : ومما طعنوا به على ^(١) أبي بكر أنه قال عدم مونه : ليني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاثة ، فدكر في أحدها : ليني كنت سألته : هل للأئمة في هذا الأمر حق ؟ قالوا : وذلك يدل على تسكته في صحته بيمينه ، وربما قالوا : قد روي أنه قال في مرقته : ليني كنت زكيت فاطمة لم أكن شيعه ، وليني في طلعة بني ساعدة كنت زكيت علي ^(٢) [بدي] أحد الرجلين ، فكان هو الأمير ، وكنت الوزير . قالوا : وذلك يدل على ما روي من إقدامه على بيت فاطمة عليها السلام عند اجتماع علي عليه السلام والزبير وعبرهما فيه ، وبذلك على أنه كل يرى الفضل نصيره لا نفسه .

قال قاضي القضاة : والجواب أن قوله : « ليني » لا يدل على الشك فيها غناء ، بقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى قَالِ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالِ تَعْلَى وَلَكِنْ رَيْبُكُمْ مِنْ قَوْلِي ﴾ ^(٣) أقوى من ذلك في التهمة . ثم حمل تخمينه على أنه أراد مسمع شيء مفصل ، أو أراد : ليني سألته عند الموت ، لقرب المهد ، لأن ما قرب عهداً لا يفسى ويكون أرفع للأئمة على ما حاولوه . ثم قال : على أنه ليس في ظاهره أنه تمسك أن

(١) ب : ن د ه . (٢) بكلمة من كتاب الثاني .

(٣) سورة البقرة ١٠٢ .

يسأل : هل لم حق في الإمامة أم لا ؟ لأن الإمامة قد يعلن بها حقوق سواها . ثم دفع الرواية المتعلّفة بيت فاطمة عليها السلام ، وقال : فأما نعتي أن يابغ غيري ؟ فلو كنت لم يكن ذلك لأن من اشتد التكليم عليه فهو بمنى جلالة ^(١) .

اعترض المرتضى رحمه الله هذا الكلام فقال : ليس يجوز أن يقول أبو بكر : « لينى كنت سألت عن كذا » . إلا مع الشك والنسبة ، لأن مع العلم واليقين ^(٢) لا يجوز مثل هذا القول ، هكذا يقتضى الظاهر ، فأما قول إبراهيم عليه السلام ، فإنما سأغ أن يمدك عن طاهره لأن الشك لا يجوز على الأُمّية ، ويعود على غيرهم ؛ على أنه عليه السلام قد سعى عن نفسه الشك بقوله : « تلى ولكن ليطمئن قلبي » ، وقد قيل : إن مُزَوِّد قال له : إذا كنت ترغم أن لك رباً يُحبي الولى فاسأله أن يُحبي لنا ميمنا إن كان على ذلك فإدراً ، فإن لم نعمل ذلك قتلناك ، فأراد بقوله ^(٣) « وليكن ليطمئن قلبي » ، أى لآمنَ توعدَ عدوك لي بالقتل . وقد يجوز أن يكون ^(٤) ذلك هو قوله وكذا سألوه أن يرعب إلى الله تعالى فيه فقال : ليطمئن قلبي إلى إجابتي لي ، وإلى إزاحة علة قوى ، ولم يرد : ليطمئن قلبي إلى أنك تقدر على أن تُحبيّ الولى ؛ لأن شبهه قد كان بذلك معلوماً ؛ وأى شيء يرد أبو بكر من التصيل أكثر من قوله : « إن هذا الأمر لا يصلح إلا لهذا الخي من قريش ! » وأى فرق بين ما يقال عند الموت وبين ما يقال قبله إذا كان محفوظاً معلوماً ، لم يُرفع كلمة ولم تُنسخ !

وبعد ، فظاهر الكلام لا يقتضى ^(٥) هذا التخصيص ، ونحن مع الإطلاق والظاهر . وأى حق يجوز أن يكون للأتصار في الإمامة عبر أن يقولوا هارجل منهم حتى يجوز أن يكون الحق الذي تمحى أن يسأل عنه غير الإمامة ! وهل هذا إلا تمسك ونكث !

(١) نقله المرتضى في الشارح ١٩٩ . (٢) الثاني : « اليقين » . (٣) ١ : « يقضى » .

وأي شبهة تبقى بعد قول أبي بكر : لبتى كفى سأكفه : هل للأئصار في هذا الأمر حق فكلنا لا ننازعه أهله ؟ ومعلوم أن التنازع لم يقع بينهم إلا في الإمامة نفسها ، لا في حق آخر من حقها .

فأما قوله : إنا قد بينا أنه لم يكن منه في بيت طاعمة ما يوجب أن ينعتى أنه لم يفعل ؛ فقد بينا فساد ما علمه فيها تقدم .

فأما قوله : إن من أشد التكاليف عليه قد ينسب خلافه ؛ فليس بصحيح ؛ لأن ولاية أبي بكر إذا كانت هي التي اقتضاها الدين ، والطر للمسلمين في تلك الحال وما عداها كان مفسداً ، ومؤدياً إلى الفتنة ، فلمن حلفها لا يكون إلا فيجاء (١) .



قلت : أما قول قاضي القضاة : إن هذا لا ينضمي للشك في أن الإمامة لا تكون إلا في مريش ، كما أن قول إبراهيم : (وَلَكِنْ لَبِطْتُ قَلْبِي) ، لا ينضمي للشك في أنه تعالى قادر على ذلك فحيد .

فأما قول المرتضى : إنما سأل أن يدل عن الظاهر في حق إبراهيم لأنه نبي معصوم لا يجوز عليه الشك ؛ فيقال له : وكذلك ينبغي أن يدل عن ظاهر كلام أبي بكر ، لأنه رجل مسلم عاقل ، حسن الظن به يقتضى صيانة أفعاله وأقواله عن التناقض . فوله : إن إبراهيم قد نفي عن نفسه الشك بقوله : « بلى ولكن لبطش قلبي » قلنا : إن أبا بكر قد نفي عن نفسه الشك بدفع الأئصار عن الإمامة وإتباتها في مريش خاصة ، فإن كانت لفظة « بلى » دافعة لشك إبراهيم الذي ينتسب إليه فوله : (وَلَكِنْ لَبِطْتُ قَلْبِي) ، فدل أن بكر وقوله يوم السقيفة

(١) الثاني ٤١٩ ، وفي ٥ : لا تسع .

يَدْفَعُ الشَّكَّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ قَوْلُهُ : « لَيْسَ سَأَلُهُ » ، وَلَا فَرْقَ فِي دَفْعِ الشَّكِّ بَيْنَ أَنْ يَتَقَدَّمَ
الدَّفْعُ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَوْ يُنَازِلَ .

ثُمَّ بَقِيَ لِلْمُرْتَضَى : أَلَسْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ - وَهُوَ « النِّشَاءُ » - بَقِيَتْ ^(١) أَنْ قِصَّةَ
السُّنْبُعَةِ لَمْ يَجْرِ فِيهَا ذِكْرُ نَصْرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَنَّ الْأَمَّةَ مِنْ فَرِيضَ ،
وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هَمْلُكَ إِلَّا احتِجَاجُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بِأَنَّهُ فَرِيضًا أَهْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَعَشِيرَتُهُ ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَطْلُعُ غَيْرَ فَرِيضٍ ؟ وَدَكَرَتْ عَنْ الزُّهْرِيِّ وَعِبرَهُ أَنَّ الْقَوْلَ
الْمُتَّاعِدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ فَرِيضَ ، لَيْسَ نَصًّا مَرُوبًّا
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ أَبِي بَكْرٍ مِنْ نَفَاذِ نَفْسِهِ ، وَرَوَّيْتُ
فِي ذَلِكَ لِرَوِّابَاتٍ ، وَثَقُلَتْ مِنَ الْكُفِّ مِنَ طَرِيقِ الطَّرِيقِ وَعِبرَهُ صُورَةُ السَّكَّامِ وَالْجَدَالِ
الْمُتَّاعِدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ ! فَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلُكَ ^{لَيْسَ} عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَوْلُهُ : لَيْسَ كُنْتُ
سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقٌّ ! لِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ النَّصْرَ
وَلَا رَوَاهُ وَلَا رَوَى لَهُ ؟ وَإِنَّمَا دَفَعَ الْأَنْصَارَ بِنُوعٍ مِنَ الْجَدَلِ ؟ فَلَا جَرَمَ بَيٍّ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ
مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ عِنْدَ مَوْنِهِ : لَيْسَ كُنْتُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ
مِمَّا يَمْنَعُ شُكَّكَ فِي بَيِّنَتِهِ كَارِئِ الطَّاعِنِ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا بَشَّرَكَ فِي بَيِّنَتِهِ لَوْ كَانَ قَالَ قَاتِلٌ
أَوْ ذَهَبَ دَاهِبٌ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْأَنْصَارِ ، وَلَمْ يَفْلَحْ أَحَدٌ ذَلِكَ ، بَلِ الرِّعَازُ
كَانَ فِي : هَلِ الْإِمَامَةُ مَنْصُورَةٌ عَلَى فَرِيضَ خَاصَّةً ، أَمْ هِيَ فَوْضَى بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ؟
وَإِذَا كَانَتْ الْحَالُ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ شَاكًّا فِي إِمَامَتِهِ وَبَيِّنَتِهِ قَوْلُهُ : « لَيْسَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا حَقٌّ ؟ » لِأَنَّ بَيِّنَتَهُ عَلَى كَلَا النَّفْدِ بَيْنَ نَسْكَوْنِ
صَحِيحَةٍ .

فأما قولُ قاضى الفُضاء : لعله أراد حقاً للأعصار غير الإمامة نفسها ؛ فليس بجيد ،
والذى اعترضه به الرضى جُبد ، فإن الكلام لا يبدلُ إلا على الإمامة نفسها ، وللمظة النازعة
تؤكد ذلك .

وأما حديث المجهوم على بيت فاطمة عليها السلام فقد نذم الكلام فيه ، والظاهرُ
عندى صحة ما يرويه الرضى والشعبة ، ولكن لا كل ما يروونه ، بل كل بعض ذلك ،
وحتى لأبي بكر أن يندم ويتأسف على ذلك ، وهذا يدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى ،
فهو بأن يكون متنبهاً^(١) له أولى من كونه مطمئناً عليه .

فأما قولُ قاضى الفُضاء : إن من اشتد التشكيكُ عليه فقد يتمنى خلافه واعراضُ
الرضى عليه ، فكلام قاضى الفُضاء أصح وأصوب ، لأنَّ أبا بكر - وإن كان ولايته
مصلحةً وولايتهُ غيره مفسدة - فإنه ما يتمنى أن يكون الإمام غيره ، مع استمرار ذلك
للمفسدة ، بل تمنى أن يلى الأمر غيره وتكون المصلحة بحالها ، ألا نرى أن حلال
الكفارة في البعث كل واحدة منها مصلحة ، وما عداها لا يقوم مقامها في المصلحة ،
وأحدها يقوم مقام الأخرى في المصلحة ! فأبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبو عبيدة
بشرط أن تكون المصلحة الدينية التي تحصل من بيعته حاسلة من بيعة كل واحد
من الآخرين .

الطعن الثالث

قالوا : إنه وثى عمر الخلافة ، ولم يولّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله شيئاً

(١) متنبه : أى مضطرب .

من أعماله البتة إلا ما ولّاه يوم حَبْر ، فرأى منه ما وولّاه الصدفة ، فلما شكاه المباس عزّله .

أجاب قاضي القضاة بأنّ تركه عليه السلام أن يوليّه لا يدلّ على أنّه لا يصلح لذلك ، ونوليّه إياه لا يدلّ على صلاحه للإمامة ، فإنّه صلى الله عليه وآله قد وليّ خالد بن الوليد وعمر بن الماس ، ولم يدلّ ذلك على صلاحيهما للإمامة ، وكذلك تركه أن يوليّ لا يدلّ على أنّه غير صالح ، بل المتعبّر بالعمات التي تصلح للإمامة ، فإذا كملت صلح لذلك ، وليّ من قبل أولئك ، وندبتم أنّ النبي صلى الله عليه وآله ترك أن يوليّ أمير المؤمنين عليه السلام أمورا كثيرة ، ولم يحبّ إلا من يصلح لها ، وندب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يوليّ الحسين عليه السلام أباه ، ولم يمنع ذلك من أن يصلح للإمامة . وحكى عن أبي عليّ أنّ ذلك إنما كان بمنع أن يوليّ من لم يولد له من غير أبيه ، فأمّا وأخواله معروفة في فسلحه ، فالأمر حينئذٍ بغيره ، فكيف يصح ما قالوه ! وبعد فهذه دلّ ما روي من قوله : وإنّ تولّوا أمر محمد وآله في أمر الله ، فويّ في بدنه على حوازل ذلك ! وإنّ ترك النبي صلى الله عليه وآله نوليّه ، لأنّ هذا القول أقوى من الفعل ^(١) .

اعترض الرضوي رحمه الله فقال : قد علمنا بالمادة أنّ من ترشّح لأكبر الأمور لا بدّ من أن يدرج إليها بصغارها ، لأنّ من يريد بمصّ الملوك تأهيله للأمر من بعده لا بدّ من أن ياتيه عليه بكلّ قول وفعل يدلّ على ترشيحه لهذه المدة ، ويستطيعه من أمور ولا ياتيه ^(٢) ما يعلم عنده أو يعاب على طنبه صلاحه لما يريد . وإنّ من يركب ذلك مع حضوره وامتداد الزمان وطاولوه لا يستطيعه شيئا من هؤلاء ، ومنى ولّا عزّله ؛ وإنما يوليّ غيره ويستطيعه سواه ، لا بدّ أن يفتل في الظنّ أنه ليس بأهل للولاية ، وإنّ حوزنا أنّه لم يوليّه لأسباب كثيرة سوى أنّه لا يصلح للولاية ، إلّا أنّ مع هذا التجوّر لا بدّ أن

يَنْقَلِبُ عَلَى الظَّنِّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ . فَأَمَّا خَلْدٌ وَمَعْرُوفَانِمَا لَمْ يَصْلُحَا لِلإِمَامَةِ لِقَدِّ شُرُوطِ الإِمَامَةِ فِيهِمَا ، وَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ لِمَا وَلِيَاهُ مِنَ الإِمَارَةِ ، فَتَرِكَ الْوَلَايَةَ مَعَ أَمْتِدَادِ الزَّمَانِ وَتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ، وَجَمِيعِ الشُّرُوطِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَنْفُضِي غَلْبَةَ الظَّنِّ لِقَدِّ الصَّلَاحِ ، وَالْوَلَايَةَ لِنَفْسِي (١) لَا تَدُلُّ عَلَى الصَّلَاحِ لِقِسْمِهِ إِذَا كَانَتْ الشَّرَاطُ فِي الْفِيضِ بِذَلِكَ الْغَيْرِ مَعْلُومًا فَتَدُّهَا . وَقَدْ نَجِدُ الْمَلِكَ يَرْتِي بِبَعْضِ أُمُورِهِ مِنْ لَا يَصْلُحُ لِمُتَّكَ بِمَعْدَةِ لِقُدُّورِ فَتَدُّ الشَّرَاطُ فِيهِ ، وَلَا يَحْوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَحْضَرِهِ مَنْ يُرَشِّحُهُ لِلْمُلْكِ بِمَعْدَةٍ ، ثُمَّ لَا يُؤَلِّقُهُ عَلَى نَقَالِوِ الْمُلْكِ شَيْئًا مِنْ الْوَلَايَاتِ . فَبِإِنْ الْمَرْقُ بَيْنَ الْوَلَايَةِ وَتَرْكِهَا فِيهَا ذَكَرْنَاهُ .

فَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ لَمْ يَقُولْ جَمِيعَ أُمُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ ، فَتَدُّ نَوَلًا أَكْثَرَهَا وَأَعْظَمَهَا وَحَلَقَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ عَلَى الْجَبَشِ الْبُعُوثِ إِلَى حَبِيرَ ، وَجَرَى الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ أَنْهَارِهِمْ مِنْ الْأَمِيرِ مِنْهَا ، وَكَانَ الْمُؤَدَّى عَنْهُ سُورَةُ رَاءٍ : بَعْدَ عَزَلٍ مِنْ عَزَلِهَا وَإِذْخَاعِهَا مِنْهُ ؟ بَلَى لِحَسْبِ ذَلِكَ مِنْ عَظَمِ الْوَلَايَاتِ وَالنَّامَاتِ بِمَا يَطُولُ شَرْحُهُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُولْ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَطُّ لَكُنْ .

فَأَمَّا اعْتِرَاضُهُ بِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُولْ الْحُسَيْنَ فَمَعْدُ عَنْ الصَّوَابِ ، لِأَنَّ آيَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَطُلْ فَيَسْكُنُ فِيهَا مِنْ مَرَادَاتِهِ ، وَكَانَتْ عَلَى رِصْرَهَا مَقْسُومَةً بَيْنَ قِتَالِ الْأَعْدَاءِ ، لَا مَعْلِيَةَ السَّلَامِ لِمَا يُوجِبُ لَمْ يَلَيْتُ أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّصْرِ ، فَأَحْتَاجُ إِلَى قِتَالِهِمْ ، ثُمَّ انْكَفَأَ مِنْ قِتَالِهِمْ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ قِتَالُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَلَمْ نَسْتَغْفِرْ بِهِ الدَّارُ وَلَا أَمْتِدُ بِهِ الزَّمَانُ ، وَهَذَا بِخِلَافِ آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي تَطَاوُلَتْ وَامْتَدَّتْ ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ نَصَّ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَ أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَإِنَّمَا تُطَلَّبُ الْوَلَايَاتُ لِنَايَةِ الظَّنِّ بِالصَّلَاحِ لِلْإِمَامَةِ .

فَبِإِنْ كَانَ هُنَاكَ وَجْهُ يَنْفُضِي الْعِلْمَ بِالصَّلَاحِ لَهَا كَلَنْ أَوَّلَى مِنْ طَرِيقِ الظَّنِّ ، عَلَى أَنَّهُ

لاخلاف بين المسلمين أَنَّ الحسينَ عليه السلام كان يَصْلُحُ للإمامة وإن لم يُؤَلِّهِ أئمه
الولايات ، وفي مثل ذلك خلافٌ من حالٍ عمرٍ ، فَأَفْرَقَ الأُمَريَانِ . فَأَمَّا قوله : إنه لم يَعرِ
على عمرٍ بتقصر في الولاية ، فمن سَلَمَ بذلك ! أو ليسَ يَعْلَمُ أَنَّ مخالفتَهُ تَعَدُّ تقصيرا كثيرا ،
ولو لم يكن إِلَّا ما اتَّفَقَ عليه من خَطئه في الأحكام ورجوعه من قولٍ إلى غيره ، واستثنائه
الناسَ في الصنبر والكسبر ، وقوله : كلَّ الناسِ أَقْنَهُ من عمرٍ ، لكان فيه كفاية . وليس
كلَّ النهوض بالإمامة يرجع إلى حُسْنِ التدبير والسياسة الدنياوية ورمِّ الأُمُال والاستظهار
في حيازة الأموال وتمصير الأُمُصار ووضع الأعشار ، بل حَظَّ الإمامة من السِّلْمِ بالأحكام
والفتيا بالحلال والحرام ، والناسح والمنسوح ، والحكم والنشأه أقوى ، فمن قصر في هذا
لم يَنصَحْهُ أَنْ يكون كَامِلًا في ذلك .

فَأَمَّا قوله : فهل أدلُّ ما رَوِيَ من قَوْلِهِ عليه السلام : « فَإِنْ » وَلَيْتُمْ عمرٌ وجدَّعوه قَوِيًّا
في أمرِ الله قَوِيًّا في بَدَنِهِ » ، فهذا لو تَمَّتْ لَوَلَّيْتُ دَوْدَ تَقَدَّمَ القَوْلُ ^(١) عليه . وَأَقْوَى مَا يَبْطُلُهُ
عدولُ أبي بكرٍ عن ذكره ، والأَحْكَمُ بَيَانُهُ لَمَّا ارْتَضَى عَلَى عمرٍ ، فثَوَّبَ عَلَى ذَلِكَ وَقِيلَ
لَهُ : مَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذْ وَلَّيْتُ عَلَيْنَا قَوْمًا غَلِبُوا ! فلو كان صحيحا لكان يَحْتَجُّ بِهِ ويقول :
وَلَيْتُ عَلَيْكُمْ مَنْ شَهِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ فَرَّيْتُ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، فَوَيٌّْ فِي بَدَنِهِ .
وقد قيل في القلمن على سِجَّةِ هذا الخبر : إِنَّ ظَاهِرَهُ ، يَنْتَضِي تَقْصِيرُ عمرٍ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ،
وَالْإِجْمَاعُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ القُوَّةَ فِي الْجِسْمِ قَسَلُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنْ لَمْ يَسْطِقُوا
عَلَيْكُمْ وَزَادُوا بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ » ^(٢) . ودمد ، فكيف يُمارِسُ ما اعْتَمَدَناه من
عدوله عليه السلام عن ولايته . وهو أمرٌ معلومٌ . بهذا الخبر الردود للدفع

قلتُ : أَمَّا ما ادَّعاه من عادة التُّذُوكِ ، فالأمر بخلافه ، فَإِنَّا قد وَكَّفْنَا عَلَى
سِرِّيرِ الأَكْبَرَةِ وَمُلُوكِ الرُّومِ وغيرهم فَاسْتَمِعْنَا أَنَّ أَحَدَ مِنْهُمْ رَشَّحَ وَلَدَهُ

لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ بِاسْتِمَالِهِ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْأَطْرَافِ ، وَلَا جَيْشٍ مِنَ الْجَبُوشِ ، وَإِنَّمَا كَانُوا
يُشْفِقُونَهِم بِالْأَدَابِ وَالرُّوسِيَّةِ فِي مَقَارِئِ مُلْكِهِمْ لَا عِبْرَ ، وَالْحَالُ فِي مُلْكِ الْإِسْلَامِ كَذَلِكَ ،
فَقَدْ سَمِعْنَا بِالْدَوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَرَأَبَا الدَّوْلَةِ الْعَسَاسِيَّةِ ، فَمَنْ تَعْرِفُ الدَّوْلَةَ الَّتِي إِذَا عَاهَا الْمُرْتَضَى ،
وَإِنَّمَا قَدْ بَقِيَ فِي الْأَعْلَى النَّادِرُ شَيْءٌ ، مِمَّا أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَالْأَعْلَى الْأَكْثَرُ خِلَافَ ذَلِكَ ،
عَلَى أَنَّ أَصْحَابَنَا لَا يَقُولُونَ إِنَّ عَمَرَ كَانَ مَرْشِجًا لِلْخِلَافَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
لِيَقَالَ لَهُمْ : فَكُلُّ مَنْ قَدْ رَشَّحَهُ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُ لَا يَسْتَكْفَاهُ كَثَرَتُهُ مِنْ أُمُورِهِ ؛ وَإِنَّمَا عَمَرُ
مَرْشِجٌ عِنْدَهُمْ فِي أَهْلِ أَبِي بَكْرٍ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ اسْتَمْعَلَهُ عَلَى الْفُضَاءِ
مُدَّةَ خِلَافَتِهِ ، وَلَوْ كَانَ هُوَ الْحَلِيفَةُ فِي الْعَمَلِ ، لِأَنَّ قُوَّةَ إِيَّاهُ أَكْثَرُ التَّحْدِيدِ ، فَقَبْلَ هَذَا
يَكُونُ قَدْ سَلَّمْنَا أَنَّ زَيْدَ اسْتَمْعَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَعْرَ بَدَلٍ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَرْشِجٍ
فِي طَرَفٍ لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ  وَلَا يَزَالُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا يَكُونُ حَلِيفَةً بَعْدَ
أَبِي بَكْرٍ ، عَلَى أَنَّهَا لَا تَسْلَمُ أَنَّهَا تَسْتَمْعَلُهُ ، فَتُذَكَّرُ بِالْوَادِيَّةِ وَإِنْ إِسْتَحَقَّ أَنَّهُ مَعَهُ
فِي سَرِيَّةٍ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْوَادِيَّةِ الْمَرْبُوعَةِ بِرَّامَةِ - نَعَمْ الْبَاءُ وَفَتْحُ الرَّاءِ -
وَبِهَا جَمْعٌ مِنْ هَوَازِنَ ، تَخْرُجُ وَمَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلَالٍ ، وَكَانُوا يَسِيرُونَ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُونَ
النَّهَارَ ، وَأَتَى الْخَمْرُ هَوَازِنَ فَهَرَبُوا ، وَجَاءَ عُمَرُ عَمَّا لَهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَانْصَرَفَ
إِلَى الدِّيْنَةِ .

ثُمَّ يُبَارِضُ الْمُرْتَضَى بِمَا ذَكَرَهُ قَاصِي الْفُضَاءِ مِنْ زَيْدٍ تَوَلَّيَ عَلَى أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، وَقَوْلُهُ فِي الشُّذْرِ عَنْ ذَلِكَ : إِنَّ عَلِيًّا حَلِيفَةُ السَّلَامِ كَانَتْ مَعَهُ بِمَرْبِ الثُّغَاةِ وَالْحَوَارِجِ
لَا يَدْفَعُ الْمُعَارَضَةَ ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْأَهْيَامَ الَّتِي هِيَ أَهْلُ حُرُوبِهِ مَعَ هَؤُلَاءِ هِيَ الْأَهْيَامُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي
أَنْ يَوَلَّى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضَ الْأُمُورِ قَبْلَهَا ، كَاسْتِمَالِهِ عَلَى جَيْشٍ بَعْدَهُ سَرِيَّةً إِلَى بَعْضِ
الْجِهَاتِ ، وَاسْتِمَالِهِ عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا إِلَى حَرْبِ صِفِّينَ ، أَوْ اسْتِمَالِهِ عَلَى الْفُضَاءِ ،

وليس اشتغاله بالحرب يمنع له من ولاية ولده ، وقد كان مشغولاً بالحرب ، وهو يولي
بني عمه العباس الولايات والبلاد الخليفة .

فأما قوله : على أنه قد من عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن ؛ فهذا يُفنى عن نوليته
شئنا من الأعمال ؛ فلنائل أن يجمع ما ذكره من حديث النص ، فإنه أمرٌ ننزله
الشبهة وأكثر أرباب السبر والتواريخ لا يدكرون أن أمير المؤمنين عليه السلام من
على أحد . ثم إن سأل له ذلك سأل لفاضي النساء أن يقول : إن قول النبي صلى الله عليه
وآله : « اقتدوا بالذين من بدى : أنى مكر وعمر » ؛ بنى عن نوليته عمر شئنا من
الولايات ، لأن هذا القول أكد من الولاية في نزاعه للخلافة .

فأما قوله : على أنه لا خلاف بين المسلمين في صلاحية الحسن للخلافة
وإن لم يولّه أبوه الولايات ، وفي عمر خلافة علي بن الحسين ؛ فلنائل أن يقول له :
إجماع المسلمين على صلاحية الحسن للخلافة لا بدقّع المارضة ، بل يؤكدها ،
لأنه إذا كانت المسلمون قد أجمعوا على صلاحية الحسن للخلافة ولم يكن ترك نوليته
إياه الولايات قاطعاً في صلاحية لها بعده ، حار أبنا أن يكون ترك نوليته
رسول الله صلى الله عليه وآله عمر الولايات في حباه عبر قاطع في صلاحية
للخلافة بعده .

ثم ما ذكره من نصير عمر في الخلافة نظرين اختلاف أحكامه ، ورجوعه إلى
غناوى العلماء ، فقد ذكرنا ذلك بما تقدم لما تسكلمنا في مطاعن الشبهة على عمر
وأجبنا عنه .

وأما قوله : لا يُفنى حسن التدبير والسياسة ورم الأمور ، مع الضمور في اللغة ،
فأصحابنا يذهبون إلى أنه إذا تساوى اثنان في حصال الإمامة إلا أنه كان أحدهما أعلم والآخر

أَسْوَس ، فَإِنَّ الْأَسْوَسَ أَوَّلُ بِالْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ حَاجَةَ الْإِمَامَةِ إِلَى السِّيَاسَةِ وَحُسْنِ التَّدْبِيرِ أَكْثَرُ مِنْ حَاجَتِهَا إِلَى الْعِلْمِ وَالْفَنِّ .

وَأَمَّا الْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ فِي عُمَرَ - وَهُوَ قَوْلُهُ : وَإِنْ تَوَلَّوْهَا عُمَرُ - فَيَجُوزُ أَلَّا يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ نَبِيَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الرَّأْيُ لَهُ عَلَيْهِ ، وَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَبِيَّهُمْ وَشَدُّ عَنِّهِ أَنْ يَحْتِجَّ بِهِ عَلَى طَلْحَةَ لَمَّا أَسْكُرَ اسْتِخْلَافَ عُمَرَ ، وَجُوزُ أَلَّا يَكُونَ شَدُّ عَنِّهِ وَتَرْكُ الْإِحْتِجَاجِ بِهِ اسْتِغْنَاءً عَنِ لَمْلَمِهِ أَنْ طَاحَتْ لَا بُدَّ بِقَوْلِهِ عِنْدَ النَّاسِ إِذَا عَارَضَ قَوْلَهُ . وَلَمَّا كُنِيَ عَنْ هَذَا الْمَرْبُوعِ قَوْلُهُ : إِذَا سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ لَهُ : اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ ؟ عَلَى أَنَّ مَنَى فَنَحْنُ بَابُ « هَلَّا احْتَجَّ فَلَانَ بِكَذَا » حَرَّ عَلَيْنَا مَا لَا يُقَالُ لَنَا . وَفِي : هَلَّا احْتَجَّ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طَلْحَةَ وَعَائِشَةَ وَالزَّيْبِرِ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاً هَذَا عَلَى مَوْلَاً » ، وَهَلَّا احْتَجَّ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ : « أَنَا مَنَى بِغَزَلَةٍ هَارُونَ مِنْ مَوَالِي » ، وَلَا يُجِبُنِي الشُّبُهَةُ أَنْ يَقْتَدِرُوا هَاهُنَا بِالنَّبِيِّ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ كَانَتْ قَدْ سَلَّتْ مِنَ الْمَرْبُوعِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَنَامَ نَبِيِّ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : هَذَا الْخَبَرُ لَوْ صَحَّ لَا تَقْصِي أَنْ يَكُونَ عُمَرُ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ خِلَافُ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ؟ فَلَنَقُولُ أَنْ يَقُولُ : لَمْ فَلَنْ يَنْ السَّلْبِينَ أَحْمُوا عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ ، مَعَ أَنَّ كُتُبَ السَّلَامِ وَاتِّصَانِيفَ الْمُصَنِّفِ فِي الْمَقَالَاتِ مَشْهُونَةٌ بِذِكْرِ الْفِرْقَةِ الْمُعَرَّبَةِ ، وَهِيَ طَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّلْبِينَ ، بِثَالِ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مَعَهُمْ ، وَفَدَّ رَأَيْتُ أَنَّ حَمَاقَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ يَنْهَبُونَ إِلَى هَذَا ، وَيُنَاقِضُونَ عَلَيْهِ ؟ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدُلُّ الْخَبَرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الرَّنْفَسِيُّ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عُمَرُ أَفْضَلَ مِنْهُ بِإِعْتِبَارِ قُوَّةِ الْبَدَنِ ، فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ مَطْلَانًا ، فَخِلَافُ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ يُلْزَأُ هَذِهِ الْخَلَصَةُ خِصَالٌ كَثِيرَةٌ فِي أَبِي بَكْرٍ مِنْ خِصَالِ الْخَبَرِ يُفَضَّلُ بِهَا عَلَى عُمَرَ ،

ألا نرى أننا نقول : أبو دُجَانة أفضل من أبي بكرٍ بمجاهدته بالسيف في مقام الحرب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضل منه مطلقاً ، لأنَّ في أبي بكرٍ من خصال الفضل ما إذا فُهِس بهذه الخصلة أدبٌ عليها أضعافاً مضاعفة .

الطعن الرابع

قالوا : إنَّ أبا بكرٍ كان في جنب أسامة ، وإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كَرِه حين موته الأمرَ بتعبد جيشِ أسامة ، فأخَّره بنقض غرامة الرسول صلى الله عليه وآله . فإن قلنا : إنَّه لم يكن في الجيش ، فيلزم : لاشك أن عمر بن الخطاب كلَّي الجيش ، وآتاه حَبَسَهُ وَمَنَّهُ من النفوذ مع القوم . وهذا كالأول في أنه معصية ، ودعنا قلنا : إنَّه صلى الله عليه وآله جَلَّ هُؤْلاً . القوم في جيش أسامة ليمعدوا بعد وفاته عن الدبنة ، فلا يفسح منهم نوبٌ على الإمامة ، ولذلك لم يجعل أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الجيش ، وجعل فيه أبا بكرٍ وعمرَ وعيَّانَ وغيرهم ، وذلك من أوكد الدلالة على أنه لم يرد أن يُختاروا للإمامة^(١) .

أجاب فاضل القضاة بأن أنكر أولاً أن يكون أبو بكر في جنب أسامة ، وأحال على كُتُب المنازاة ، ثم سلم ذلك وقال : إنَّ الأمر لا يقتضي التورُّ ، فلا يلزم من تأخر أبي بكرٍ عن النفوذ أن يكون عاصياً . ثم قال : إنَّ خطابه صلى الله عليه وآله بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجَّهاً إلى القائم بعده ، لأنَّه من خطاب الأئمة ، وهذا يقتضي ألا يدخل الخطاب بالتنفيذ في الجلبة ؛ ثم قال : وهذا يدلُّ على أنه لم يكن هناك إمامٌ منصوبٌ عليه ، لأنَّه لو كان لأقلَّ بالخطاب عليه ، وخفَّه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع .

ثم ذكر أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون مشروطاً بالصلحة وبأن لا يمرض ما هو أهم منه ، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ ، وإن أعذب ضرراً في الدين ، ثم قوى ذلك بأنه لم يسكر على أسامة نأخراً ، وقوله : « لم أكن لأسأل عنك الركب » ؛ ثم قال : لو كان الإمام منصوباً عليه لحاز أن يسرد جيش أسامة أو يهضمه لتضرته ، وكذلك إذا كان بالأختيار ؛ ثم حكى عن الشيخ أبي علي استدلاله على أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة وأنه دلاه الصلاة في مرقمه ، مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ والمطروح .

ثم ذكر أن الرسول صلى الله عليه وآله إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها من الجهاد ، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي ، كما يجب في الأحكام الشرعية ، وأن الجهاد يجوز أن يخالف بعد وفاته ، وإن لم يجوز في حياته ، لأن الجهاد في الحياة أولى من الجهاد بعده ، ثم ذكر أن العلة في احتساب مخرج الجيش حادثة أبي بكر إليه ، وفيما به بما لا يقوم به غيره ، وأن ذلك أحوط للدين من نفوذه .

ثم ذكر أن أمير المؤمنين عليه السلام حازت معاوية بأمر الله تعالى وأمر رسوله ، ومع هذا فقد ترك محاربته في بعض الأوقات ، ولم يجب بذلك ألا يكون بمنزلة للأمر . وذكر نولته عليه السلام أبا موسى ، ونولية الرسول صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد مع ما جرى ^(١) منهما وأن ذلك بنفسي الشرط .

ثم ذكر أن من يصلح للإمامة ممن ستمه جيش أسامة يجب تأخيرها ليختار للإمامة أحدهم ، فإن ذلك أهم من نفوذهم ، فإذا جاز هذه العلة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعدة المعاصرة وغيرها ، وطعن في قول من جعل إن إخراجهم في الجيش على جهة الإمداد لهم عن المدينة بأن قال : إن إمدادهم عن المدينة لا يجمع من أن يختاروا للإمامة ،

ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعا على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : عقدوا جيش أسامة في حياتي . ثم ذكر أن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي فصله وأنها دونه ، وذكر ولاية عمرو بن العاص عليهما وإن لم يسكونا دونه في الفصل ، وأن أحدا لم يفضل أسامة عليهما .

ثم ذكر أن السبب في كون عمر من جملة جيش أسامة أن عبد الله بن أبي ربيعة الغزوي قال عند ولاية أسامة : نولي علينا شابا حدث ونحن شيوخه فريش ! فقال عمر : يا رسول الله ، مررت حتى أضرب عنقه ، ففد طمن في تأميرك إياه ! ثم قال : أما أخرج في جيش أسامة نواصيا ونمظيلا لأمره عليه السلام .

اعترض الرضائي هذه الأحوة ، فقال : إنما كون أبو بكر في جملة جيش أسامة فظاهر ، قد ذكره أصحاب السير والتواريخ ، وقد روى البلاذري في تاريخه وهو معروف بالجنة والوسط ؛ وبري من ممالأة الشهرة ومباريتها ، أن أبا بكر وعمر ما كانا في جيش أسامة ، والإنكار لما يجري هذا الجري لا يعني شيئا ، وقد كان يحب علي من أحال بذلك على كعب القاري في الجلة أن يوي إلى الكتاب النضم لذلك بسببه ليرجع إليه ، فأنما خطابه عليه السلام بالتصدي للجيش فالمصود في القود دون التراخي ، إنما من حيث مفضي الأمر على مذهب من يرى ذلك لغة ، وإنما شرعا من حيث وجدنا جميع الأئمة من لدن الصحابة إلى هذا الوقت يحميرون أوامرهم على القور^(١) ، وبطلون في تراخيها الأدلة . ثم لو لم يثبت كل ذلك لكان قول أسامة : لم أكن لأسال عنك الركب ، أوضح دليل على أنه عقل من الأمر القور ، لأن سؤال الركب عنه عليه السلام بعد وفاته لا معنى له .

(١) القور : من حيث دل دليل الشرع عليه .

وأما قول صاحب الكتاب : إنه لم يُنكر على أسلمة تأخره فليس بشيء ،
 وأما إنكاره أن يبلغ من تكراره الأمر ، وتكراره القول في حال بُشَلِّ في المهم ،
 ويُشَلِّع اليكر إلا فيها ! وقد كرر الأمر على السامور تارة بتكرار الأمر ، وأخرى
 بغيره . وإذا سلمنا أن أمره عليه السلام كان متوجها إلى القائم بعده ، بالأمر لتنفيذ الجنب
 بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج الخطاب بالتنفيذ عن الجملة ؛ وكعب بصح ذلك
 وهو من جملة الجنب ، والأمر منصوص بتنفيذ الجنب ! فلا بد من نفي كل من كان في
 محلته ، لأن تأخر بعضهم بسبب التأخير اسم الجنب على الإطلاق . أو ليس من مذهب
 صاحب الكتاب أن الأمر بالشيء أمر عما لا يتم إلا به . وقد استدل على هذا في مواضع
 كثيرة ، فإن كان خروج الجنب ونفوذه لأمره إلا بخروج أبي بكر ، فالأمر بخروج الجنب
 أمر لأبي بكر بالنفوذ والخروج ، وكذلك لو أُمر عليه على سبيل التعميم ؛ وقال :
 ننذوا جيش أسامة ، وكل هو من جملة الجنب ، فلا بد أن يكون ذلك أمرا له بالخروج .
 واستدلاله على أنه لم يكن هناك إمام منصوب عليه بمسوم الأمر بالتنفيذ ، ليس تصحيح ؛
 لأننا قد بينا أن الخطاب إنما نوحه إلى الحاضرين ، ولم يوجهه إلى الإمام بعده ؛ على أن
 هذا لازم له ، لأن الإمام بعده لا يكون إلا واحدا ، فلم يحتمل الخطاب ولم يرد به الواحد
 فيقول : ليس القائم من بعدى بالأمر حين أسامة ، فإن الحال لا يختلف كون الإمام
 بعده واحدا بين أن يكون منصوبا عليه أو مختارا .

وأما ما ادَّعى أن الشرط^(١) في أمره عليه السلام لم ينفذ قط ، لأن إطلاق
 الأمر بمنع من إثبات الشرط ، وإنما يثبت من الشروط ما يقتضي الدليل إثباته من
 التمكن والقُدرة ، لأن ذلك شرط ثابت في كل أمر ورد من حكيم ، والمصلحة
 بخلاف ذلك ، لأن الحكيم لا يأمر بشرط الصلحة ، بل إطلاق الأمر منه يقتضي ثبوت
 الصلحة وانتفاء القسوة ، وليس كذلك التمكن ، وما يجري مجراه ، ولهذا لا يشترط

(١) في د : وأما ادعاء الشرط .

أُحْدِثُ فِي أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنَّشْرَانِ الْمَصْلُحَةِ وَانْتِزَاعِ الْمُسَدَّةِ .
وَشَرَّطُوا فِي ذَلِكَ التَّسَكُّنَ وَرَفْعَ النَّذْرِ ، وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ تَعَيُّنُهُ وَأَمُّهُ لَمَّا جَارَ
أَنْ يَسْتَرِدَّ جَيْشَ أُسَامَةَ ؟ بِخِلَافِ مَا ظَنَّهُ ، وَلَا يَمْرُلُ مَنْ وَلَّاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يُولَى مِنْ عَزَلَهُ
لِلْعَمَلَةِ أَلَى ذِكْرِنَا .

فَإِنَّمَا اسْتَدْلَالُ أَبِي عَلِيٍّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ عُدَّتِ الصَّلَاةُ ، فَأَوَّلَ مَا فِيهِ
أَنَّهُ اضْطَرَّ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِتَنْصِبِ الْجَيْشِ كَانَ فِي الْحَيَاةِ دُونَ نَسْرِ الْوَفَاءِ ، وَهَذَا نَاقِضٌ لِمَا بَيَّنَّ
صَاحِبُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ أَمْرًا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثُمَّ إِنَّمَا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُولَّهِ الصَّلَاةَ وَذَكَرْنَا مَا فِي ذَلِكَ . ثُمَّ مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ
يُؤْتِيَهُ تِلْكَ الصَّلَاةُ إِنْ كَانَ وَلَّاهُ إِيَّاهَا ، ثُمَّ بِأَمْرِهِ بِالْفَتْوَى مِنْ بَعْدِ مَعَ الْجَيْشِ ! فَإِنَّ الْأَمْرَ
بِالصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا يَفْتَضِي أَمْرًا عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا إِذَا بَوَّاهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَمْرٍ بِالْحُرُوبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا عَنْ أَجْتِهَادٍ
دُونَ الْوَحْيِ ، فَهَذَا اللَّهُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا ، لِأَنَّ حُرُوبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ نَكُنْ بِهَا بِمَحْصُورٍ
بِمَصَالِحِ أُمُورِ الدُّنْيَا ، بَلْ لِلدُّنْيَى فِيهَا أَقْوَى تَعَلُّقٍ ، لِمَا يَمُودُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِفَتْوَاهُ مِنْ
الْعَزِّ وَالْقُوَّةِ وَعِلْوِ السَّكَنَةِ . وَلَيْسَ يَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَتَوْبِهِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ
لَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالْهَدْيِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَلَوْ حَرَّ أَنْ نَكُونَ مَنَازِلَهُ وَبُيُوتَهُ مَعَ التَّعَلُّقِ
الْقَوِيَّ لَهَا بِالْهَدْيِ عَنْ أَجْتِهَادٍ لَجَازَ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَامِ .

ثُمَّ لَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ أَجْتِهَادٍ لَمَّا سَاعَتْ مُخَالَفَتُهُ فِيهِ مَعَدَّةً وَفَانَةً ، كَمَا لَا تَسُوغُ فِي حَيَاتِهِ .
فَكُلُّ عِلَّةٍ تَخْتَصُّ مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ هِيَ مَانِعَةٌ مِنَ الْآخَرِ . فَإِنَّمَا الْاعتِدَالُ لَهُ عَنْ حَتَّى عَمَرَ
عَنِ الْجَيْشِ بِمَا ذَكَرَهُ فَبَاطِلٌ ؛ لِأَنَّا قَدْ قَالْنَا : إِنَّ مَا بَأْمَرَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَسُوغُ مُخَالَفَتُهُ مَعَ
الْإِمْكَانِ ، وَلَا مُرَافَعَةَ لِمَا عَسَاءَ يَخْرُجُ فِيهِ مِنْ رَأْيِ عِيَرَةٍ ، وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى عَمَرٍ مَعَ نَعَامِ
الْمَعْدَةِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ وَرِضَا الْأُمَّةِ بِهِ ، عَلَى طَرِيقِ (١) الْمُخَالَفَةِ وَإِجْمَاعِهَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ

هناك فتنة ولا تنازع ولا اختلافٌ مُحتاجٌ فيه إلى مُشاوَرته وتُدبِره ! وكلّ هذا نعلنٌ بامتل .

فأما محاربةُ أمير المؤمنين عليه السلام معاويةَ فإِنما كان مأموراً بها مع الفسكن ووجود الأنصار ، وقد فُعل عليه السلام من ذلك ما وَجِبَ عليه لما نَعَكَنَ منه ، فأما مع النَعْدَرِ وفَقْدِ الأنصارِ فما كان مأموراً بها . وليس كذلك القولُ في جيشِ أسامة ، لأنّ فَاخِرَ من تأخّر عنه كان مع الفدرة والنمكَن . فأما توليةُ أبي موسى فلا تَدرى كيف بُشِيهَ ما نحنُ فيه ، لأنّه إِنما ولّاه بأن يرجع إلى كتاب الله سألَ قَبَاحَكم فيه وى حَسَمَه بما يقتضيه ، وأبو موسى ففعل خلافَ ما جُعلَ إليه ، ثم يكنى مَحْنِلاً لأمر من ولّاه ، وكذلك غلّهُ ابن الوليدِ إِنما خالَفَ ما أُمِرَ به الرسولُ صلى الله عليه وآله فَنَبَرَأَ من فَعَلِه ، وكلّ هذا لا بُشِيهَ أمره عليه السلام ^{بالتفصيل} أسامةُ أمراً مطلقاً ، ونأ كبدُ ذلك وشكرارُماءه ، فأما جيشُ أسامةِ فإنه لم يقسم من يصلح للإمامة ، فيجوز تأخيرهم لبعثنا أحدهم على ما ظنّه صاحبُ الكتاب . على أنّ ذلك لو صحّ أيضاً لم يكن عُذْراً في التأخّر ؛ لأنّ مَنْ خرج في الجيشِ يُسَكِّنُ أن يَحْثَرُوا وإن كان مُبْدَأً ، ولا يَمَسُّ بَعْدَهُ من صُخْةِ الأَحْثِيَارِ ، وقد صرّح صاحبُ الكتاب بذلك . ثم لو صحّ هذا العُذْرُ لكان عُذْراً في التأخّر قبلَ القُد ، فأما بعد إبراهيمَ فلا عُذْرَ فيه ، وللمُعاوِدة التي ادّعاها قد بَيَّنّا ما فيها .

فأما ادّعاء ^(١) صاحب الكتاب ردّاً على من حَمَلَ إِخْرَاجَ الغُرمِ في الجيشِ لبَنِمَ أمرُ النّسِ أن مَنْ أُنْزِمَ لا يَمَسُّ أن يَحْثَرُوا للإمامة فبدلَ على أنّه لم يَبَيِّنْ معنى هذا الطّعنِ على حقيقته ، لأنّ الطّاعِنَ به لا يقولُ إنّهُ أُنْزِمَ ثلثاً يَحْثَرُوا للإمامة ، وإِنما يقولُ : إنّهُ أُنْزِمَ حتّى يَنْتَصِبَ بِمَدَّةٍ في الأرضِ مَنْ نَصَّ عليه ، ولا يكونُ هُنَاكَ مَنْ يَنْزِعُهُ وَيَحْثَرُهُ .

وأما قوله : لم يكن قاطعاً على مَوْتِهِ فلا يضر تسليمه ، أليس كان مُشْفِئاً وخائفاً وعلى الخائف أن يصحّر بمن يخاف منه . فأمّا قوله : فإنه لم يرد : قدّوا الحيشَ وحبّاتٍ قد يفتنا ما فيه . فأمّا ولاية أسامة على من وُلّي عليه ، فلا بدّ من اختصارها لفضله على الجماعة فيما كان والياً فيه ، وقد دللنا فيما تقدّم من الكتاب على أن ولاية المُفْضُول على المُفَاضِل فيما كان أفضل منه فيه بجهة ، فكذلك القولُ وولاية عمرو بن العاص عليهما فيما تقدّم ، والقولُ في الأمرين واحد .

وقوله : إن أحداً لم يدّع فضل أسامة على أبي بكر وعمر ، فليس الأمرُ على ما ظنّه ؛ لأن من ذهب إلى مساوٍ إمامة المُفْضُول لا بدّ من أن يُفصل أسامة عليهما فيما كان والياً فيه ، فأمّا أوتاه ما ذكره من السبب في دخول عمرو في الحيش فما نعرفه ، ولا وقفنا عليه إلّا من كتابه ، ثم لو صحّ لم يُغنِ شيئاً ، لأنّ عمر لم يكن أفضل من أسامة لقسمه الرسولُ صلى الله عليه وآله من الدخول في إمامته والسُّبْحُ تحت لوائه ، والنواضع لا يفتشى قبل التبع^(١) .

قلت : إن الكلامَ في هذا الفصل قد نشأ شتاً كثيرة ، والرُغْصَى رحمه الله لا يُورد كلامَ قاضِي القضاة بعبته ، وإنما يُختصره ويورده مبهوراً ، ويُورِى إلى المأني إعاءة لطيفاً ، وعرصه الإيجاز ، ولو أوردَ كلامَ قاضِي القضاة بعبته لكان التّيقن ، وكان أهدى عن الظُّلَّة ، وأدفعَ لتوَلُّي قاتلٍ من حصومه : إنّه بحرفٍ كلامَ قاضِي القضاة ، وبذكره على غير وجهه ، ألا ترى أن من نَصَبَ نفسه لأختصار كلامه فقد ضمن على نفسه أنّه قد فهم معاني ذلك الكلام حتى يصحّ منه أختصاره ؛ ومن الجائر أن يظنّ أنّه قد فهم

بعض الواضع ولم يكن قد قصه على الحبيبة ، فيختصر ما في قصه ؛ لا ما في تصنيف ذلك الشخص ، وأما من يورد كلام الناس بنصه فقد أسترأح من هذه التبعة ، وعرض عقله لغيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين .

ثم تقول : إن هذا الفصل بنفس أسامة :

منها قول قاضي القضاة : لا تسلم أن أبا بكر كان في حبس أسامة .

وأما قول المرتضى : إنه قد ذكره أرباب السبر والنوارج ، وقوله : إن البلاد يرى ذكره في تاريخه ، وقوله : هلاً عني قاضي القضاة الكتاب الذي ذكر أنه يتضمن عدم كونه أبي بكر في ذلك الحبس ! فإن الأمر عندي في هذا الوضع منفيه ، والنوارج محتلة في هذه القضية^(١) ، فهم من يقول : إن أبا بكر كان في محلة الحبس ، ومنهم من يقول : إنه لم يكن ، وما أشار إليه قاضي القضاة بقوله في كتب الغازي لا يتهيأ إلى أمر صحيح ، ولم يكن ممن يستحل القول بالباطل في دينه ولا في رئاسته . ذكر الواقدي في كتاب الماري أن أبا بكر لم يكن في حبس أسامة ، وإنما كان عمر ، وأبو عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وقناة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم ، ورجال كثير من المهاجرين ، والأنصار ، قال : وكان الفكري لإمارة أسامة عتياش بن أبي ربيعة . وعبر الواقدي بقول : عبد الله بن عتياش ؛ وقد قيل : عبد الله بن أبي ربيعة أخو عتياش .

وقال الواقدي : وجاء عمر بن الخطاب قودع رسول الله صلى الله عليه وآله ليسبر مع أسامة . وقال : جاء أبو بكر فقال : يا رسول الله ، أصبحت مريضاً بحمد الله ، واليوم يوم أهدى خلعة ، فأذن لي ، فأذن له ، فذهب إلى منزله بالسج^(٢) وسار أسامة في المسكر ، وهذا تصريح بأن أبا بكر لم يكن في حبس أسامة .

(١) د : « القصة » . (٢) السج : إحدى محال المدينة ؛ وكان بها منزل أبي بكر حين زوجه مليكة ؛ وقبل حبيبة بنت مارية (بالوفد) .

وذكر موسى بن عُقبة في كتاب "الغازي" : أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة
وكثير من المحدثين يقولون : بل كان في جيشه .

فأما أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فلم يذكر أنه كان في جيش أسامة إلا عمر .
وقال أبو جعفر : حدثني الشَّاذلي بإسنادٍ ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضرب
قبل وفاته بئسا على أهل الدبنة ومن حولهم وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة
ابن زيد ، فلم يجاوزوا آخرهم الخندق حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوقف
أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأذنه
بأن يأتى أجمع الناس ، فإن مى وحواء الصحابة ، ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله
عليه وآله ، ونقل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقال للسلب أن يتخططهم المشركون
حول الدبنة ؛ وقالت الأنصار لعمر ميراث : **فإن أتى إلا أن يعضى فأبلغه عنا ، والطلب إليه**
أن يولى أمرنا رجلا أفدتم سينا من أسامة . فخرج عمر بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره
بما قال أسامة ، فقال أبو بكر : **لو لم نعلم فقتى السكينة لو لفظنا لم أرد فضاء فقتى به**
رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : **فإن الأنصار أمروني أن أملكك أنهم يطالبون إليك**
أن تولى أمرهم رجلا أفدتم سينا من أسامة ، فوكت أبو بكر . وكان حالنا - فأخذنا ملجئة
عمر وقال : **تلككك أمك يا ابن الخطاب ! أسمعيله رسول الله صلى الله عليه وآله**
وأمرني أن أترعه ! فخرج عمر إلى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : أعطوا تكلنكم
أسماكم ! ما لغبت في سبيلكم اليوم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ! ثم خرج
أبو بكر حتى أتاهم فاستخفصهم ^(١) وشيئهم ، وهو ملئ وأسامة راكب ، وعبد الرحمن
ابن عوف بقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة بن زيد : يا خليفة رسول الله ، لتركبن
أو لأتركن ، فقال : والله لا نترك ولا أترك ، وما على أن أمهر فدى في سبيل الله ساعة ،

فَإِنَّ لِلنَّازِي بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا سَبْعُمِائَةِ حَسَنَةٍ تُكْتَبُ لَهُ ، وَسَبْعُمِائَةِ دَرَجَةٍ تُرْفَعُ لَهُ ،
 وَسَبْعُمِائَةِ خَطِيئَةٍ تُحْطَى عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى قَالَ لِأَسَامَةِ : إِنَّ رَأْيَ أَنْ نَعِينَنِي صَمْرًا فَافْعَلْ ،
 فَأَذِنَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، فِيمَا حَتَّى أَوْصِيَكُمْ بِمَنْشَرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي : لَا تَحْوُوا
 وَلَا تُتَدِرُوا وَلَا تَنْتَلُوا وَلَا تُغْتَلُوا وَلَا تُقَاتِلُوا أَهْلًا صَغِيرًا ، وَلَا شَبِيحًا كَبِيرًا ، وَلَا امْرَأَةً ،
 وَلَا تَمِيرُوا نَخْلًا وَلَا تُعْرِقُوهُ ، وَلَا تَقْعَلُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً ، وَلَا تَذَبْحُوا شَاةً وَلَا تَمِيرُوا
 وَلَا يَمْرًا إِلَّا لِمَا كَلَّمَهُ ، وَسَوْفَ نَعْتَمِدُكُمْ بِأَفْوَامٍ فَدَفَرُوا أَعْيُنَهُمْ لِلْعُسَادَةِ فِي الصَّوَامِعِ ،
 فَدَعَوْهُمْ فَمَا فَرَعُوا أَعْيُنَهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ نَقْدِمُونَ عَلَى أَفْوَامٍ بِأَتُوبُكُمْ بِصِحَافٍ فِيهَا أَلْوَانُ
 الطُّلَامِ ، فَلَا تَأْكُلُوا مِنْ شَيْءٍ حَتَّى نَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَسَوْفَ نَلْفُزُونَ أَفْوَامًا
 فَدَحْصُوا^(١) أَوْسَاطَ رِمَسِهِمْ وَتَرَكُوا حَرْطًا مِثْلَ الْمَصَاتِ ، فَاخْذِثُوا^(٢) بِالْأَسْيُوفِ خَفَقًا
 أَفْخَامَ اللَّهِ بِالطُّلَمِ وَالطَّاعُونَ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ .

وَأَمَّا قَوْلُ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي حَيْثُ أُسَامَةُ ، أَمْرُهُ إِبَاءً بِالصَّلَاةِ .
 وَقَوْلُ الْمُرْتَضَى : هَذَا اعْتِرَافٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ بِتَنْعِيدِ الْحَبِشِ كَانَ فِي الْحَالِ دُونَ مَا بَعْدَ الْوَفَاةِ ،
 وَهَذَا بِمَقْصُودِ مَا بَيَّنَّ عَلَيْهِ قَاضِي النُّصَاةِ أَمْرَهُ ؟ فَلِنَاظِرٍ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ لَا يَنْقُصُ مَا بَنَاهُ ،
 لِأَنَّ قَاضِي النُّصَاةِ مَا قَالَ : إِنَّ الْأَمْرَ بِتَنْعِيدِ الْحَبِشِ مَا كَانَ إِلَّا بَعْدَ الْوَفَاةِ ، بَلْ قَالَ :
 إِنَّهُ أَمْرٌ ، وَالْأَمْرُ عَلَى التَّرَاحُلِ ، فَلَوْ بَعْدَ الْجَبْتِ فِي الْحَالِ لَخَازَ ، وَلَوْ نَاسَرَ إِلَى بَعْدِ
 الْوَفَاةِ لَخَازَ .

فَأَمَّا إِنْكَارُ الْمُرْتَضَى أَنْ تَكُونَ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ كَانَتْ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَدَعَا مَا عِنْدَنَا فِي هَذَا فَمَا نَقْدَمُ .
 وَأَمَّا قَوْلُهُ : بِمَجْزُؤٍ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ صَلَاةً وَاحِدَةً أَوْ صَلَاتَيْنِ ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْإِسْقَاةِ بَعْدَ

ذلك ، فهذا لَمَعَرَى حَازِرٌ . وقد يُمكن أن يقال : إنه لما خرج منجائلاً من شدء الرض فناخراً أبو بكر عن مُنْأَيهِ ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس ، أمره بالنفوذ مع الجليس ، وأسكت رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء ذلك اليوم ، واستمر أبو بكر على الصلوة بالناس ، إلى أن توفى عليه السلام ، فنداه في الحديث أنه أسكت ، وأن أسامة دخل عليه فلم يستطع كلامه لكنه كلن برفع يديه وبسْمُهُما^(١) عليه كالدأى له .
وَيُمْكِن أن يكون زمان هذه السكنة قد امتد يوماً أو يومين ، وهذا الموضع من التواضع الشبهة عندى .

ومنها قول قاضى القضاة : إن الأمر على التراخي ، فلا يلزم من تأخر أى بكر عن التمود أن يكون عامباً .

فأما قول الرقضى : الأمر على التمود لما لمع عند من قال به ، أو ترمها لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعية على التمود إلا ما خرج بالدليل ، فالظاهر في هذا الموضع صحة ما قاله الرقضى ، لأن فرائض الأحوال عسك من يقرأ العبر ويعرف السور يخ ندل على أن الرسول صلى الله عليه وآله كل بعثهم على الخروج والسير ، وهذا هو التمود .

وأما قول الرقضى وقول أسامة : لم أكن لأسأل عنك الركب ، فهو أوضح دليل على أنه عكل من الأمر التمود ، لأن سؤال الركب عنه بعد الوفاة لا معنى له . فلما قل أن يقول : إن ذلك لا يدل على التمود ، بل يدل على أنه مأمور في الجملة بالتمود والسير ، فإن التسجيل والتأخير^(٢) موصان إلى رآيه ، فلما قال له النبي صلى الله عليه وآله : لم تأخرت عن السير ؟ قال : لم أكن لأسير وأسأل عنك الركب ، إنى انتظرت عافيتك ، فإنى إذا مرت وأنت على هذه الحال لم يسكن لى قلب ليجهاد ، بل أكون فلما شدد الجزع ، أسأل

(١) في د د ومطامها . (٢) في د د والتأجيل .

عنك الرُّكبان ، وهذا الكلام لا يدلُّ على أنه قتل من الأمر القَوْرَ لا محالة ، بل هو على أن يدلُّ على التراخي أظهر ، وفول النبي صلى الله عليه وآله : « لِمَ تَأَخَّرْتَ عَنِ الْمَسِيرِ ؟ » لا يدلُّ على القَوْر ؛ لأنه قد يقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشيء على جهة التراخي إذا لم يكن سؤال إنكار .

وفول المرتضى : لأن سؤال الرُّكْب عنه بمسء الوفاة لا معنى له ، فول من غد نَوْم على فاضى القضاء أنه يقول : إن النبي صلى الله عليه وآله ما أمرهم بالنفوذ إلا بعد وفاته ، ولم يقل فاضى القضاء ذلك ، وإنما ادعى أن الأمر على التراخي لا غير ، وكيف يُظنُّ بقاضى القضاء أنه حمل كلام أسامة على سؤال الرُّكْب بعد الموت ! وهل كان أسامة يعلم المعب فيقول ذلك ! وهل سأل أحدٌ عن حال أحد من المرتضى بعد موته !

فأما قول المرتضى عقيب هذا الكلام : لا معنى لقول قاضى القضاء إنه لم ينكر على أسامة تأخُّره ، فإن الإنكار قد وقع بتأخير الأمر عِلا بعد حاله ، فلناقل أن يقول : إن قاضى القضاء لم يجعل عدم الإنكار على أسامة حجة على كون الأمر على التراخي ، وإنما حمل ذلك دليلا على أن الأمر كان مشروطا بالمصلحة ، ومن تأمل كلام قاضى القضاء الذى حكاه عنه المرتضى نَحَق ذلك ، فلا يجوز للمرتضى أن يبرِّعه من الوضع الذى أورد فيه ، فبجعله فى موضع آخر .

ومنها قول قاضى القضاء : الأمرُ بتقليد الجيش يجب أن يكون متوخفا إلى الخليفة بعده ، والمحاظ لا يدخل تحت الخطاب ، واعراض المرتضى عليه بأن لفظة « الجيش » يدخل تحنها « أبو بكر » فلا بد من وجوب النفوذ عليه ، لأن عدم نفوذه بسلب الجماعة اسم « الجيش » ؛ فليس بمحمود ، لأن لفظة « الجيش » لفظة موضوعية لجماعة من الناس قد أعدت للحرب ، فإذا خرج منها واحد أو اثنان لم يزل مسمى الجيش عن الباقين ، والمرتضى

اعتقد أن ذلك يمثل الماهيات المركبة ، نحو الشجرة إذا عُدم منها واحد زال مسمى الشجرة ، وليس الأمر كذلك ، يبين ذلك أنه لو قل بعضُ الملوك لثلاثة إنسان : أنتم جبشى ، ثم قال لواحد منهم : إذا مت فاعطِ كل واحدٍ من جبشى درهماً من خزانتي ، فقد جعلتك أميراً عليهم لم يكن له أن يأخذ نفسه درهماً ، ويقول : أنا من جملة الجماعة الذين أُطلق عليهم لفظة الجبشى .

ومنها قول قاضى الفضاء : هذه النصبية تدل على أنه لم يكن هناك إمامٌ منصوبٌ عليه ؟ وأما قول المرتضى : فقد بينا أن الخطأ إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده ، فلم نجد في كلامه في هذا المصل بطوله ما يبين فيه ذلك ، ولا أعلم على ماذا أحال ! ولو كان قد بين - على ما زعم - أن الخطأ متوجه إلى الحاضرين ، لكان الإشكال قائماً ، لأنه يقال له : إذا كل الإمام المنصوص عليه حاضراً عنده فلم توجه الخطأ إلى الحاضرين ! ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول الملك للرعية : انصروا بين هذين الشخصين والقاضى حاضرٌ عنده ، إلا إذا كان قد تحركه عن القضاء في تلك الواقعة عن الرعية !

وأما قول المرتضى : هذا يتقلب عليكم ، فليس يتقلب ! وإنما يتقلب لو كان يريد تنفيذ الجبشى بعد موته فقط ، ولا يريد وهو حي ، فكان يحى ما قاله المرتضى لينفذ القائم بالأمر بعدى جبشى أسامة ، فأما إذا كان يريد معوذ الجبشى من حين ما أمر بتفويده فقد سقطت التآب ، لأن الخليفة حيث لم يكن قد تمضى ، لأن الاحتياط ما وقع بعد ، وعلى مذهب المرتضى الإمام متبعٌ حاضرٌ عنده نصت عليه ، فافترق الوصفان .

ومنها قول قاضى الفضاء : إن محالة أمره صلى الله عليه وآله في التفويض مع الجبشى أو في إتخاذ الجبشى لا يكون مسميةً ، وبين ذلك من وجوه :

أحدها : أن أمر عليه السلام بذلك لابد أن يكون مشروطاً بالصلحة ، وألا يمرض ما هو أهم من عود الجيش ، لأنه لا يجوز أن يهرم بالعبود وإن أعقب ضرراً في الدين ، فأمّا قول الرضى : الأمر المطلق يدل على ثبوت الصلحة ، ولا يجوز أن يجعل الأمر المطلق ، فضولاً جديداً إذا اعترض به على الوجه الذي أوردته ، فأمّا إذا أوردته أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى ، وذلك أنه يجوز تخصيص عمومات النصوص بالنسب الجلي عند كثير من أصحابنا ، على ما هو مذکور في أصول الفقه ، فلم لا يجوز لأبي بكر أن يخص عموم قوله : « أفعدوا بث أسامة » لصلحة علبت على ملته في عدم عود نفسه ، ولقد علبت على نفسه ^(١) في عود نفسه مع المثل !

وثابها : أنه عليه السلام كان يبعث القراء إلى من اجتهد لا عن وحي يحرم مخالفته . فأمّا قول الرضى : إن للدين نفعاً فورياً بأعمال ذلك ^(٢) ، وإنها ليست من الأمور الدنيوية المحضة نحو أكله وشربه ونومه ، فإنه يعود على الإسلام بفنوحه عز وفوقه وعلوه كلفه فبالله : وإذا أكل اللحم وفوى مضاجعه بذلك ونام يوماً طبعياً بول عنه به الرضى والإعلاء ، اقتضى ذلك أبصاً عز الإسلام وفوقه ، فقل إن ذلك أبصاً عن وحي .

ثم إن الذي يقتضيه فنوحه وعزواته وحروب من العير وعلو الكلمة لا ينافي كون تلك الفزوات والحروب باجتهاد ، لأنه لا منافاة بين اجتهاد وبين عز الدين وعلو كلمته بحروبه ، وأن الذي ينافي اجتهاده بالزأى هو مثل مرائض الصلوات ومناذير الرسوات ومناسك الحج ، ونحو ذلك من الأحكام التي تُشعر بأنها مُتلفاة من محض الوحي ، وليس للرأى والاجتهاد فيها مدخل ، وقد خرج بهذا الكلام المولب عن قوله :

(١) قد علبه . . . (٢) ١ : هذا . . .

لو جاز أن تكون السرايا والحروب عن اجتهاد ، لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاد . وأيضاً فإن الصحابة كانوا يراحمونه في الحروب وآرائه التي يدبرها بها ويرجع عليه السلام إليهم في كثير منها بعد أن قد رأى غيره . وأما الأحكام فلم يكن يرجع فيها أصلاً ، فكيف يُحمل أحد السابغين على الآخر .

فأما قوله : لو كانت عن اجتهاد لوجب أن يحرم مخالفته فيها وهو حي* ، لا فرق بين الحالين ؛ فلما ثبت أن يقول : الفياس يقتضي ما ذكرت ، إلا أنه وضع الإجماع على أنه لو كان في الأحكام أو في الحروب والجهاد ما هو بأجتهاده لما جازت مخالفته ، والمسدود عن مدحه وهو حي* لم يختل أحد من المسلمين في ذلك ، وأجازوا مخالفته بعد وفائه بتقدير أن أن يكون ما صار إليه عن اجتهاد ؛ والإجماع حجة .

وأما قول قاضي القضاة : لأن اجتهاده وهو حي* أولى من اجتهاد غيره ، فلس بكاد يطهر ، لأن اجتهاده ، وهو ميت أولى أيضاً من اجتهاد غيره ، وبعبارة على طننى أنهم فرقوا بين حائى الحياة واللوت ، قال في مخالفته وهو حي نوعاً من أذى له ، وأداء محرّم لنوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَادُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (١) ، والأذى بعد اللوت لا يكون ، فأفترق الحالان .

ومثالها : أنه لو كان الإمام مسموماً عليه تجاز أن يسرد حبس أسامة أو يصفه لنصرته ؛ فكذلك إذا كان بالاختيار ، وهذا قد منع منه الرضى ، وقال : إنه لا يجوز للمصوص عليه ذلك ، ولا أن يؤتى من عزله رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا أن يعزل من ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله .

ورأيها : أنه عليه السلام ترك حرب معاوية في بعض الحالات ، ولم يوجب ذلك أن يكون عامياً ، فكذلك أبو بكر في ترك التفوذ في جيش أسامة .

فأما قول المرتضى : إن علياً عليه السلام كان مأموراً بحرب معاوية مع الفسكن ووجود الأنصار ، فإذا عذراً لم يكن مأموراً بحربه ؛ ولذا قلنا أن يقول : « أبو بكر كان مأموراً بالتفوذ في جيش أسامة مع الفسكن ووجود الأنصار ، وقد عذراً الفسكن لما استخلف ، فإنه قد تحمل أعباء الإمامة ، وتعدر عليه الخروج عن المدينة ، التي هي دار الإمامة ، فلم يكن مأموراً والحال هذه بالتفوذ في جيش أسامة .

فإن قلت : الإشكال عليكم إنما هو من قبل الاستخلاف ، كيف جاز لأبي بكر أن يتأخر عن السير ؟ وكيف حله أن يرجع إلى المدينة وهو مأمور بالسير ؟ وهل عذر نوجه ولم يرجع ، وإن سلمه موت رسول الله صلى الله عليه وآله !

قلت : لعل أسامة أدركه ، فهو مأمور بطاعته ، ولأنه رأى أسامة وقد عاد بالثوار ، فعاد هو لأنه لم يكن يمكنه أن يسير إلى الرؤم وحده ، وأيضاً فإن أصحابنا قالوا : إن ولاية أسامة بطلت بموت النبي صلى الله عليه وآله ، وعاد الأمر إلى من نصب للأمر ، قالوا : لأن تصرف أسامة إنما كان من جهة النبي صلى الله عليه وآله ، ثم زال تصرف النبي صلى الله عليه وآله بموته ، فوجب أن يزول تصرف أسامة ، لأن تصرفه تبع لتصرف الرسول صلى الله عليه وآله . قالوا : وذلك كالكيل نطّل وكأنه بموت الوكيل ، قالوا : وبإدراك الوصي لأن ولايته لا تثبت إلا بعد موت الوصي ، فهو كسيف الإمام إلى غيره لا يثبت إلا بعد موت الإمام ، ثم فرغ أصحابنا على هذا الأسفل مسألة وهي : الحاكم هل ينزل بموت الإمام أم لا ؟ قال قوم من أصحابنا : لا ينزل وبثبوت على أن التولي من غير جهة الإمام بحوز ، فجعلوا الحاكم نائباً عن السلفين أجمعين ، لا عن الإمام ،

وإن وصف تصرفه على أخياره ، وصار ذلك عندهم بمنزلة أن يختار المسلمون واحدا يحكمهم بينهم ، ثم يموت من رضى بذلك ، فإن تصرفه يفتى على ما كان عليه ، وقال قوم من أصحابنا : بمنزلة ، وإن هذا النوع من التصرف لا يستناد إلا من جهة الإمام ، ولا يقوم به غيره ، وإذا ثبت أن أسامة قد تطلت ولايته لم ينبئ نعمة^(١) على أبي بكر في الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة .

وخبرها : أن أمير المؤمنين عليه السلام وثقأ موسى الحكم ، ووثق رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد السرية إلى الغنصاء^(٢) ، وهذا الكلام إنما ذكره قاضي الغنصاء ثمة لقوله : إن أمرأه عابيه السلام بتفوذ بيت أسامة كان مشروطا بالصلحة ؛ قال : كما أن توليته عليه السلام أبو موسى كانت مشروطة بأتباع القرآن ، وكما أن توليه رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد كانت مشروطة بأن يعمل بما أوصاه ، فقالوا ولم يعملوا الحق ، فإذا كانت هذه الأمور مشروطة فكذلك أمر حش أسامة بالتفوذ كل مشروطا بالصلحة وألا يمرض ما يفضي رجوع الجيش أو بعضه إلى المدينة ، وقد سبق القول في كون الأمر مشروطا .

وصادها : أن أبا بكر كان محتاجا إلى مغاير عمر عنده لمبايعة^(٣) وبقوم في عهد أمر الإمامة ما لا يقوم به غيره ، فكان ذلك أصلح في باب الدين من مسيره^(٤) مع الجيش ، فجاز أن يحبسه عنده لذلك ؛ وهذا الوجه محتمل بمن قال : إن أبا بكر لم يكن في الجيش ، وإيضاح عنده في حبس عمر عن التفوذ^(٥) مع الجيش .

(١) : ١ « نى » . (٢) المبعاء : موضع أوفى به خالد بن الوليد بنى جذيمة .

(٣) بعدا ل : ١ « وباراه » . (٤) : ١ « سبه » .

(٥) : ١ « التفوذ » .

فأما قول المرتضى فإن ذلك غير جاز ، لأن مخالفة النص حرام ، فقد قلنا : إن هذا مبنى على مسألة تخصيص العمومات الواردة في القرآن بالنهاس .

وأما قوله : أى حاجة كانت لأبى بكر إلى عمر بعد وفور البيعة ، ولم يكن هناك تنازع ولا اختلاف ! فعجيب ، وهل كان لولا منام عمر وحضوره في تلك المناسبات يتم لأبى بكر أمره أو ينظم له حال ! ولولا عمر لما بايع على ولا الزبير ، ولا أكثر الأنصار ، والأمر في هذا أظهر من كل ظاهر .

وسأبها : أن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة بحسب تأخرهم لاختيار الإمامة أحدهم ، وإن ذلك أهم من عودهم ، فإذا جاز لمسه العلة التأخر قبل المنع جاز التأخر بعده للمساعدة وغيرها .



فأما قول المرتضى : إن ذلك الجيش لم يضم من يصلح للإمامة ، فبناء على مدعبه في أن كل من ليس بمصوم لا يصلح للإمامة . فأما قوله : ولو صح ذلك لم يكن عذراً في التأخر ، لأن من خرج الجيش يمكن أن يختار ولو كان مبدا ، ولا يمكن إبداء من صحة الاختيار ، فلنائل أن يقول : دار الهجرة هي التي فيها أهل الحل والعقد ، وأقرب رسول الله صلى الله عليه وآله والقرابة وأصحاب السيف ، فلا يجوز العدول عن الأحناف والمشاورة فيها إلى الاختيار على السوء ، وعلى جناح السوء من غير مشاركة من ذكرنا من أعيان السوء .

فأما قوله : ولو صح هذا المنع لكان عدوا في التأخر قبل العقد ، فأما بعد إراعه فلا عذر فيه ؛ فلنائل أن يقول : إذا أحرث التأخر قبل العقد لنوع من المصلحة فأجز التأخر بعد العقد لنوع آخر من المصلحة ، وهو المساعدة والمساعدة .

هذه الوجوه السبعة كلها لبيان ضلوه : تأخر أبي بكر أو عمر عن التلوث في جبين أسامة ، وإن كان مأمورا بالتلوث .

• • •

ثم تعود إلى تمام أقسام الفصل .

ومنها ^(١) قول قاضي القضاة : لا معنى لقول من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد إبادهم عن المدينة ، لأن إبادهم عنها لا يمتنع من أن يختاروا واحداً منهم للإمامة ، ولأنه عليه السلام لم يكن قاطعاً على موته لا محالة ، لأنه لم يرد : سدوا جبين أسامة في حياته .

وفد أعرض الرافضی هذا فقال : إنه لم يمتنع معنى الظن ، لأن الطالبين لا يقول : إنهم أهدوا عن المدينة كي لا يختاروا واحداً للإمامة ، بل يقول : إننا أهدوا لينتصب بعد موته صلى الله عليه وآله في المدينة الشخص الذي نحن عليه ، ولا يكون حاضراً بالمدينة من مخالفه وبشارعه ، وليس بضرراً ألا يكون صلى الله عليه وآله قاطعاً على موته ، لأنه وإن لم يكن قاطعاً فهو لا محالة يشفق ويحاف من الموت ، وعلى الخائف أن يتحرز مما يخاف منه ؛ وكلام الرافضی في هذا الموضع أظهر من كلام قاضي القضاة .

ومنها قول قاضي القضاة : إن ولاية أسامة عليهما لا تنفي كونهما دونة في الفصل ، كما أن عمرو بن العاص لما ولى عليهما لم ينقض كونه أفضل منهما . وفد أعرض الرافضی هذا بأنه ^(٢) يبيح تقديم الفضول على العاضل فيها هو أفضل منه ، وأن تقديم عمرو بن العاص عليهما في الإمرة ينفي أن يكون أفضل منهما فيها يرجع إلى الإمرة والسياسة ، ولا ينفي أفضليته عليهما في غير ذلك ، وكذلك القول في أسامة .

(١) اطرح ١٨٢ . (٢) د : • • • • •

ولفائل أن يقول : إن السلوك قد يؤثرون الأمراء على الجيوش لوحين : أحدهما أن يقيّد الملك بتأشير ذلك الشخص أن يسوس الجيش ويديره بفصل رأيه وشيخوخته وقديم خبريته وما عرف من عبقريته في الحرب وغشوه المساكر ، والثاني أن يؤمّر على الجيش خلافاً حدّثاً من غلغله أو من ولده أو من أهله ، وبأمر الأكاكر من الجيش أن يتفقوه ويعلموه ، وبأمره أن يتدبّر بتدبيرهم ، ويرجع إلى رأيهم ؛ ويكون قصد الملك من ذلك تخرج ذلك الغلام وتجرّبه على الإمارة ، وأن يثبت له في عوس الناس منزلة ، وأن يشرّعه لجلائل^(١) الأمور وماظم الشئون ، في الوجه الأول يقبّح نفدبهم المفضول على الفاضل ؛ وفي الوجه الثاني لا يمتّح ، فلم لا يجوز أن يكون تأمير أسامة عليهما من قبل الوجه الثاني ؟ والحال يشهد لذلك ، لأن أسامة كان علامة لم يبلغ ثمان عشرة سنة حين ريس النبي صلى الله عليه وآله ، فمن أين حصل له من تجربة الحرب وممارسة الواقع وقود الجيش ما يكون به أعرف بالإمارة من أن يسكر وعمر وابن عبيد وسعد بن أبي وقاص وغيرهم !

ومنها قول قاضي القضاة : إن السب في كون عمر في الجيش أنه أسكر على عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة نسجه له أمره أسامة ، وقال : أنا أخرج في جيش أسامة ؛ فخرج من تلقاء يديه تطعماً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقد أعرّضه الرضائي فقال : هذا شيء ؛ لم نسمعه من راي ، ولا فراماه في كتاب ؛ وصدّق الرضائي فيما قال ، فإن هذا حديث غريب لا يعرف .

وأما قول عمر : دغى أضرب عنقه فقد ناقى ؛ فنقول مشهور لاجل حاله ، وإنما العرب الذي لم يعرف كون عمر خرج من تلقاء يديه في الجيش مراعاة لعبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة ، حيث أسكر ما أسكر ؛ ولعل قاضي القضاة سمعه من راي أو نقله من كتاب ، إلا أننا نحن ما وقفنا على ذلك .

الطعن الخامس

قلنا : إنه صلى الله عليه وآله لم يؤلّ أبابكر الأعمال وقضى عبره ، ولما ولّاه الحجّ بالناس وفرامة سورة برامة على الناس ، عزّله عن ذلك كلّه . وجعل الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : « لا يؤذى عني إلا أنا أو رجل مني » ، حتى يرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله .

أجاب قاضي القضاة فقال : لو سلمنا أنّه لم يؤلّه ، لمّا دلّ ذلك على نقص ، ولا على أنّه لم يصلح للإمامة ، بل لو قيل : إنه لم يؤلّه لحاحته إليه محضره ، وإنّ ذلك رفعة له لكان أقرب ، لا سبّا ، وقد روي عنه ما يدلّ على أنّهما وزيراه ، وإنّه كان صلى الله عليه وآله عنابا إليهما وإلى رابعهما ، فذلك لم يؤلّهما ، ولو كان للعمل على تركه فضيل لكان عمرو بن العاص وحده بن الوليد وعمرهما أفضل من أكابر الصحابة ؛ لأنّه عليه السلام ولّاهما وقدمهما ، وقد قدمنا أنّ عمر كُتِبَته على محمد بن الصّلاح ، وقد يؤلّ المصنوع على القاضل نارة والفاضل أخرى ، وربما وُلّي الواحد لاستثنائه عنه بمحضه ، وربما ولّاه لأتصاله بينه وبين من يؤلّ عليه ، إلى غير ذلك . ثمّ ادّعى أنّه وُلّي أبابكر على الموسم والحجّ فد ثبت بلا خلاف بين أهل الأخبار ولم يصحّ أنّه عزّله ، ولا يدلّ رجوع أبي بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله مستوعبا عن القصة على العزل ؛ ثمّ جعل إسكار من أسكر حجّ أبي بكر في تلك السنة بالناس ؛ كإسكار عباد وطبقتهم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام سورة برامة من أبي بكر . وحكى عن أبي عليّ أنّ النبي كان في أخذ السورة من أبي بكر أنّ من عادة العرب أنّ سبدا من سادات قبائلهم إذا عند عند الغنم ، فإنّ ذلك المقد لا يتحلّ إلا أن يحوّله هو أو بعض سادات قومه ، فلما كان هذا عادتهم وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يلبّذ^(١) إليهم عندهم ، وبنص ما كان بينه وبينهم ، عليم

أنه لا ينحلّ ذلك إلّا به أو بسيد من سادات رَفْطه، فَنَدَلَ عن أبي بكر إلى أمير المؤمنين
الغَرَب في النَّسَب . ثم ادّعى أنّه صلّى الله عليه وآله ولّي أبا بكر في مَرَضَةِ السَّلَاةِ ، وذلك
أشرفُ الولايات ، وقال في ذلك : بَأَيِّ الله ورسوله والسُّلُوكِ إلّا أبا بكر .

ثمّ أعرض نفسه بصلاته عليه السلام حلّت عبد الرحمن بن عوف : وأجاب بأنّه
صلّى الله عليه وآله إنّما صلّى خلفه ، لا أنّه ولّاه الصلاة وقدمه فيها . قال : وإنّما قدم
عبد الرحمن عند غيبة النبي صلّى الله عليه وآله فصلّى بغير أمره ، وقد ضاع الوقت ،
فجاء النبي صلّى الله عليه وآله فصلّى خلفه (١) .

اعترض الرضوي فقال : قد بينّا أنّ تركه صلّى الله عليه وآله الولاية لبعض أصحابه
مع حضوره وإمكان ولايته والدول عنه إلى غيره ، مع تطاول الزمان واستدراجه ، لا بدّ من
أن تنقض غلبة الظنّ بأنّه لا يصلح للولاية ، فأما ادّعاؤه أنّه لم يؤلّه لأختاره إليه بمصرته
وحاجته إلى تدبيره ورأيه ، فمُتَدَبِّرٌ لِنَفْسِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ يَغْنِيهِ إِلَى رَأْيِ أَحَدٍ لِكَمَالِهِ
ورُجْحَانِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ، وإنّما كان يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْلِيمِ لَهُمُ وَالنَّادِيَةِ ، أو لنهر
ذلك ممّا قد ذُكِرَ . وبمُدّ ، فكيف أَسْمَرَتْ هذه الحاجة ، وأصلّت منه إليهما حتّى
لم يستغنى في زمانٍ من الأزمان عن حضورهما موثقيهما ! وهل هذا إلّا فُدُوحٌ فِي رَأْيِ
رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ونسبه إلى أنّه كان ممن يحتاج إلى أن يلقن ويؤفّف
على كلّ شيء ، وقد نُزِّهَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ! فأما ادّعاؤه أنّ الرواية قد وردت بأنّهما
وَزَبَرَاهُ فمَدَّ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَصَحَّحَ ذَلِكَ فَبَلَّ أَنْ يَعْتَمِدَهُ وَبِحُجَّتِهِ بِهِ ؟ فَإِنَّا نَدْفَعُهُ عَنْهُ أَشَدَّ
دَفْعٍ . فأما ولاية عمرو بن العاص وحلّ بن الوليد فمَدَّ نَسَكَمْنَا عَلَيْهِمَا مِنْ قَبْلُ ، وَبَيَّنَّا أَنَّ
وَلَايَتَهُمَا نَدُلُّ عَلَى صِلَاةٍ لِيَا وَلِيَّاهُ ، وَلَا نَدُلُّ عَلَى صِلَاةٍ لِلْإِمَامَةِ ، لِأَنَّ شَرَايِطَ
الْإِمَامَةِ لَمْ تَتَكَمَّلْ فِيهِمَا ، وَبَيَّنَّا أَيْضًا أَنَّ وَلَايَةَ الْقُصُولِ عَلَى الْعَاضِلِ لَا تَجُوزُ ، فَأَمَّا تَعْلِيلُهُ

وأكباره قول من يذهب إلى أن أبا بكر عُرِلَ عن أداء السُورة والموسم جميعاً ، وجمعه بين ذلك في البعد وبين إنكار عباد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام أدتَجَعَ سورة براءة من أبي بكر ؛ فأقول ما فيه أنا لا نُسَكر أن يكون أكثرُ الأخبار الواردة بأن أبا بكر حجَّ بالناس في تلك السنة ؛ إلا أنه قد رَوَى قومٌ من أصحابنا خلافَ ذلك ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أميرَ الموسم في تلك السنة ، وأن عزَّالَ الرجل كان عن الأمرين معاً . واستكبار ذلك . وفيه خلافٌ لا مَمْسَ له ، فأما ما حكاه عن قتاد فإنه لا نعرفه ، وما نقلناه أحداً يذهب إلى موطنه ، وليس بمحكيه بإزاه ذلك جَعَدَ مذهب أصحابنا الذي حكيناه ، وليس عناد لو صحَّت الرواية عنه بإزاه من ذكرناه ، فهو على « بالمعالمات ودَفْعَ الضرورات . وبعد ، فلو سلَّمنا أن ولايةَ الموسم لم تُفَسَّحْ لكان السلامُ باباً ، لأنه إذا كان ماولى مع نطاوُل الرِّمان إلا هذه الولاية ، ثم شُلبَ شَطْرُها ، والأعظمُ الأعظم منها ، فليس ذلك إلا تنبيهاً على ما ذكرناه .



فأما ما حكاه عن أبي علي من أن عادة العرب ألا يحلَّ ما عَقَدَ الرئيسُ منهم إلا هو أو النذم من رَعَلَه ؛ فَمَسَادُ الله أن يُخْرِجَ النبي صلى الله عليه وآله سُنَّتَهُ وأحكامه على عادات الجاهلية ، وقد بين عليه السلام لما رَحَعَ إليه أبو بكر بسأله عن أخذ السُورة منه الحال ، فقال : إنه أُوْحِيََ إليَّ ألا يؤذَى عني إلا أنا أو رجلٌ مني ، ولم يذكر ما أَدْعَاهُ أبو علي ؛ على أن هذه العادة قد كان يَعرِفُها النبي صلى الله عليه وآله قبلَ إِمَّتِهِ أبا بكر بسورة براءة ، فأبأله لم يَسْتَعِذْها في الابتداء ويبيت من يجوز أن يحلَّ عقداء من قومه !

فأما ادِّعَاؤه ولاية أبي بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما قدَّمنا أنه لم يُؤَلَّهْ إِيَّاهَا . فأما فَصْلُهُ بين صلته خلف عبد الرحمن وبين صلاة أبي بكر بالناس ، فليس بشيء ، لأننا إذا كنَّا قد دَلَلْنَا على أن الرسول صلى الله عليه وآله ما قدَّم أبا بكر إلى الصلاة ، فقد

أَسْتَوْى الْأَمْرَانِ . وَبَعْدَ : فَأَيَّ قَرَفٍ بَيْنَ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُوَلِّبَهُ وَبَقْدَمَهُ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ صَلَاتَهُ خَلْفَهُ إِفْرَارٌ لَوْلَا بَنُو دِرْسَا بَهَا ، فَقَدْ عَادَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَتْهُ قَدْ سَأَلَنِي بِأَمْرِهِ وَإِذْنِهِ ! عَلَى أَنَّ فَتْنَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْكَدُ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَعْرَفَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى خَلْفَهُ ، وَلَمْ يُصَلِّ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّهُ قَدَّمَهُ وَأَمَرَهُ بِالْعَلَاةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَعَامُهُ .

ثُمَّ سَأَلَ الرُّنْقِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : فَقَالَ : إِنْ قِيلَ : لَيْسَ بِخَلْوِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ سَلَّمَ فِي الْإِبْتِدَاءِ سُورَةَ بَرَاءَةٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَوْ بِأَجْتِهَادِهِ وَرَأْيِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَرْتَجِعَ مَعَ السُّورَةِ قَبْلَ وَفْرِ الْأَدَاءِ ، وَعَدَّكُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَسْحُ النَّبِيِّ قَبْلَ تَغْفِي وَفْتِ رَفِيعِهِ ! وَإِنْ كَانَ بِأَجْتِهَادِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَعِنْدَكُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ فِيهَا يَحْرِي هَذَا الْحَرْفِ !

وَأَحَاكَ فَقَالَ : إِنَّهُ مَا سَلَّمَ السُّورَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ تَعَالَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْهُ بِإِدَائِهَا ، وَلَا كَانَتْ فَرَأَتْهَا عَلَى أَهْلِ الْوُسْمِ ، لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يُمَكِّمْ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ لَفْظِ الْأَمْرِ وَالنَّكْلِ ، فَكَانَتْ سَلَّمَ سُورَةَ بَرَاءَةٍ إِلَيْهِ لِنُفْرَائِهِ عَلَى أَهْلِ الْوُسْمِ ، وَلَمْ يُبَصِّرْ بِذِكْرِ الْفَارِي الْمُلْعَ لَهَا فِي الْحَالِ ؟ وَلَوْ يُقَالُ عَنْهُ نَصْرِيحٌ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مُشْرُوطًا بِشَرْطٍ لَمْ يَطْلُرْ .

فَإِنْ قِيلَ : فَأَيَّ فَتْنَةٍ فِي دَفْعِ السُّورَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَهِيَ لَا يَرِيدُ أَنْ يُوَدِّعَهَا ، ثُمَّ ارْتَجَاعَهَا مَعَهُ ؟ وَهَلَا دَفَعَتْ فِي الْإِبْتِدَاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ !

قِيلَ : الْفَائِدَةُ فِي ذَلِكَ ظُهُورُ فَصْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَرْبِيتِهِ ، وَأَنَّ الرَّحَلَ الَّذِي نَزَعَتْ السُّورَةَ عَنْهُ لَا يَصْلُحُ لِيَأْ يَصْلُحَ لَهُ ، وَهَذَا تَحْرِيضٌ قَوِيٌّ فِي وَقُوعِ الْأَمْرِ عَلَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ ^(١) .

قلت : قد ذكرنا فيما تقدم القول في تولية الملك بعض أصحابه ، وترك تولية بعضهم ، وكيفية الحال في ذلك ؟ على أنه قد روى أصحاب النازي أنه أمر أبو بكر في شعبان من سنة سبع على سرية بعثها إلى نجد فلفوا جمعا من هوازن ببنوهم^(١) ؟ فرؤي ياس بن سلمة عن أبيه ؟ قال : كنت في ذلك البعث ، ففتفت يدي سمعة منهم ، وكان شعارنا : « أَمِيتْ أَمِيتْ » ، وقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يوم ، وجرح أبو بكر ولدت^(٢) وعاد إلى المدينة ؟ على أن أمراء السرايا الذين كل يعثهم صلى الله عليه وآله كانوا يوما مشهورين بالشجاعة ولقاء الحروب ، كحمد بن سلمة ، وأبي دجاجة ، وزيد بن حارثة ونحوهم ، ولم يكن أبو بكر مشهورا بالشجاعة ولقاء الحروب ، ولم يكن حيا ولا خوارا^(٣) وإنما كان رجلا يجمع القلب عاقلا ، دارأى وحسن تدبير ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يترك يده في السرايا ، لأن غيره أنفع منه فيها ، ولا يدل ذلك على أنه لا يصلح للإمامة ، وأن الإمامة لا تحتاج أن يكون صاحبها من المشهورين بالشجاعة ، وإنما يحتاج إلى ثبات القلب ، وألا يكون قليلا طائفة^(٤) الخلفاء ، وكيف يقول الرضي : إنه صلى الله عليه وآله لم يكن محتاحا إلى رأى أحد ، وقد نزل الناس كلهم رجوعه من رأى إلى رأى عند الشورى ، نحو ما جرى يوم بدر من تدبر العزل لما أشار عليه الحباب بن المذخر ، ونحو ما جرى يوم الخندق من فسح رأيه في دفع ثلث تمر المدينة إلى عبيدة بن جحش ليرجع بالأحزاب عنهم ، لأهل ما رآه سعد بن معاذ وسعد بن عباد من الحرب ، والعدول عن الصلح ، ونحو ما جرى في تفتيح النخل بالمدينة وغير ذلك ! فأما ولاية أبي بكر الموسم فأكثر الأخبار على ذلك ، ولم يرو عرلة عن الموسم إلا يوم من الشيمة .

(١) بنوهم ؛ أي ذروا أمرهم .

(٢) اوتت ؛ على الباء المجهول ؛ حل من الحركة رتيقا ؛ أي حرهما وبه رفق .

(٣) الخوار ؛ الضعيف . (٤) الخلف : الخزع .

وأما ما أنكره الرنضي من حال عبّاد بن سلّمان ودفعه أن يكون على أخذ براءة من أبي بكر واستغرابه ذلك عجب ، فإن قول عبّاد قد ذهب إليه كثير من الناس ، ورووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدفع براءة إلى أبي بكر ، وأنه بعد أن قد أبو بكر بالحجيج أنبئه عليا ومعه نسع آيات من براءة ، وقد أمره أن يقرأها على الناس ويؤذّنهم بنفوس الهدى وفضل الدينية ، فانصرف أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأعاده على الحجيج ، وقال له : أنت الأمير ، وعلى البلّغ ، فإنه لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني ، ولم ينكر عبّاد أمر براءة بالسكّنية ، وإنما أنكر أن يكون النبي صلى الله عليه وآله دعها إلى أبي بكر ثم انترها منه ، وطاعة عظيمة من المحدثين يروون ما ذكرناه ، وإن كان الأكثر الأنظر أنه دعها إليه ثم أئتمه بملّ عليه السلام فانزعها منه ؛ والمقصود أن الرنضي قد تعجب مما لا يتعجب من مثله ، فإني أن عبّادا أنكر حديث براءة بالسكّنية ، وقد وفقت أنا على ما ذكره عبّاد في هذه القصّة في كتابه المروى بكتاب " الأبواب " ، وهو الكتاب الذي نفّسه شيخنا أبو عاصم ، فأما عن شيخنا أبي علي ، وقوله : إن عادة العرب ذلك ، واعتراض الرنضي عليه ، فإني قد قلت الرنضي أصح وأظهر ، وما نسب إلى عادة العرب غير معروف ، وإنما هو تأويل فأول به متعصبي أبي بكر لا انتراع براءة منه ، وليس بشيء . ولست أقول ما قاله الرنضي من أن غرض رسول الله صلى الله عليه وآله إظهار أن أبا بكر لا يصلح للأداء عنه ، بل أقول : فمّل ذلك لمصلحة رآها ، ولعل السبب في ذلك أن عليا عليه السلام من بني عبد مناف وهم حمرة قريش بمكة ، وعلى أيضا شجاع لا يُقام له^(١) ، وقد حصل في صدور قريش منه الهيبة الشديدة والخافة العظيمة ، فإذا حصل مثل هذا الشجاع البطل وحوله من بني عمه وهم أهل العزة والقوة والحجة ،

(١) ب : « لا يبال » غريب .

كان أدعى إلى نجاة من غربش ، وسلامة نفسه وبخبر الغرض من نَبَذَ العهد على يده ؛
 ألا زى أن رسول الله صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية بمث عثمان بن عفان إلى مكة
 يطلب منهم الإخف له في الدحول ، وإثنا بمث لآله من بني عبد مناف ، ولم يكن
 بنو عبد مناف - وخصوصاً بنو عبد شمس - لميكنوا من قتله ، ولذلك حمل بنو سعيد
 ابن العاص على نصر يوم دَحَل مكة وأحذفوا به مُسْتَلْبِينَ^(١) بالسلاح ، وقالوا له : أهل
 وأذير ، ولا نخفُ أحداً ، منو سعيد أعرز الحرم . وأما القول في نولية رسول الله صلى الله
 عليه وآله أبا بكر الصلاة ، فقد تقدم ، وما دامه فاضى الفضاة من الرُفِ بين صلاة أبي بكر
 بالناس وصلاة عبد الرحمن بهم ، مع كون رسول الله صلى الله عليه وآله صلى حمله صمب^(٢) ،
 وكلام للترضى أقوى منه . فاما السؤال الذى سألته للرصى من نفسه فتوى ، والجواب
 الصحيح أن بمث برامة مع أبي بكر كان ما حثوا من الرسول صلى الله عليه وآله ، ولم يكن
 عن وَحْي ولا من حملة الشرائع التى تُفْتَى عن حُرَّائِيل عليه السلام ، فم يمشى نَسْج ذلك
 قبل نَفْصى وقت فله ، وجواب الترتضى ليس بـ يَفْتَى^(٣) لأنه من العبد أن يُسَلَّمَ سورة
 برامة إلى أبي بكر ولا يقال له : ماذا نصنع بها ؟ بل يقال : حدِّ هذه معك لا غير .
 والقول بأن الكلام مشروطاً بشرط لم يظهر خلاف الظاهر ، وفتح هذا الباب بفسيد كثيراً
 من النواعد .

الطعن السادس

إن أبا بكر لم يكن يعرف الفقه وأحكام الشريعة ، فقد قال في السكّالة^(٤) : أقول

(١) المستلم : لاس اللامة .

(٢) السكّالة : من لا ولده ولا والله ، وما لم يكن من السب لى .

فبها برأى ، فلئن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فنى^(١) ، ولم يبرف مبررات الجدل ، ومن حاله هذه لا يصلح للإمامة .

أجاب فاضى التفتازانى بأن الإمام لا يجب أن يعلم جميع الأحكام ، وأن الفذر الذى يحتاج إليه هو الفذر الذى يحتاج إليه الحاكم ، وأن القول بالرأى هو الواجب فيها لا نص فيه ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بالرأى فى مسائل كثيرة .

اعترض المرتضى فقال : قد دللنا على أن الإمام لا بد أن يكون عالماً بجميع الشرعيات ، وفرغنا بينه وبين الحاكم ، ودللنا على فساد الرأى والاجتهاد . وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يفل فطر بالرأى ، وما يروى من حريص أمتهات الأولاد غير صحيح ، ولو صح لجاز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص والأدلة ، ولا شبهة عندنا أن قوله كان واحداً فى الحالين^(٢) ، وإن ظهر فى أحدهما خلاف مذهبه للنسبة^(٣) .



قلت : هذا الطعن مبنى على أمرين : أحدهما هل من شرط الإمامة أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعية أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الكلامية ؛ والثانى هو القول بالاجتهاد والرأى حق أم لا ؟ وهذا مذكور فى كتبنا الأصولية .

الطعن السابع

فصحة حاد بن الوليد وفننه مالك بن نويرة ومصاحمته امرأته من نيلته ، وإن أبا بكر

(١) الناق : فى ومن الشيطان ، ونحو قوله وقد سئل عن قوله : (وَقَارَكُمَ وَأَبَا) ، فلم يعرف معناه ، والأب : للرعى فى اللغة ، لا يذهب على أحده أنه أدنى أس بالعربية ، ونحو مرات الحديث وأنه لم يعرف المسك فيه ، وطائر ذلك كثيرة معروفة . (٢) ب : « القولين » . (٣) الطر الثانى ٤٢٢ .

فرك إمامة الحدّ عليه ، وزعم أنّه سيفٌ من سيوف الله سلّه الله على أعدائه ، مع أنّ الله تعالى قد أوجب العود وحدّ الزّنا عموماً ، وأنّ عمرَ نبيه وقال له : اقتله ، فإنه قتل مسلماً .

أجلب غاصي الغضاء فقال : إنّ شيخنا أبا علي قال : إنّ الرّدة ظهرت من مالك بن نويرة ، لأنّه جاء في الأخبار أنّه ردّ صدقات فورمه عليهم لمّا بلغه موت رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعله سائرُ أهل الرّدة فاستحقّ القتل . وإن قال قائل : فقد كان يصلّي ، قبل له : وكذلك سائرُ أهل الرّدة ، وإنما كفّروا بالامتناع من الزّكاة ، واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره . فإن قيل : فلم أسكرُ عمر ؟ قيل : كان الأمرُ إلى أبي بكر ، فلا وجه لإنكار عمر ، وقد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يحكي عليّ عمر . فإن قيل : فما معنى ما روى عن أبي بكر من أنّ خلفاً تناول فأخطأ ، قيل : أراد بحجته عليه بالقتل ، وقد كان الواجب عنده على خالد أن يتوقف للشبهة . واستدلّ أبو عليّ على ردّه بأن أخاه منهم ابنُ مبرة لما اتفد عمر مرّتيه أخاه قال له : ودِدْتُ أنّي أقولُ الشعر فأردني أخى زبداً بمثل ما رثيت به أهلك ! فقال منعم : لو قُتل أخى على مثل ما قُتل عليه أخوك ما رثيتُ ، فقال عمر : ما عزاني أحدٌ بمثل نمرِيتك ، فدلّ هذا على أنّ مالكا لم يُقتل على الإسلام كما قيل زيد .

وأجلب عن تزويج خالدٍ بامرأته بأنّه إذا قُتل على الرّدة في دار الكفر جزّ تزويج أمرائه عند كثير من أهل العلم ، وإن كان لا يجوز أن يطأها إلا بعد الاستبراء .

وحكى عن أبي عليّ أنّه إنّما قتله لأنّه ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : «صاحبك» ، وأوهم بذلك أنّه ليس بصاحبه ، وكان عنده أنّ ذلك ردّة وعلم عند الشافعية

الْقَصْد، وهو أَمْرُ الْقَوْمِ، فَجَازَ أَنْ يَفْتُلَهُ وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى الْأَبْسَمَجِلَ، وَإِنْ يَكْنِفُ الْأَمْرَ فِي رَدِّهِ حَتَّى يَنْصَحَ، فَلِهَذَا لَمْ يَفْتُلَهُ أَبُو بَكْرٍ بِهِ. فَأَتَا وَطَّوَّهُ لِأَمْرَاتِهِ فَلَمْ يَنْبِتْ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ طَعْنًا فِيهِ ^(١).

اعْتَرَضَ الْمَرْفُضِيُّ فَقَالَ: أَمَانَعُ خَلْفِي فُتْلَ مَالِكِ بْنِ نُورَةَ وَأَسْتَبَاحُ أَمْرَاتِهِ وَأُمُورِهِ لِنَسَبِهِ إِيَّاهُ إِلَى رَدَّةٍ لَمْ تَنْظَرْ مِنْهُ، بَلْ كَانَ الظَّاهِرُ خِلَافَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ، فَمُطْمَئِنِّ. وَبِحَرَى جَرَاءِ فِي الْعِظَمِ تَنَاوُلُ مَنْ تَنَاوَلَ عَنْ أَمْرِهِ، وَلَمْ يُقَمْ فِيهِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَفْرَأَ عَلَى انْطِلَاقِ الَّذِي شَهِدَ هُوَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَبِحَرَى عَمْرَاهَا مَنْ أَمَكَّتَهُ أَنْ يَسْلَمَ الْحَالُ فَأَهْمَلَهَا وَلَمْ يَنْصَفِجْ مَا رَوَى مِنَ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا الْبَابِ وَنَعَسَبَ لِأَسْلَافِهِ وَمَدْمِهِ. وَكَيْفَ يَحُوزُ عِنْدَ خُصُومِنَا عَلَى مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ جَعْدُ الرِّكَازَةِ مَعَ الْقَامِ عَلَى الْعِلَاءِ، وَهِيَ جَيْمَسَا فِي فَرَقٍ ^(٢)! لِأَنَّ الْعِلْمَ الْاضْرُورِيَّ بِأَنْبِيَاءِ مَنْ دِينُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرِيعَتُهُ عَلَى حَدِّ وَاحِدٍ، وَهِيَ نَسَبُهُ مَالِكٍ إِلَى الرَّدَّةِ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ بِالْفَتْحِ فِي الْأُمُورِ وَتَقْنِيْنِهَا لِنَسَبَتِهِ مِنْ أَنَّ الرِّكَازَةَ مَعْلُومَةٌ ضَرُورَةٌ مِنْ دِينِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَجَبْتُ مِنْ كُلِّ عَجِيبٍ قَوْلُهُ: وَكَذَلِكَ سَاطِرُ أَهْلِ الرَّدَّةِ، يَمْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا بِمُتَوَلِّينَ وَبِجَعْدُونَ الرِّكَازَةَ، لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عِبْرًا مُمْكِنًا! وَكَيْفَ يَصِحُّ ذَلِكَ، وَقَدْ رَوَى جَمِيعُ أَهْلِ النُّقْلِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا وَصَّى الْحَبَشِيْنَ الَّذِينَ أَنْذَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُوْذَنُوا وَيُجْعَلُونَ، فَإِنَّ أَذْنَ الْقَوْمِ كَأَدَانِهِمْ وَبِأَمْنِهِمْ كَغَفَا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَبْعَثُوا أَعَارُوا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ أَمَارَةَ الْإِسْلَامِ وَالْبِرَاءَةِ مِنَ الرَّدَّةِ الْأُذُنَ وَالْإِقَامَةَ! وَكَيْفَ يُطْلَقُ فِي سَاطِرِ أَهْلِ الرَّدَّةِ مَا أُطْلِقَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا بِمُتَوَلِّينَ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرَهُمَا مَنْ كَانَ أَدْعَى النَّبُوَّةَ وَخَلَعَ الشَّرِيعَةَ مَا كَانُوا بِرَوِّثِ الْعِلَاءِ وَلَا شَيْءَ مِمَّا حَامَتْ بِهِ شَرِيعَتُنَا. وَفَضْلُ مَالِكٍ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ مَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَ السَّبْرِ وَالْفُتْلِ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى سَدَقَاتٍ قَرِيبَةٍ مِنْ

(١) تَهْلِيهِ النَّاسِ فِي الرَّأْيِ ١٢٢، ١٢٣.

(٢) الْقَرْنُ: الْجَبَلُ؛ وَالسَّلَامُ عَلَى الْإِسْتِغَارَةِ.

يَرْبُوعَ وَالْبَا مِنْ فَيْلٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَمَّا بَلَغَتْهُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَسْكَ عَنْ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنْ قَوْمِهِ وَقَالَ لَهُمْ : تَرْتَصَّوْا بِهَا حَتَّى يَنْوِمَ فَأْتُمْ بِمَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَنْظُرُوا مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهِ ، وَفَدَّ مَرَّحَ بِذَلِكَ فِي شَعْرِهِ حَيْثُ يَنْوَلُ :

وَقَالَ رَجُلٌ سَدَّدَ الْيَوْمَ مَالِكُ
فَقُلْتُ : دَعَوْنِي لَا أَنَا لِأَبِكُمْ
وَقُلْتُ : خُذُوا أَمْوَالَكُمْ عِزًّا خَاتِبَ
فَدُوسِكُمْ هَا إِنَّمَا هِيَ مَالِكُكُمْ
سَأَجْعَلُ نَفْسِي دُونَ مَا تَحْتَضِرُونَ
فَإِنْ هَلَمْ بِالْأَمْرِ الْمَجْدُورُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : الدُّبُّ دُبٌّ مَحْدُورٌ

فَصَرَحَ كَمَا نَرَى أَنَّهُ اسْتَبَقَ الصَّدَقَةَ فِي أَيْدِي قَوْمِهِ رِفْقًا بِهِمْ وَنَهْرًا إِلَيْهِمْ ، إِلَى أَنْ يَنْوِمَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَدْعُو ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَفَدَّ رَوَى حَاضِرٌ مِنْ أَهْلِ السَّجَرِ ، وَذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ : أَنَّ مَالِكًَا نَهَى قَوْمَهُ عَنِ الْإِحْتِمَاعِ عَلَى مَتَاعِ الصَّدَقَاتِ وَقَرَّبَهُمْ ، وَقَالَ : يَا مَنِ يَرْبُوعَ ، إِنَّا كُنَّا فِدَا عَصِيَّتِنَا أَمْرًا ، مَا إِذْ دَعَمُوا إِلَى هَذَا الدِّينِ ، وَبِضَائِنَا النَّاسَ عَنْهُ ، فَلَمْ نَعْلَمْ وَلَمْ نَنْجَحْ ، وَإِنِّي فِدَا طَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَوَحَّدْتُ الْأَمْرَ بَيْنَئِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ غَيْرِ سِيَاسَةٍ ، وَإِذَا أَمَرَ لَا يَسُوِّسُهُ النَّاسُ ؛ فَإِنَّا كُنَّا وَمُعَادَاةُ قَوْمٍ يُصْنَعُ لَهُمْ فَتَرَفُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَرَجَعَ مَالِكُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ حَالَهُ الْبَطَاحَ بَثَّ السَّرَابَ وَأَمَرَهُمْ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَأْتَوْا بِكُلِّ مَنْ لَمْ يُجِبْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ أَمْتَنَعَ أَنْ يَفَاتِلُوهُ ، خَافَهُ فَهُوَ الْخَبْلُ بِنَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ فِي قَعْرِ مَنْ يَسِي يَرْبُوعَ ؛ وَاحْتَكَفَ السَّرْبَةُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَفِي السَّرْبَةِ أَبُو قَسَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ ، فَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ أَنَّهُمْ أَذْنُوا وَأَقَامُوا وَصَلُّوا ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِمْ

أمرهم حاله فحسبوا وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء ، فأمر خالدٌ منادياً بِنَادِي : « أَدْرِثُوا أَسْرَاءَكُمْ » (١) ، فَطَنُوا أَهْلَهُمْ أَمْرُوا بِقَتْلِهِمْ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْفَلْظَةَ تُسَمِّعُ فِي لَفْظِ رِكَابَةٍ لِقَتْلِهِ ، فَفَعَلَ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوََرِ مَا لَكَ ، وَزَوْجُ خَالِدٍ زَوْجَتَهُ أُمُّ نَيْمِ بْنِ الْمُهَالِ (٢) .

وَوَيْ خَيْرٌ آخَرُ أَنَّ السَّرِيَّةَ الَّتِي بَشَتْ بِهَا خَالِدٌ لَمَّا غَشِيَتْ الْقَوْمَ نَحْتَهُ اللَّيْلَ وَأَهْلَهُمْ ، فَأَخَذَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ ! قَالَ : هَلْنَا : إِنَّا السُّلُومُ ، صَالُوا : وَنَحْنُ السُّلُومُ ، فَلْنَا : فَا بَالُ السِّلَاحِ مَعَكُمْ ! فَلْنَا : فَصَعُوا السِّلَاحَ ! فَلَمَّا رَاصَعُوا السِّلَاحَ رَاطَعُوا أَسْرَى فَأَتَوْا بِهِمْ خَالِدًا . فَقَدْتُ أَبُو فَنَادَةَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنَّ الْقَوْمَ نَادَوْا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَنَّ لَهُمْ أَمَانًا ، فَمِنْ بَلَدَتِ خَالِدٌ إِلَى فَوْلِهِمْ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ ، وَفَسَمَ سَبَبَهُمْ ، وَحَلَفَ أَبُو فَنَادَةَ أَلَّا يَسِيرَ نَحْتُ لَوْاءِ خَالِدٍ حَتَّى أَبْدَأَ ، وَرَكَ فَرَسَهُ شَاذًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَهَيْتُ خَالِدًا عَنْ قَتْلِهِ ، لَمْ يَسْتَلِ قَوْلِي ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ عَرَفْتُمُ الْفِتْنَانِمْ ، وَإِنَّ عَمْرًا لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ نَسَكَامٌ فِيهِ عِنْدَ أَبِي مَكْرٍ فَأَكْثَرَ وَقَالَ : إِنَّهُ الْفِتْنَانِمْ قَدْ وَجَّهَ عَلَيْهِ . وَلَمَّا أَقْبَلَ خَالِدُ ابْنَ الْوَلِيدِ فَافْلَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ لَهُ عَلَيْهِ سَدَأُ الْحَدِيدِ ، مُتَّعِجًا (٣) مُهَابَةً لَهُ قَدْ عَزَزَ فِي عَمَلَتِهِ أَسْبَهًا ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَامَ إِلَيْهِ عَمْرٌ فَفَرَّعَ الْأَمْسَمَ عَنْ رَأْسِهِ فَطَعَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَاعِدُوْ نَفْسِي ، أَعَدَوْتُ عَلَى أَمْرِي مُسْلِمٌ فَفَنَنَنِي ، ثُمَّ زَوَّوْنَ عَلَى أَمْرَانِي ! وَلَقَطَرُ لَنَرَحْمَتِكَ مَا حَبَارَكَ . وَخَالِدٌ لَا يَكْلُمُهُ ، وَلَا يَطْنُ إِلَّا أَنْ رَأَى أَبِي بَكْرٍ مِثْلُ رَأْيِهِ حَتَّى دَخَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَعْنَدَ إِلَيْهِ بِمُذَرَّةٍ وَمَخَاوِرَ عَنهُ ، فَفَرَجَ خَالِدٌ وَعَمْرٌ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ فَضَالَ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بَنَ أُمَّ ثَمَلَةَ ! فَفَرَفَ عَمْرٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ رَغِبَ عَنْهُ فَمِنْ بَكْلُمُهُ ، وَدَخَلَ بَيْنَهُ (٤) .

وَقَدْ رَوَى أَيْضًا أَنَّ عَمْرًا لَمَّا وَلَّى سَمِعَ مِنْ عَشِيرَةِ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ مَنْ وَحَدَ مِنْهُمْ

(١) م : « ادعوا » ، صوابه في د والطارى . (٢) الطارى : « أسراؤكم » .

(٣) تاريخ الطارى ٣ : ٢٧٨ (العارف) ، مع تصرف واختصار .

(٤) اعتبر المهابة : لابسها . (٥) تاريخ الطارى ٣ : ٢٧٩ . ٢٨٠ .

وأُسترجع ما وَجَدَ عند السُّلَفين من أمواليهم وأولادهم وسائرهم ، فردَّ ذلك عليهم جميعاً مع نصيبه كل منهم . وفيل : إنه ارنجع بعض نسائهم من نواحي دمشق ، وبعضهن حوامل ، فردهن على أزواجهن . فالأمر طاهرٌ في خطأ خالد ، وخطأ من تجاوزَ عنه . وقول صاحب الكتاب : إنه يجوز أن يخفى عن عمر ما يظهر لأبي بكر ليس بشيء ؛ لأنَّ الأمر في فِئَةِ خالد لم يكن مشتبهاً ، بل كان مُشاهداً معلوماً لكل من حضره ؛ وما نأول به في القتل لا يُعذر لأجله ، وما رأينا أبى بكر حَكَمَ فيه بِحَكَمِ النَّائِل ولا غيره ، ولا نلافى خطأه وزلَّه ، وكونه سبباً من سببِ الله على ما أذاع لا يفسد عنه الأحكام ، وبرئته من الآثام . وأما قول منتم : لو قُتِلَ أَحَدٌ عَلَى مَا قُتِلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَمْ يَرْتَبْهُ ، لا يدلُّ على أنه كان مرئداً ، فكيف بطلنَّ عاقل أن منتم يعرف برِّه : أحبه وهو يطلب أبى بكر بدميه والاقتصاص من قاتله ، وردَّ سبه ، وأنه لو لد في الحيلة التفرَّب إلى عمر بترويض أخيه ! ثمَّ لو كل طاهر هذا القول كما طهره لكان بإمكانه تصحيح فِئَتِهِ زَيْدٌ عَلَى فِئَةِ مَالِك ، والحال في ذلك أظهر ، لأنَّ زَيْدًا قُتِلَ عَلَى يَدَيْهِ السُّلَيف دَائِمًا عَنْ وَجْهِهِمْ ، ومالك قُتِلَ عَلَى شُبْهِهِ ، وبين الأمرين فرقٌ .

وأما قوله في النبي صلى الله عليه وآله : « صاحبك » فند قال أهل العلم : إنَّه أراد الفرشيَّة لأنَّ خالدًا فرشيٌّ . وبعد ، فليس وطاهر إصافته إليه دلالة على تقيته له عن عسه ، ولو كان علم من مَنَعِدِهِ الاستخفاف والإيمانة على ما أذاعه صاحبُ الكتاب لَوَجِبَ أَنْ يَسْتَوْدَّ خَالِدًا بِذَلِكَ عند أبي بكر وعمرَ ويَسْتَدِرُّ به أبو بكر لما طالبه عمرُ بِقَتْلِهِ ، فإنَّ عمرَ ما كان يَمْنَعُ من قتل قاصِدٍ و بَيِّنَةِ النبي صلى الله عليه وآله ، وإنَّ كان الأمر على ذلك فأبى معنى لنول أبي بكر : نأولُ فأخطأ ! وإِنَّمَا نأولُ فأصاب إن كان الأمر على ما ذكر^(١) .

قلت : أما تعجب المرتضى من كون قوم منعوا الزكاة وأقاموا على الصلاة ودعوا أن هذا غير ممكن ولا صحيح ، والمجب منه كيف يتسکر وفزع ذلك ، وكيف يتسکر إمكانه ! أما الإمكان فلأنه لا ملازمة بين العبادتين إلا من كونهما مفترقتين في بعض المواضع في القرآن ، وذلك لا يوجب ملازمتهما في الوجود ، أو من قوله : إن الناس يعلمون كون الزكاة واجبة في دين الإسلام سرورة ، كما تعلمون كون الصلاة في دين الإسلام سرورة ، وهذا لا يمنع اعتقادهم سقوط وجوب الزكاة لشبهة دخلت عليهم . فإيهم قالوا : إن الله تعالى قال رسوله : ﴿ حُذِرْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ سَدَقَةٌ نَظَرَ هُمْ وَنَزَّ كَيْبِهِمْ بِهَا وَكَسَلٌ عَنْهُمْ ﴾ ^(١) قالوا : فوسم الصدقة المروضة بأنها صدقة من شأنها أن يظهر رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢) الناس ويذكرهم بأخذها منهم ، ثم عقب ذلك بأن فرض عليه مع أخذ الزكاة منهم أن يعلى عليهم صلاة تكون سكا لهم . قالوا : وهذه العنقات لا تتحقق في غيره ؛ لأن غيره لا يظهر الناس ويذكرهم بأخذ الصدقة ، ولا إذا صلى على الناس كانت صلاته سكا لهم ، فلم يجب علينا دفع الزكاة إلى غيره . وهذه الشبهة لا تنافي كون الزكاة معلوما وجوبها سرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله ، لأنهم ما جحدوا وجوبها ، ولكنهم قالوا : إنه وجوب مشروط ؛ وليس يُعلم بالسرورة انتفاء كونها مشروطة ، وإنما يُعلم ذلك بغير وأويل ، فقد بان أن ما ادّعاء من السرورة ليس بدال على أنه لا يمكن أحد اعتقاد بي وجوب الزكاة بدم موت الرسول ، ولو عرّضت مثل هذه الشبهة في صلاة لصح لتأهب أن يذهب إلى أنها قد سقطت عن الناس ؛ فأما الوقوع فهو للمعلوم سرورة بالتواتر ، كالعلم بأن أبا بكر ولي الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله سرورة بطريق التواتر ، ومن أراد الوفوف على ذلك فليستر في كتب التواريخ

فإنها نشتمل من ذلك على ما ينسب وبكى . وقال أبو جعفر محمد بن حرير الطبري في التاريخ الكبير بإسناد ذكره : إن أبا بكر أقيم بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتوجيه أسامة في جيشه إلى حيث قيل أبو زيد بن حارثة لم يحدث شيئاً ، وجاءه وفود العرب مرانين يُقرّون بالصلاة ويعتصمون الصدقة ، فلم ينيل منهم وردّهم ، وأقام حتى قدم أسامة بعد أربعين يوماً من شُخوصه ، ويقال : بعد سبعين يوماً^(١) .

وروى أبو جعفر قال : استعت العرب قاطبة من أداء الزكاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا فريشا وثقيفا^(٢) .

وروى أبو جعفر ، عن السري^(٣) عن شعيب ، عن سيف ، عن هنام بن مروة ، عن أبيه ، قال : ارتدت العرب ومثت الزكاة إلا فريشا وثقيفا ، فأما هوازن فقدمت رجلاً وأحرث أخرى ، أمسكوا الصدقة^(٤) .

وروى أبو جعفر ، قال : لما مثمت العرب الزكاة كان أبو بكر ينتظر قدوم أسامة بالجيش ، فلم يحارب أحداً قبل قدومه إلا عتسا وذُبَيْلَين ، فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامة^(٥) .

وروى أبو جعفر ، قال : قدمت وفود من قبائل العرب المدينة ، فزّلوا على وجوه الناس بها ، ويعملونهم إلى أبي بكر أن يقيموا الصلاة وألا يؤنوا الزكاة ، فمرّم الله لأبي بكر على الحق ، وقال : لو سمعوني عفاً لمبر لجاهدتهم عليه^(٦) .

وروى أبو جعفر شيراً للخطيب^(٧) بن أنس ، أخى الحنابلة في معنى منع الزكاة ، وأن

(١) تاريخ الطبري ٣ : ١٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٣) ب : د السدي ؛ صوابه أ ، د وتاريخ الطبري .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ . (٥) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٣ .

(٦) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٤ . والحال : الخليل الذي كان يظل به البحر الذي كان يؤخذ الصدقة

(٧) في الأصول : د الخطيب ؛ صوابه من تاريخ الطبري .

أبا بكر ردَّ سؤال العرب ولم يُجِبْهم من مُجْلِيته :

أَطْعَمَ رَسُولُ اللَّهِ إِذْ كَانَ يَبْسَا فَبِأَمِيَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ (١)
أَبُورِثُهَا بِكَرٍّ إِذَا مَاتَ بِمَدَّةٍ وَتَكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهِيرِ
فَهَلَّا رَدَّدْتُمْ وَفَدْنَا يَا حَابِزَ وَهَلَّا حَبِيقْتُمْ مِنْهُ دَلِيَّةَ الْبَكْرِ
فَإِنَّ الَّذِي سَمَّاوَكُمُ فَعَسَمْتُ لَكَائِمَرُ أَوْ أَحَلَّ لِحَلْفِ بَنِي فَيْهَرٍ (٢)

وروى أبو جعفر قال : لما قَدِمَتِ الْعَرَبُ الْمَدِينَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمُوهُ فِي إِسْفَاطِ الزَّكَاةِ ، تَرَلَّوْا عَلَى وَجْهِ النَّاسِ بِالْمَدِينَةِ فَلَمْ يَنْقُ أَحَدٌ إِلَّا وَأُتِرَ عَلَيْهِ نَاسًا مِنْهُمْ ، إِلَّا الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ السَّعُونُ ، غَوَفَوْهُ بِأَسِ الْقَرَبِ وَاجْتَنَعَا . قَالَ رِضْرَارُ بْنُ الْأَزْدِ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا — لَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ — أَمَلًا يَمُوتُ شَعْوَاءَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَجَعَلْنَا (٣) نَحْنُوه (٤) وَزَوَّعَهُ ، وَكَانَ تِلْكَ أَعْيُنُهُ بِمَالِهِ لَا مَاعَالِيهِ ، وَاجْتَمَعَتْ كُلُّ الْعَالَمِينَ عَلَى إِحَابَةِ الْعَرَبِ إِلَى مَا طَلَبَتْ ، وَأَبِي أَبُو بَكْرٍ لَنْ يَفْعَلَ إِلَّا مَا كَانَ يَفْعَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَأْخُذَ إِلَّا مَا كَانَ يَأْخُذُ ، ثُمَّ اجْتَلَهُمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً ، ثُمَّ أَمْرَهُمُ بِالْانْقِرَافِ ، وَطَارُوا إِلَى عَشَائِرِهِمْ (٥) .

وروى أبو جعفر ، قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مُونَةَ ، مَاتَ وَهُوَ بَعْدُ ، فَأَقْبَلَ فَأَقْبَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَجَدَ الْعَرَبَ قَدْ صَنَعَتْ الزَّكَاةَ ، فَتَرَلَّى فِي بَنِي عَامِرٍ عَلَى قُرَّةِ بْنِ هَبيرة ، وَفَرَّغَتْ بِغَدَمٍ رَحْلًا وَيُوحَرُ أُخْرَى ، وَعَلَى ذَلِكَ بَنُو عَامِرٍ كُلُّهُمْ إِلَّا الْحَوَاسِ . ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَطَافَتْ بِهِ فَرَبِيسُ ، فَأَحْبَرَهُمْ أَنَّ الْعَسَاكِرَ مُعْسِكِرَةٌ حَوْطُهُمْ ، فَتَفَرَّقَ السَّعُونُ ، وَتَحَافَفُوا خَلْفًا ، وَأَقْبَلَ عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ ، فَرَّ بِتَحَفُّفَةٍ

(١) أورد صاحب الأمانات الأول والثاني (٢ : ١٥٧ — طبعة دار الكتب) وسهبا إلى الخطئة.

(٢) الطبري ٣ : ٢٤٦ ، وجه : « أو أحل إلى من الخمر » .

(٣) ب : « جعلنا » ، وصوابه من النسخ ، « . » (٤) الطبري : « تحمزه » .

(٥) تاريخ الطبري ٣ : ٢٥٨ .

وهم يتحدثون فيها سَمِوا من عمرو ، وفي تلك الحنفية على وعنانٍ وطلحةُ والزبير وعبد الرحمن ابنُ عوفٍ وسعد ، فلما دنا عمرو منهم سَكَنُوا ، فقال : في أي شيء أقم ؟ فلم يُجِبُوا ؛ فقال : ما أعلمني بالذي خلَّوْتُم عليه ! فمصب طليحةُ وقال : الله بان الخلقاب ! إنك تعلم النيب ! فقال : لا أعلم النيب إلا الله ، ولكن أنظرَ فلم : ما أخوفنا على فربس من العرب وأخلفهم ألا يقرُّوا بهذا الأمر . قالوا : صدفت ، فقال : فلا تخافوا هذه المنزلة ، أما والله منكم على العرب أخوفُ مني عليكم من العرب ^(١) .

قال أبو جعفر : وحسبني السري ، قال : حدثنا شعب ، عن سبب ، عن همام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزل عمرو بن العاص بمُصَرَّفه من عَمَّالٍ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بئرٌ ، بن هبيرة بن سلمة بن يسير ، وخولته عساكرٌ من أقباضهم ، فذبح له ، وأكرم منزلته ، فلما أراد الرحلة خلاه وقال : هذا ؛ إن العرب لا تليج لكم أصا بالإنابة ، فإن أنتم اعقبتموها من أخذ أموالكم كسبكم وتطيع ، وإن أبيتم فأيها نجمع عليكم ؛ فقال عمرو : أنوعدنا بالعرب ونخوفنا بها ! مرعدنا جفئنا أمك ، أما والله لأوطئته عليك الخيل ، وقدم على أبي بكر والسليمان فأخبرهم ^(٢) .

وروى أبو جعفر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرَّق عمَّالَه في بني نعيم على قبض الصدقات فجعل الزبيران من بدر على عوف والزياب ، وفبس بن عاصم على مُفَافيس والبطون ، وسَعْوَان بن سَعْوَان وسَبْرَةُ بن عمرو على بني عمرو ، ومالك بن نويرة على بني حنظلة ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّب صليوان إلى أبي بكر حين وقَّع إليه الخبرُ بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بني عمر ، وبما ولي منها وما ولي سَبْرَةُ ، وأقام سَبْرَةُ في قومه لحديث إن ناب ، وأطرق فبس بن عاصم بَطَارُما الزبيران صانع ؟ فكان له عدوا وأقال وهو ينتظر . وينتظر ما يصنع : وبلى عليه ! ما أدري ما أصنع إن أنا

بِأَيْتٍ أبا بكر وأَبْنَتْهُ بِصَدَقَاتٍ فَوَى خَلْقِي فِيهِمْ فِئَاءِي عِنْدِي ، وَإِنْ رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ فَلْيَأْنِئْ
أَبَا بَكْرٍ فَبَسُوهُ فِي عِنْدِي ، ثُمَّ عَزَمَ بَيْسٌ عَلَى فِئَاسِهَا فِي مُفَاعِيْسٍ وَالْبَطْلُونِ ، فَعَمِلَ وَعَزَمَ الزُّبُرْقَانِ
عَلَى الْوَفَاءِ ، فَأَنْبَعِ سَفَوَانٍ بِصَدَقَاتٍ عَوَفٍ وَالزُّبَابِ حَتَّى قَدِمَ بِهَا الدَّبْنَةَ وَقَالَ شَمْرًا بُمُرَّضٍ
فِيهِ نَفِيسٌ بِنِ عَامِرٍ ، وَمِنْ جَمَلِيَّتِهِ :

وَقَبْتُ بِأَذْوَالِ الرَّسُولِ وَفَدِ أَيْتُ سُمَاعَةَ هَلَمْ يَرُدُّدُ بِعَسْبَرٍ أَمِيرُهَا
فَلَمَّا أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى قَبْرِ الْعَلَاءِ بْنِ الْخَضِرِيِّ أَخْرَجَ الْعَدْفَةَ ، فَأَتَاهُ بِهَا وَقَدِمَ مَعَهُ
إِلَى الدَّبْنَةِ (١) .

وَفِي تَارِيخِ أَبِي جَمْرٍ الطُّغْرَيْيِّ مِنْ هَذَا السَّكْبَرِ الْوَاسِعِ ، وَكَذَلِكَ فِي تَارِيخِ غُبَرَةٍ مِنْ
التَّوَلُوجِ ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِأَضْطِرَارٍ لَا يَحْجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُبْجَالِفَ فِيهِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : كَيْفَ بَصَحَ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ : إِذَا أَدْنُوا وَأَقَامُوا كَأَدْنَائِكُمْ وَإِقَامَتِكُمْ ،
هَكُمُوا عَنْهُمْ ، فَجَعَلَ آيَادَ الْإِسْلَامِ وَالْإِزَامَةَ مِنَ الرَّدَّةِ الْأَدْنَاءِ وَالْإِقَامَةِ ، فَإِنَّهُ قَدْ أَسْقَطَ
بَعْضَ الْخَبَرِ ؛ قَالَ أَبُو حَفْصٍ الطُّغْرَيْيُّ فِي كِتَابِهِ : كَانَتْ وَصِيَّتُهُ لَهُمْ : إِذَا زَلْتُمْ فَأَدْنُوا وَأَقَامُوا ،
فَإِنْ أَدْنَى الْقَوْمُ وَأَقَامُوا فَهَكُمُوا عَنْهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَهَكُمُوا فَلَا شَيْءَ ، إِلَّا التَّوَادُّ ، ثُمَّ أَفْتَلَحُوا كُلُّ فِتْلَةٍ ؛
أَلْخَرْتُ قِيَامًا سَوَاءً ، وَإِنْ أَحْبَبُوا دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ فَاسْأَلُوهُمْ ، فَإِنْ أَمَرُوا بِالزَّكَاةِ فَأَقْبِلُوا مِنْهُمْ ،
وَإِنْ أَبَوْا فَلَا شَيْءَ إِلَّا التَّوَادُّ ، وَلَا كَلِمَةَ (٢) .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : وَكَيْفَ بُلُغَتْ غَايَةُ الْفَضَاءِ فِي سَائِرِ أَهْلِ الرَّدَّةِ مَا أُطْلِقَهُ مِنْ أَيْتِهِمْ كَانُوا
بِسُلُوكِهِ وَمِنْ مَحَلَّتِهِمْ أَحِبَابُ مُسَيِّلَةٍ وَطَلْحَةُ ؛ فَإِنَّمَا أَرَادَ غَايَةَ الْفَضَاءِ بِأَهْلِ الرَّدَّةِ هَاهُنَا
مَا رِئِيَ الزُّكَاةَ لَا غَيْرَ ، وَلَمْ يَرُدَّ مِنْ جَعْدِ الْإِسْلَامِ بِالْكَفَايَةِ .

فَأَمَّا قِصَّةُ مَا لَكِي بِنِ نُوْبَرَةَ وَهَاتِلِرِ بِنِ الزُّوَيْدِ فَإِنَّهَا مُشْبِهَةٌ عِنْدِي ، وَلَا غَرْوَ فَتَد
أَشْتَبَهْتُ عَلَى الْمُتَحَابَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ حَضَرَهَا مِنَ الْعَرَبِ أَخْلَفُوا فِي حُلِّ الْقَوْمِ : هَلْ كَانَ

عليهم شعار الإسلام أولا ؟ وأختلف أبو بكر وعمر في خالد مع شدة أتعافهما ، فأما الشعر الذي رواه المرتضى للملك بن نوبة فهو معروف إلا البتة الأخير ، فإنه غير معروف ، وعليه حجة المرتضى في هذا المقام ، وما ذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما في التاريخ إلا مؤبضات يسيرة :

منها قوله : إن مالكا نعى فومه عن الأجناع على منع الصدقات ، فإن ذلك غير منقول وإنما المنقول أنه نعى فومه عن الأجناع في موضع واحد ، وأمرهم أن يتفرقوا في ميابهم ؛ ذكر ذلك الطبري ولم يذكر نهجه إياهم عن الأجناع على منع الصدقة ، وقال الطبري : إن مالكا زود في أمره : هل يحول الصدقات أم لا ؟ فجاء خالد وهو متعبر سبيح .



ومنها أن الطبري ذكر أن بضار بن الأزد قتل مالكا عن غير أمر الله ، وأن خالدا لما سمع الواقعة خرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرا أصابه ؛ قال الطبري : وغضب أبو قتادة لذلك ، وقال خالد : هذا عملك ! وفارقه وأتى أبا بكر فأخبره ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه فيه عمر ، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة^(١) .

ومنها أن الطبري روى أن خالدا لما زوجه أم نعيم بنت النخبال امرأة مالك لم يدخل بها وتركها حتى نفى طهرها ، ولم يذكر المرتضى ذلك .
ومنها أن الطبري روى أن منعًا لما قدم المدينة طلب إلى أبي بكر في سببهم ، فكتب له برد السبي ؛ والمرتضى ذكر أنه لم يرد إلا في خلافة عمر ،
فأما قول المرتضى : إن قول منعم : نو قتل أخى على مثل ما قتل عليه أخوك لما ركبته ،

لا يدلّ على رِدْئه ، فصحيح ، ولا ريبّ أنّه قد نفِطَ زُبْدُ بن الخطاب وأن يُرضى عمرُ أخاه بذلك . ونعمًا قال الرنضي ! إنّ بين النّسبتين فرقا ظاهرا ، وإليه أشارَ متمم لا محالة .

فأما قولُ مالك : صاحبك ، بمى النبي صلى الله عليه وآله ، فقد رَوَى هذه اللفظة الطبريُّ في التاريخ ، قال : كان خالدٌ يتنذّر عن قتله ، فيقول : إني قتال له وهو براجمه : ما إحالُ صاحبكم إلّا قال كذا وكذا ، فقال له خالد : أو ما نعدّه لك صاحباً^(١) ! وهذه لعمري كلمةٌ حارِفة ! وإن كان لها مخرجٌ في النّاويل ، إلّا أنّه مُستَكْرَه ، وقرائنُ الأحوال يَمُرُّها مَنْ شاهدها ومِمْها ، وإذا كان خالدٌ قد كنّ يمتنّز بذلك ، فقد أدبَ معَ قولُ الرنضي : هَلّا اعتنّزَ بذلك ! ولستُ أرتدّ حالداً عن الخطأ ، وأعلمُ أنّه كان جباراً قانِصاً لا بُرايفَ الدّين فيها بحمله عليه التّقطيع وهو يسيه ، ولقد وُفّع منه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله مع بني جذيمة بالتميّضِ أَطْعَمَ مِمّا وُفّع منه في حقِّ مالك بن نويرة ، وعمّا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لمّا أُعْطِيَ عَلَيْهِ مُدَّةٌ وأعرِضَ عنه ، وذلك العفو هو الذي أَطْعَمَهُ حتى قَتَلَ بني بَرٍّ بوع ما قَتَلَ بالطّاع .

الطعن الثامن

قولهم : إنّ مما يؤثّر في حاله وحالِ عمرَ دَقَّتْهُمَا معَ رسول الله صلى الله عليه وآله في بَيْتِهِ ، وقد منع الله تعالى الكلَّ من ذلك في حالِ حَبَارِئِهِ - فكيف يمدّ المات - بقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾^(٢) .

أجلب قاضي الفضاة : بأنّ الموضعَ كانَ رَمْلًا لعائشة ، وهي حُجْرَتُهَا التي كانت

(١) تاريخ الضى ٣ : ٢٨٠ . (٢) سورة الأحزاب ٥٣ .

مرورفة بها ، والحجبر كلها كانت أملاكاً لأزواج النبي صلى الله عليه وآله ، وقد نطق القرآن بذلك في قوله : ﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ^(١) ، وذكر أن عمر استأذن عائشة في أن يدفن في ذلك الموضع ، وحتى قال : إن لم نأذن لي فأدفنوني في البقيع ، وعلى هذا الوجه يحتمل ما روى عن الحسن عليه السلام أنه لما مات أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن لم يترك في البقيع ، فلما كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دُفن بالبقيع . وإعسا أوصى بذلك بإذن عائشة ؛ ويجوز أن يكون علم من عائشة أنها حصلت الموضع في حكم الوفاء ، فاستباحوا ذلك لهذا الوجه ؛ قال : وفي دفعه عليه السلام ذلك الموضع ما يدل على فضل أبي بكر ؛ لأنه عليه السلام لما مات أحنثوا في موضع دفعه ؛ وكثر القول حتى روى أبو بكر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال ما يدل على أن الأنبياء إذا ماتوا دُفنوا حيث ما نزلوا ، قال الخلاف في ذلك ^(٢) .

اعرض الرافضى فقال : لا يحمل موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون باقياً على مناسكه عليه السلام ، أو يكون استنقلاً في حياته إلى عائشة على ما ادعاه ؛ فإن كل الأول لم يحمل أن يكون مبرأناً بدمه أو صدفة ؛ فإن كان مبرأناً فما كل يحمل لأبي بكر ولا لعمر من بدمه أن بآمرهما بدفعهما فيه إلا بعد إحصاء الورثة الذين هم على مدعيها فاطمة وجماعة الأرواح ، وعلى مذهبهم هؤلاء والعاس ، ولم نجد واحداً منهما حاطب أحداً من هؤلاء الورثة على ابتياع هذا المكان ولا استنقله عنه شمن ولا غيره . وإن كان صدفة ففسد كل رجب أن يرضى عنه جماعة السلفين وبتابعه منهم ؛ هذا إن حاز الأبتباع لما يجري هذا الجرى ، وإن كان استنقل في حياته فقد كل رجب أن يظهر سب أسناله والحجفة فيه ، فإن فاطمة عليها السلام لم يفتن منها في استنقال فذلك إلى مناسكها بنو لها ، ولا بشهادة من

فشهد لها. فأما نعلته بإضافة البيوت إليهن في قوله : ﴿ وَفَرَنْ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ؛ فمن ضميم
 الشبهة ؛ لأننا قد بقينا فيها مضى من هذا الكتاب أن هذه الإضافة لا تقتضي ذلك ، وإنما
 تقتضي التمكن ، والمادة في اسمها هذه التلطف فبإذ كرماء طاهرة ، قال تعالى : ﴿ لَا تَخْرُجُوهُنَّ
 مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ ولم يرد الله تعالى إلا حبث بسكن ويزلن دون حبث بملكن وما أشبهه ،
 وألطف من كل شيء ، تقدم قوله : **إِنَّ الْحَسَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَأْذَنَ عَائِشَةَ** ؛ أن يَدْخُلَ فِي
 الْبَيْتِ حَتَّى مَتَّعَهُ مَرْوَانُ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ مَكَابِرَةٌ مِنْ طَاهِرَةٍ ، فَإِنَّ الْمَنْعَ
 لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَائِشَةَ ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْ دُكْرِهِ مِنْ مَرْوَانَ وَسَعِيدَ
 وَغَيْرِهِمَا أَعَانَهَا وَاتَّسَعَ فِي ذَلِكَ أَمْرًا ، وَدَوَّى أَنَّهَا حَرَجَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى بَظِلٍ حَتَّى قَالَ
 ابْنُ عَبَّاسٍ : بَوْمًا عَلَى تَبْذُلٍ وَبَوْمًا عَلَى جَلٍّ ؛ فَكَيْفَ نَأْذَنُ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ ، وَهِيَ مَالِكَةُ
 الْوَضْعِ عَلَى فَوْقِهِمْ ، وَبِمَنْعٍ مِنْ مَرْوَانَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى لَيْفٍ لَهُ فِي الْوَضْعِ وَلَا شَرَكَةَ وَلَا بَدَلَ
 وَهَذَا مِنْ قَبِيحٍ ^(٢) مَا يَرْسُكِبُ . وَلَمْ يَفْصَلْ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ حَدِيثَ الْأَنْفَنِ ؛ وَعَلِمَهُمْ بِقَوْلِهِ **لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ سَمِعَ مِنْ سَمْعِهِ لِكُلِّ سَاحِبِ الْكِتَابِ وَأَسْمَاءِ الْمَمْسُورِ**
بِحَبْرِ الْوَاحِدِ الْقَدُلِ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ الْمَطْلُوبَةِ ، فَكَيْفَ لَا يَسْمَعُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ فِي الدَّفْنِ
وَهُمْ يَفْعَلُونَ بِقَوْلِ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِيهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ^(٣) !

قلت : أما أبو بكر ؛ فإنه لا يلحقه بدنه مع الرسول صلى الله عليه وآله ذم ؛ لأنه
 ما دَفَنَ نَفْسَهُ ، وَإِنَّمَا دَفَنَهُ النَّاسُ وَهُوَ مَيِّتٌ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لِلْإِيمِ وَالْإِيمِ لِحَقَانِ
 بِنِ فَضْلٍ بِهِ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَوْصَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
 وَإِنَّمَا قَدْ يُسَكَّنُ أَنْ يَتَوَجَّهَ هَذَا الطَّمَنُ إِلَى عَمْرِ ، لِأَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحِجْرَةِ
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَبِي بَكْرٍ . وَالْقَوْلُ عِنْدِي مُشْتَبِهٌ فِي أَمْرِ حَبْرِ الْأَزْوَاجِ :

هل كانت على منك رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفي، أم ملكها نساؤه؟ والذي
تطعن به التواريخ أنه لما خرج من فداء ودخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب،
اخطأ السجد واخطأ حصر نسائه وبناته، وهذا يدل على أنه كان الملك للمواضع،
وأما خروجها عن ملكه إلى الأزواج والبنات فما لم أفق عليه، ويجوز أن تكون
المصاحبة قد فهمت من فرائض الأحوال ومما شاهدوه منه عليه السلام؛ أنه قد أقر كل بيت
منها في بدر ووجه من الزوجات على سبيل الهبة والمطبعة، وإن لم يُنفل عنه في ذلك سنة
لفظ معين، والقول في بيت فاطمة عليها السلام كذلك، لأن فاطمة عليها السلام لم تكن
تملك مالا، وعلى عليه السلام بعلمها كان فقيرا في حيازة رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى إنه كان يستغي الماء ليهود يثرب، يستغي بساتينهم لقوب يدفعونه إليه، فمن أين
كان له ما يبتاع به حجرة يسكن فيها هو وزوجته^(١)! والقول في كثير من الزوجات
كذلك أنهن كن في زمان مدفعات، يحسوهن في بيت أبيه، وجوزة بنت
المارث، وميمونة، وغيرهن، فلا وجه فيمكن أن يملك منه هؤلاء النسوة والبنات
الحجر؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها لهن؛ هذا إن ثبت أنها خرجت
عن ملكيته عليه السلام، وإلا فمى بافية على ملكيته باستصحاب الحال. والقول في
حجرة زبب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك، لأنه أفدتها من مكة مفارقة
لبعلها أبي العاص بن الربيع، فأسكنها بالدبنة في حجرة مفردة خالفا عن بعل، فلا بد
أن تكون تلك الحجرة بعتضى ما ينتدب على الطلق ملكا له عليه السلام، فاستدام
الحكم بملكها إلى أن نجد دليلا يثبتنا عن ذلك. وأما رقية وأم كلثوم زوجتا عليهما،
فإن كان متهما فإما مال فيجوز أن يكون أبتاع حجرة سكنت فيها الأولى منهما، ثم
الثانية بعدها.

فَأَمَّا أَحْتِجَاجُ قَاضِي الْفَضَاءِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَفَرَّقَ فِي بُيُوتِنَا ﴾ ؛ فَاعْتِرَاضُ الْمُرْتَضَى عَلَيْهِ
قَوِيٌّ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْإِسَافَةَ إِنَّمَا نَقْضِي التَّخَصُّصَ لَفِظِ لَا التَّمْيِيزَ ، كَمَا قَالَ : ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ
مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ ^(١) ؛ وَبِمُجَوِّدٍ أَنْ يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ لَمَّا رَوَى قَوْلُهُ : « نَحْنُ لَا نُورِثُ » نَزَلَ
الْحَجَرُ فِي أَبْدَى الزُّوْجَاتِ وَابْتَدَأَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْفَاقِ لَهُنَّ لَا التَّمْيِيزَ ، أَيْ أَبَاحَهُنَّ السُّكْنَى
لَا التَّصَرُّفَ فِي رِقَابِ الْأَرْضِ وَالْأَهْبَةِ وَالْأَكْلَاتِ ، لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ، وَلِأَنَّهُ
كُلُّ مَنْ التَّهَيَّجَنَ الْغَيْبِخَ إِخْرَاجُهُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَذَلِكَ ؛ فَإِنَّهَا قُرْبَةٌ كَبِيرَةٌ
دَاخِلَةٌ نَحْلُ كَثِيرٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَاطِعَةً مُتَصَرِّقَةً فِيهَا مِنْ رِقَبَلِ نَفْسِهَا
وَلَا يُوَكِّلُهَا ، وَلَا رَأَتْهَا فَطًى ، فَلَا نُشَبِّهُ حَالَهَا حَالَ الْحَجَرِ . وَأَبْضًا لِإِطَاعَةِ هَذِهِ الْحَجَرِ
وَزَلْزَلَةِ أَعْمَانِهِنَّ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَبْنِيَّةً مِنْ طِينٍ فَصَبْرَةُ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا أَبَا بَكْرٍ وَالصَّحَابَةُ
اسْتَحْفَرُوها ، فَأَفْرَتِ السَّاءُ قَبْهَا وَعَرَضُوا النَّاسَ عَلَيْهَا بِالشَّيْءِ الْبَسِيرِ مِمَّا يَنْفَضِي الْحِسَابَ
أَنْ يَكُونَ مِنْ سَهْمِ الْأَزْوَاجِ وَابْتَدَأَ عِنْدَ قِسْمَةِ الْقُرَى .

وَأَمَّا النُّوْلُ فِي الْحَسَنِ وَمَا حَرَّكَهُ مِنْ كَافَّةٍ وَبَيْنَ أَعْيَةٍ فَتَدْتَمُّ ؛ وَكَذَلِكَ النُّوْلُ فِي
الْخَبَرِ الرَّوِيِّ فِي دَفْنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَكَانَ أَبُو الطَّاهِرِ هَبَّةً اللَّهُ بْنُ الْمُوسَوِيِّ
صَدْرَ الْفَزَنِ الْمَعْمُورِ ، كُلُّهُ فِي أَيَّامِ النَّاصِرِ لَدَيْنَ اللَّهِ إِذَا حَدَّثَتْهُ حَدَّثَ وَفَاءً رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَوَايَةُ أَبِي بَكْرٍ مَارُودًا مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْأَنْبِيَاءُ يُدْفَنُونَ
حَيْثُ يَمُوتُونَ » ، يَكْتَلِفُ أَنْ أَبَا بَكْرٍ افْعَلْ هَذَا الْخَبَرِ فِي الْحَالِ وَالْوَقْتِ ، لِيُدْفَنَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ ، ثُمَّ يُدْفَنَ هُوَ مَعَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ، عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ
عَمَرِهِ إِلَّا مِثْلُ عِلْمِهِ ^(٢) الْخَبَرِ ، وَأَنَّهُ إِذَا دُفِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حُجْرَةِ ابْنَتِهِ فَإِنَّ
ابْنَتَهُ تَدْفِنُهُ لَا عَمَالَةً فِي حُجْرَتِهَا عِنْدَ تَبْلُغِهَا ، وَأَنْ دُفِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَوْضِعٍ

(١) سورة الطلاق ١ .

(٢) يقال : مَا بَقِيَ مِنْهُ إِلَّا طَرَفُ الْخَبَرِ ؛ أَيْ شَيْءٌ يَدْبُرُ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ طَرَفًا مِنْهُ .

آخرَ فربما لا ينهبا له أن يُدْفَنَ عنده ، فرأى أن هذا القومَ بهذا الشرف العظيم ، وهذا السكان الجليل ، مما لا يقتضي حسن التدبير فونه ، وإن انتهز الفرصة فيه واجب ، فرَوَى لهم الخبرَ ، فلا بمسكنهم بعد روايته ألا يمتلوا به ، لاسيما وقد صار هو الخليفة ، وإليه السلطان والنفع والضرر ، وأدرك ما كل في نفسه ، ثم نَسَجَ عمرُ على منواله ، فرَغِبَ إلى عائشةَ في مثل ذلك ، وقد كان يُكرِّمها ويندِّمها على سائر الزوجات في العطاء وغيره ، فأجابته إلى ذلك ، وكان مُطاعاً في حياته وبعد مماته ، وكان يقول : واجباً للحسن وطمعاً في أن يُدْفَنَ في حُجْرَةِ عائشة ! والله لو كان أبوه الخليفة يومئذ لما نهبا له ذلك ، ولأنتم لِمَ لمص عائشةَ لهم ، وحمد الناس إياهم ، وغافقوا بني أمية وغيرهم من غريبي عليهم ! ولقد قالوا : يُدْفَنُ عُمَانُ في حَتَّى كوكب^(١) ، ويُدْفَنُ الْحَسَنُ في حُجْرَةِ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فكيف والخليفة معاويةُ والأمراء بالمدينة بواُمِيَّة ، وعائشةُ صاحبةُ الوضع له والناسُ لم يهتُموا به ، والثاني كُتِبَ . وانا أستمع الله مما كان أبو النضر يُخَيِّفُ عليه ، وأطمَ وأطن طمأنينتها بالعلم أن أبا بكر ما رَوَى إلا ما سَمِعَ ، وأنتَ كل أني لله من ذلك .

الطعن التاسع

قولهم : إنَّه لَمَّا عَلِيَ عمرُ بالخِلافة ؛ تخالَفَ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله على رَغمه ، لأنَّه كان يزعمُ هو ومن قال بقوله أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لم يستخِيف .

(١) حنَّ كوكب : موضع بالمدينة .

والجواب أن كونه لم يستخلف لا بدلًا على تحريم الاستخلاف ، كما أنسن لم يرغب القبل لا بدلًا على تحريم ركوب القبل . فإن قالوا : ركوب القبل فيه مضرة ولا مضرة فيه ولم يرد نص بتحريمه ، فوجب أن يحسن . قبل لم : والاستخلاف مصلحة ، ولا مضرة فيه ؟ وقد أجمع المسلمون أنه طريق إلى الإمامة ، فوجب كونه طريقاً إليها ، وقد روي عن عمر أنه قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - بمعنى أبا بكر - وإن أركب فقد ترك من هو خير مني - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله . فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصحابة أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبي بكر عليه ، وأعدوا أحكامه ، واتقوا إليه لأجل نص أبي بكر لا شيء سواه ، ولو لم يكن ذلك طريقاً إلى الإمامة لما ألدوا عليه . وقد اختلف الشيخان أبو علي وأبو هاشم في أن نص الإمام على إمام بعده . هل يكنى في انفراد إمامته ؟ فقال أبو علي : لا يكنى ، بل لابد من أن يرضى به أربعة حتى يجرى عهده إليه عمرى عقد الواحد رضا أربعة ؟ فإذا قارنه رضا أربعة صار بذلك إماماً ، ويقول في بيعة عمر : إن أبا بكر أحقر جماعة من الصحابة لما نص عليه ، ورجع إلى رضام بذلك ، وقال أبو هاشم : بل يكنى نص عليه ، ولا يراى في ذلك رضا غيره ، ولو نص أن أبا بكر عمله لكان على طريق النصب للنص ، لأنه يؤثر في إمامته مع العهد ؛ ولعل أبا بكر إن كان فعل ذلك فقد استطالب به مؤسسه ، ولهذا لم يؤثر فيه كراهية طلحة حين قال : ولبت علينا قطاً غليظاً . وبين ذلك أنه لم ينفل استئناف العهد من الصحابة لعمر بعده موت أبي بكر ولا اجتماع جماعة لمقد البتة له ، والرضا به ، فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبي بكر إليه .

الطعن الماشر

قولهم : إنه متى نفسه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لاستخلافه إياه بعد موته ، مع اعترافه أنه لم يستخلفه .

والجواب أن الصحابة ممنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لاستخلافه إياه على الصلاة عند موته ، والاستخلاف على الصلاة عند الموت له منزلة على الاستخلاف على الصلاة حال الحياة ، لأن حال الموت هو الحال التي تكون فيها اليهود والنصارى وما هم به إلا إنسان من أمور الدنيا والدن ، لأنها حال الفارغة . وأيضاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله ما استخلف أحداً على الصلاة بالدنية وهو حاضر ، وإنما كان يستخلف على الصلاة فوما أيام عينته عن الدنية . ثم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاة بالناس كلهم ، وهو صلى الله عليه وآله حاضر بين الناس حتى إلى الأبد بكر ، وهذه منزلة ظاهرة على سائر الاستخلافات في أمر الصلاة ، فلهذا تمتد خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله . وبعد ، فإذا ثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقاً^(١) إلى الإمامة وحجة ، وثبت أن فوما من أفضل الصحابة اختاروه للخلافة ، فقد ثبت أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه لا فرق بين أن يصر الرسول صلى الله عليه وآله على شخص معين ، وبين أن يشير إلى قوم فيقول : من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام ؛ في أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢) .

الطعن الحادي عشر

قولهم : إنه حرق النجاة السليم بالنار ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله أن يحرق أحد بالنار .

والجواب أن النجاة جاء إلى أبي بكر كما ذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحاً بنفوسه على الجهاد في أهل الردة ، فأعطاه ، فلما حرق قطع الطريق ونهب أموال المسلمين وأهل الردة جميعاً ، وقتل كل من وجد ، كما فعلت الحوارج حيث خرجت ، فلما مئثر به أبو بكر رأى حرقة النار إرهاباً لأمثاله من أهل الفساد ، ويجوز للإمام أن يخصص النص العام بالناس الحلي عندنا^(١) .



الطعن الثاني عشر

قولهم : إنه نكلم في الصلاة قبل التسليم ، فقال : لا يفعل غداً ما أمره ؛ قالوا : ولذلك جاز عند أبي حنيفة أن يمحرج الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من معصيات الصلاة من دون تسليم ، وبهذا احتج أبو حنيفة .

والجواب أن هذا من الأخبار التي تنفرد بها الإمامية ، ولم تثبت ؛ وأما أبو حنيفة فلم يذهب إلى ما ذهب إليه لأجل هذا الحديث ، وإنما احتج بأن التسليم خطاب آدى ، وإيس هو من الصلاة وأذكرها ، ولا من أركانها ، بل هو ضمتها ، ولذلك يسطلها قبل التمام ، ولذلك لا يسلم المصلي نكلاً لسلام الإمام ، بل يقوم من غير تسليم ؛ فدل على أنه ضد للصلاة وجميع الأضداد بالنسبة إلى رفع الضمة على ونبرة واحدة ، ولذلك استوى الكل في

(١) الحلي : الواضح .

الإبطال قبل التمام ، فيستوى الكلّ في الانتهاء بعد التمام . وما يذكره القوم من سبب كلام أبي بكر في الصلاة أمرٌ بعيد ، ولو كان أبو بكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف وهو نائم ليلاً في بيته ، ولا يعلم أحد من الماعل .

الظعن الثالث عشر

قولهم : إنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو على الشام بأمره أن يضل سعد بن عباد ، فمكن له هو وآخر معه ليلاً ، فلما مرهما رمياه فقتلاه ، وعف صاحبُ خالد في ظلام الليل بعد أن ألغى سعداً في بئر هناك فيها ماءٌ ، بيتين :

نحن قتلتنا سيد الحُرِّ رج سعد بن عباد
ورميّاه سهمين فلم نُخطِ فؤاده

يَوْمَ أَنَّ ذَلِكَ شَمْرُ الْجَنِّ ، وَأَنَّ الْجَنِّ قَتَلَتْ سَعْدًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ قَدُوا سَعْدًا ، وَفَدَّ مَجِيعُ قَوْمٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ الْخَائِفَ فَطْلِبُوهُ ، فَوَجَدُوهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي نِوَالِ الْبَيْتِ ، وَفَدَّ اخْضَرَّ ، فَنَالُوهُ : هَذَا مَسْبُوسُ الْجَنِّ ، وَقَالَ شَيْطَانُ الْإِطْلَاقِ لِمَا نَلَّ سَأَلَهُ : مَا مَنَعَ عَلِيًّا أَنْ يُجَاوِزَ أَبَا بَكْرٍ فِي الْخِلَافَةِ ؟ فَنَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، خَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ الْجَنُّ .

والجواب ، أما أنا فلا أعتقد أن الجن قتلن سعداً ، ولأن هذا شعرُ الجنِّ ، ولا أَرَأِي أَنْ الْهِنْدُ قَتَلُوهُ ، وَأَنَّ هَذَا الشَّعْرَ شَعْرُ النَّسْرِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْبَغِ عَدِي أَنْ أَبَا بَكْرٍ أَمَرَ خَالِدًا ، وَلَا أَسْتَعِدُّ أَنْ يَكُونَ فَعْلُهُ مِنْ تَلَفَاةٍ نَفْسِهِ لِبِرْضَى بِذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ - وَحَاشَا - فَيَكُونُ الْإِثْمُ عَلَى

خالد ، وأبو بكر برى من إثمه ؟ وما ظلك من أفعال تلك يميند .

الظن الرابع عشر

قولهم : إنه لما استخلف قطع لنفسه على بيت المال أجرة كل يوم ثلاثة دراهم ، قالوا : وذلك لا يجوز ، لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يُذكر فيها أجرة للإمام .
والجواب أنه تعالى جعل في جملة مصروف أموال الصدقات العاملين عليها ، وأبو بكر من العاملين . وأعلم أن الإمامية لو أنصفت لرات أن هذا الظن بأن يكون من مناقب أبي بكر أولى من أن يكون من مساويه ^(١) ومثاليه ، ولكن التعصبة لا حيلة فيها .



الظن الخامس عشر

قولهم : إنه لما استخلف صرخ متأديه في المدينة : من كان عنده شيء من كلام الله فليأنا به ؟ فإننا عازمون على جمع القرآن ، ولا يأرنا بشيء منه إلا ومعه شاهدا عدل ؟ قالوا : وهذا خطأ ، لأن القرآن قد بان بقصاحته عن فصاحة البشر ، فأى حجة إلى شاهدي عدل !
والجواب ، أن الرضى ومن تأبته من التهمة لا يصح لهم هذا الظن ؛ لأن القرآن عديم ليس مُعْجِزاً بقصاحته ، على أن من جعل معجزته للقصاحة لم يقل : إن كل آية من القرآن هي مُعْجِزَةٌ في القصاحة ، وأبو بكر إنما طلب كل آية من القرآن لا السورة بنهاها وكألفها التي يتحقق الإعجاز من طريق النصيحة فيها . وأبضا فإنه لو أحضر إنسان آية أو آيتين ولم يكن معه شاهد ، فربما تختلف العرب : هل هذه في القصاحة بالة ؟

مبلغ الإيجاز السكّلي ، أم هي ثابتة من كلام العرب بثبوته ؛ عبر بالغة إلى حد الإيجاز ؟ فكان يلتبس الأمر ويَنع الزّواج ، فاستظهر أبو بكر بطلب التّشهود تأكيداً ، لأنّه إذا انصبت الشّهادة إلى المعصاة الظّاهرة ثبت أنّ ذلك الكلام من القرآن .

الأصل :

ومن هذا الكتاب :

إِنِّي وَاللّهِ لَوَ تَقِيْتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاحُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحِشْتُ ؛ وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِيهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، وَالْمُهْدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ ، لَمَلِي بِمِجْرَةٍ مِنْ تَقْيِي ، وَتَقْيِي مِنْ رَبِّي . وَإِنِّي إِنِّي لِقَاءُ اللَّهِ لَمُسْتَأْنِي . وَلِحُسْنِ نَوَائِدِ كَلِمَتَيْهِ رَاجِعٌ ؛ وَلَكِنِّي آمَنُ أَنْ يَلِيَّ هُدًى الْأَمَّةِ سَمِعْتُ أَبَاهَا وَفِعْلَهَا ، فَبَخَّضُوا مَالَ اللَّهِ دُونَ ، وَعِبَادَهُ حَوْلًا ، وَالْعَالِيَيْنَ حَرْبًا ، وَالْفَاسِقِينَ حِرْمًا ؛ فَإِنْ مِنْهُمْ الَّذِي شَرِبَ مِنْكُمْ الْحَرَامَ ، وَخُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ . وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَاحُ ؛ فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْيِيسَكُمْ وَتَأْنِيسَكُمْ ، وَحَمَسَكُمْ وَتَحْرِيقَكُمْ ، وَلَنْزَكَّتْكُمْ إِذَا أَبَيْتُمْ وَوَعَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَعْرَافِكُمْ فَدِ انْقَضَتْ ، وَإِلَى أَمْعَازِكُمْ فَدِ افْتَنَحَتْ ، وَإِلَى تَمَالِكِكُمْ تَزُوقُ ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُفْرَى !

انْقِرُوا وَرَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى فِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَنَاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَضَرُوا بِالْخُسْفِ ، وَبُؤِوهَا بِالْأُذُلِّ ، وَبُكُورَ صَبَبِكُمُ الْأَحْسَ ؛ وَإِنَّا أَخَا الْحَرْبِ الْأَرَفِ وَمَنْ نَأَمَ لَمْ يَتَمَّ عَنْهُ ؛ وَالسَّلَامُ .

البُشْرُ :

يُطْلَعُ الْأَرْضُ : مَلُؤَهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرٍو : لَوْ أَنَّ لِي بِطَلْعِ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَخَذْتُ بِهِ
مِنْ هَوْلِ الطَّلْعِ .
وَأَتَى : أَحْزَنَ .

وَأَكْثَرُ نَالَيْتَكُمْ : نَحَرَيْتُكُمْ وَأَغْرَأْتُكُمْ بِهِ . وَالتَّأَنَّبُ : أَشَدُّ الْقَوْمِ .
وَوَيْسَكُمْ : ضَعُفَكُمْ وَفَرَنْتُمْ . وَمَحَالِكُكُمْ تَرَوَى ، أَيْ تَقْبِضُ .

وَلَا تَتَأَلَّوْا ، بِالتَّسَدِيدِ ، أَمَلُهُ « تَتَأَلَّوْا » . وَتَغَرَّوْا بِالْحَسْبِ : تَسْتَرْفِعُوا بِالضَّيْمِ
وَتَصْبِرُوا لَهُ . وَنُومُوا بِالذَّلِّ : تَرَجَعُوا بِهِ . وَالْأَرْقُ : الَّذِي لَا يَنَامُ . وَمِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « مَنْ نَامَ لَمْ يَنْتُمْ عَنْهُ » قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَهُ دَرَكٌ مَا أُرِدْتُ بِنَسَائِرِ حِرَازٍ لَيْسَ عَنِ التَّرَائِدِ بِرَافِدٍ (١)

أَسْهَرَتْهُ نِمُّ اضْطِجَعَتْ وَلَمْ يَنْتُمْ عَنْهُ حَقًّا عَلَيْكَ وَكَيْفَ يَوْمُ الْحَافِدِ !

فَأَمَّا الَّذِي دُخِضَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَاخُ ، كَمَا بَوَّهَ : وَالرَّضِيخَةُ : شَيْءٌ قَلِيلٌ يُعْطَاهُ
الْإِنْسَانُ بِضَاخَعٍ بِهِ عَنْ شَيْءٍ (٢) يُطَلَّبُ مِنْهُ كَالْأَجْرِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ فَلَوْ بِهِمُ الَّذِينَ
رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ بِعِمَالٍ وَنَاءَ دُفِعَتْ إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعْرُوفُونَ كَمَا بَوَّهَ وَأَحْيَاهُ
بَزِيدٌ ، وَأَبِيهِمَا أَبِي سُبُهَانَ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَالْمُحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ
ابْنُ الثَّعْبَةِ ، وَخُوَيْطِيبُ بْنُ عَبْدِ الْمَرْزِيِّ ، وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيحٍ ، وَسَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةٍ ،
وَعَمْرِ بْنُ وَهَبٍ الْجَمْعِيُّ ، وَغَيْثَةُ بْنُ حَصْنٍ ، وَالْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، وَعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ
وغيرهم . وَكَانَ إِسْلَامُ هَؤُلَاءِ لِلطَّمَعِ وَالْأَغْرَاضِ الدُّنْيَاوِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَنْ أَمَلٍ وَلَا عَنْ
بَذَنٍ وَعِلْمٍ .

(١) التَّائِبُ : جَعَزَةٌ ، وَمِنْ الْأَخَذِ النَّارُ . (٢) وَدَّ دَأْمُهُ .

وقال الراوندى: عَنِ بَنُوهِ: «وُضِخَتْ لَهُمُ الرِّضَاخُ» عَمَرُو بَنَ الدَّاصِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّ عَمْرًا لَمْ يُسَلِّمْ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَأَصْحَابُ الرِّضَاخِ كُلُّهُمْ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْفَتْحِ، صُوِّدُوا عَلَى الْإِسْلَامِ بِنَتَائِهِمْ حَتَّى . وَأَمْرِي إِنْ إِسْلَامَ عَمْرُو كَانَ مَدْخُولًا أَيْضًا؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ رَضِيخَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ لِعَلَى آخَرَةٍ، فَأَمَّا الَّذِي شَرِبَ الْحَرَامَ، وَحُدِّدَ فِي حَدِّ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ قَالَ الرَّائِدِيُّ: هُوَ الْغُبَرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَأَخْطَأَ فِيهَا قَالَ، لِأَنَّ الْغُبَرَةَ إِنَّمَا اتَّهَمُوا بِالْمَا وَلَمْ يُعَدَّ وَلَمْ يَجْرَ لِلْغُبَرَةِ ذِكْرٌ فِي شَرِبِ الْخَمْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَرُّ الْغُبَرَةِ مُسْنُوقٌ، وَأَيْضًا فَإِنَّ الْغُبَرَةَ لَمْ يَتَّهَمْ صِفَتَيْنِ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَلَا مَعَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا الرَّائِدِيُّ وَلِهَذَا إِنَّمَا يَبْرِفُ هَذَا الْفَنَ أَوَّلِيَّاهُ . وَالَّذِي سَمَّاهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَبْلَغُهُمْ نُحْرَبًا لِمَعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ عَلَى حَرَّتِهِ .



مَرْحُومَاتُكُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ
[أَحْبَابُ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ]

وَمَعْنَى نَذَرِ الْوَلِيدِ وَتَرْكِهِ الْخَمْرَ مَثَقُولًا مِنْ كِتَابِ «الْأَعْيَانِ» لِأَبِي الْفَرَّاحِ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْمَعِيَّ: قَالَ أَبُو الْفَرَّاحِ: كَانَ سَبْ إِثَارَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ الْكَوْفَةَ لَعْنَانٍ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَوْهَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شُعْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ حَكِيمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ مَعَ عُمَانَ عَلَى سَرِيرِهِ إِلَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الصَّلْبِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَالْحَكَمُ بْنُ أَبِي الدَّاصِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ، وَلَمْ يَكُنْ سَرِيرُهُ يَسَعُ إِلَّا عُمَانَ وَوَاحِدًا مِنْهُمْ، فَاقْبَلِ الْوَلِيدُ يَوْمًا فَجَلَسَ، فَجَاءَ الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الدَّاصِ فَأَوْدَأَ عُمَانَ إِلَى الْوَلِيدِ، فَزَحَلَ لَهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَلَمَّا قَامَ الْحَكَمُ قَالَ الْوَلِيدُ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنْدَ نَلْجَلِجَ فِي مَسَدِي يَتَنَانِ فَلْتَمَها حِينَ رَأَيْتُكَ آثَرْتَ ابْنَ عَمِّكَ عَلَى أَبِي أُنْكَ . وَكَانَ الْحَكَمُ عَمَّ عُمَانَ، وَالْوَلِيدُ أَخَاهُ.

لأُمّه - فقال عُمَانُ : إِنْ الْحَكَمَ شَيْعُ فَرِيضٍ ؟ فَا الْبَيْتَانِ ؟ فقال :

رَابْتُ لَعَمَّ الرِّءُوفُ رُلْفَى فَرَايَ دَوْنِ أَحِيهِ حَادَثًا لَمْ يَكُنْ قَدِيمًا

فَأَنْتَ عَمْرَأَنْ أَنْ يَشِبَّ وَهَلَا لَسْكَ بَدْعَوَانِي يَوْمَ نَاقِثِي عَمَّا

بَنِي عَمْرَأَ وَهَلَا أَبَى عُمَانُ . قال : فَرَفُّ لَهُ عُمَانُ وَقَالَ : فَدَ وَلَبَّكَ الْكَوْفَةُ ، فَأَخْرَجَهُ إِلَيْهَا ^(١) .

قال أبو الفَرَجِ : وَأَخْبَرَ أَنَّ أَحَدَ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ شَبَّهٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بِمَنْ أَحْصَانَا ، عَنْ أَبِي ^(٢) ذَابٍ قَالَ : لَمَّا وَلَّى عُمَانُ الْوَلِيدَ بَنَ عَصَةَ الْكَوْفَةَ قَدِيمًا وَعَلَيْهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَأَخِيرَ مَدُّومَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ ، فَهَلَا : وَمَا سَمِعَ ؟ غَالُوا : وَقَفَّ فِي السَّوْفِ فَهُوَ يَحْدِثُ النَّاسَ هُنَاكَ ، وَلَسْنَا نَسْكُرُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ ، فَلَمْ يَكْبِتْ أَنْ جَاءَهُ بَعْضُ النَّهَارِ ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَى سَعْدٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَخَرَّ عَلَيْهِ بِالْإِمْزَةِ ، وَحَلَسَ مَعَهُ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا أَفْعَدْتَكَ يَا أَبَا وَهَبٍ ؟ قَالَ : أَحْبَبْتُ زَيْدَ بَنِي بَرَكٍ ؟ قَالَ : وَعَلَى ذَلِكَ ، أَحْبَبْتَ بَرِيدًا ؟ قَالَ : أَنَا أَرُذَنُ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي التَّرَمَّ أَحْتَاوُوا إِلَى عَمَلِهِمْ فَسَرَّحُونِي إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَسْتَعْمَلَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكَوْفَةِ . فَسَكَنَ سَعْدُ طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَصْلَحْتَ بَعْدَنَا أَمْ فَسَدْنَا بِمَدِّكَ ؟ ثُمَّ قَالَ :

رَكِبْنِي وَجَرَّبْنِي مُبَايَعٌ وَأَبْنَرِي بَلَحْتُمْ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَمَا وَاللَّهِ لَا أَنَا أَفْعَلُ لِلشُّعْرِ مَكَ ، وَأَرَوِي لَهُ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَجَبْتُكَ ، وَلَسْكَتِي أَدْعُ ذَلِكَ لَمْ نَعْلَمْ . ثُمَّ وَقَفَّ لَعَمَّ أُرْمَتْ بِحَاسِنِكَ ، وَاتَّظَّرِي أَمْرُ عُمَانِكَ . ثُمَّ بَمَثَ إِلَى عَمَالِ سَعْدٍ حَبَسَهُمْ وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ ، فَسَكَبُوا إِلَى سَعْدٍ بِسَيْفِيَّوْنٍ بِهِ ، فَسَكَّمَهُ فِيهِمْ فَقَالَ لَهُ : أَوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، غُلِّيْ سَيْلَهُمْ ^(٣) .

(١) الْأَعْلَى : ١٧٤ (سَاسِي) . وَد . د . فَأَخْرَجَ .

(٢) ق . د . عَنْ زَادَانَ .

(٣) الْأَعْلَى : ١٧٥ ، ١٧٦ (سَاسِي) .

قال أحمد^(١) : وحدثنى عمر ، عن أبي بكر الباهلي ، عن هشيم ، عن المروان
ابن الحوشب . قال : لما قدم الوليد على سعد قال له سعد : والله ما أدرى كنتَ بعدنا
أم حمنا بعدك ! فقال : لا نَجْرَعَنَّ بأبنا إسحاق ، فإنه المثلث بنده قوم وبمشاء آخرون .
فقال سعد : أراكم والله ستجعلونه مثلكما^(٢) .

قال أبو الفرج : وحدثننا أحمد قال : حدثني عمر قال : حدثني هارون بن معروف ،
عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شاذب قال : سأل الوليد بأهل الكوفة النداء أربع
ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا مملوك
في رباع منذ اليوم^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثنى أحمد قال : حدثنا عمر ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ،
قال : حدثنا جبر ، عن الأخت ، عن النعمان قال : قال الحطيئة بذكر الوليد :
شهد الحطيئة يوم بكتف ربه أن الوليد أحق بالتدبير^(٤)
فأدى وفد تحت سلاتهم أريدكم - سكرًا - ولم يدر^(٥)
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقارنت بين الشعم والونو^(٦)
كفوا عنناك إذ جريته ولو نركوا عنناك لم نزل نجرى^(٧)

(١) هو أحمد بن عبد العزيز الموصلي .

(٢) الأخت : ٤ : ١٧٦ .

(٣) الأخت : ٤ : ١٧٦ . (٤) الأخت : ٤ : ١٧٦ و ٥ : ٥٠٠ حن بذكر ربه .

(٥) الديوان : ٥ : أريدكم خلا .

(٦) الديوان : ٥ : ليريدكم حبرا ولو فلوا .

(٧) الديوان : ٥ : حملوا عنناك ؟ وبعده :

ورأوا فخانل ماجد أيل
قرعت مكذوباً عليك ولم
بملى على البسور والنسر
تردد إلى عنبر ولا فخر

وقال الخطيبه أيضاً :

تسكّم في الصلاة وزاد فيها علائجه وأعلن بالفتاى^(١)
ومجّ الحمر في سكر المصلّى ونادى والجميع إلى الفزاني
أزهدكم على أن نحمدوني فالكم ومالي من خلاني^(٢)

قال أبو الفرج : وأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، قال :
حدثني أبي قال : قال أبو عبيدة وهشام بن الكلابي والأصمعي : كان الوليد زانياً
يشرب الخمر ، فشرّب بالكوفة وفام بصلى بهم الصبح في المسجد الجامع ، فصلّى بهم
أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال : أزهدكم ؟ ونفى في الخراب بعد أن قرأ بهم راقعاً
صوته في الصلاة :

قلّوب النّلب الرّباب

فشخص أهل الكوفة إلى عمار فاحرقوه نخبره ، وشهدوا عليه بشرب الخمر ،
فأثب به ، فأمر رجلاً من المسلمين أن يصره الحد ، فلما دنا منه قال : شذّك الله
وفراي من أمير المؤمنين ! فتركه ، لحاف علي بن أبي طالب عليه السلام أن يعقل الحد ،
فنام إليه فحده بيده ، فقال الوليد : شذّك الله والفراية ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام :
اسكّت أباه ، فأثنا هك بنو إسرائيل لتمطيلهم الحدود ؟ فلما ضرته وفرغ منه قال :
لندعوني فربش بعدها خلّاداً . قال إسحاق : وحدثني مصعب بن الزبير قال : قال الوليد
بعد ما شهدوا عليه فجئله : اللهم إني قد شهدوا عليّ بزور ، فلا تؤسهم عن أمير ،
ولا تؤسهم أميراً ، قال : وقد عكس الخطيبه أبيانها فجعلها مدحاً للوليد :
شهد الخطيبه حين بلى دمه أن الوليد أحقّ بالمدح

(١) ملحق ديوانه ١١٩ ، وبه : « واهر العاق » .

(٢) الأغانى ٤ : ١٧٦ .

كَفَسُوا عَنَّا نَكَ إِذْ جَرَبْتَ وَلَوْ تَرَكُوا عَنَّا نَكَ لَمْ تَزَلْ نَجْرِي
 وَرَأَوْا شَانِلَ مَا حَسِدِ أَيْفِ يُعْطَى عَلَى التَّبْسُورِ وَالْمُسْرِ
 فَزَعَتْ مَكْدُوبًا عَلَيْكَ وَلَمْ تُنْزَعْ عَلَى طَمَعٍ وَلَا دُغْرِ^(١)
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَنُسَخْتُ مِنْ كِتَابِ هَارُونَ بْنِ الرَّبَابِ بِخَطِّهِ ، عَنْ مَرْءٍ بْنِ شَيْبَةَ ؛
 قَالَ : شَهِدَ رَجُلٌ عَمْدَ أَبِي الْعَقَّاحِ - وَكَانَ عَلَى فِئَاءِ الْبُصْرَةِ - عَلَى رَجُلٍ مِنَ التَّمِيطِيِّينَ
 بِشَهَادَةٍ ، وَكَانَ الشَّاهِدُ سَكْرَانًا ، فَذَالَ الشُّهُودَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ التَّمِيطِيُّ : أَعَزَّكَ اللَّهُ أَهْبَا
 الْفَاضِي ، إِنَّهُ لَا يُحَرِّينَ مِنَ الشُّكْرِ أَنْ يَفِرَّ شَيْئًا مِنَ الْفَرَّانِ ، فَذَالَ الشَّاهِدَ عَلَى أَحْسَنِ ،
 قَالَ : فَافْرَأْ ، فَذَالَ :

عَلَى الْقَلْبِ الرَّبَابِ بِعَدِّ مَا شَابَتْ وَشَابَا
 بَعِثْنِ^(٢) بِذَلِكَ ، وَبِحِكْمِي مَا ذَلَّ الْوَلِيدُ فِي الْمَلَاةِ ، وَكَانَ أَبُو الْعَقَّاحِ أَحْمَنَ ،
 فَظَنَّ أَنَّ هَذَا السَّكْرَانَ مِنَ الْفَرَّانِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : سَدَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُسَلِّمُ ، كَمْ
 تَعْمَلُونَ وَلَا تَعْمَلُونَ^(٣)

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأَحْمَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّازِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَرْءُ بْنُ شَيْبَةَ ، عَنْ
 الذَّائِنِيِّ ، عَنْ مَبَارِكِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ هُطَيْرِ بْنِ حَلْبَةَ ، عَنْ أَبِي الْعَتَّاحِ ، قَالَ : كَانَ مَارِسًا مِنْ
 أَهْلِ السَّكُوفَةِ يَشْتَاقُونَ عَثْرَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عَتَبَةَ ، مِنْهُمْ أَبُو زَيْنَبِ الْأَزْدِيِّ ، وَأَبُو مَوْزَعٍ ،
 فَجَاءَ ابْنُ مَارِسٍ وَهُوَ يَحْضُرُ الْوَلِيدُ الْمَلَاةَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَتَلَقَّاهُ حَتَّى عَلِمَا أَنَّهُ بَشَرٌ ، فَانْتَحَلَ الدَّارَ
 فَوَجَدَاهُ بَعِيدًا ، فَاحْتَمَلَاهُ وَهُوَ سَكْرَانٌ حَتَّى وَصَعَاهُ عَلَى سَرِيرِهِ ، وَأَحْذَا خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ ،
 فَأَلْقَاهُ ، فَأَتَفَفَّدَ خَاتَمَهُ ، فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِ ، فَقَالُوا : لَا نَدْرِي ، وَفَدَّرَ ابْنَا رَجُلَيْنِ دَخَلَا عَلَيْكَ

(١) الْأَعْيَانُ ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) بَعِثْنِ : يَقُولُ مَوْلَا لَا يَدْرِي مَا عَاتَنَهُ ؛ وَمَعَهُ الْخَاسِ ؛ وَفِي الْأَعْيَانِ : « وَإِنَّمَا عَاتَنَ » .

(٣) الْأَعْيَانُ ٤ : ١٧٧ ، ١٧٨ .

فاحتَمَلَاكَ فَوَضَّعَاكَ عَلَى سُرْرِكَ . فقال : صفوها لي ، فقالوا : أخذُها آدم ^(١) طُوالَ حَسَنِ
الوجه ، والآخر عريض سُرْبُوعٍ عليه خَبِيعَةٌ ^(٢) ، فقال : هذا أبو زُهَبٍ ، وهذا أبو مَرْوَعٍ ؟
قال : ولقيَ أبو زُهَبٍ وصاحبه عبد الله بن جُبَيْشِ الأَسَدِيِّ وَعَلْفَمَةُ بن زَيْدِ الْبَكْرِيِّ
وغيرهما ، فأخبروهم ، فقالوا : اشخصوا إلى أمير المؤمنين فاعلموه ، وقال بعضهم : إنَّه لا يَمُوتُ
فولكم في أخيه ، فَشَخَّصُوا إِلَيْهِ ، فقالوا : إِنَّا حُتَّاءُ في أمر ، ونحن مُعْرِجُونَ إليك من
أَعْنَانَا ، وقد قيل : إِنَّكَ لَا تَقْبَلُهُ ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الْوَلِيدَ وهو سَكْرَانٌ من
خَمْرٍ شَرِبَهَا ، وهذا خاتمه أَخْذُهُ من يَدِهِ وهو لَا يَمُوتُ . فَأَرْسَلَ عِيَّانٌ إِلَى عَلِيٍّ عليه
السلام فَأَخْبَرَهُ ، فقال : أَرَأَيْتَ أَنْ نُشَخِّصَهُ ، فَإِنَّا شَهِدُوا عَلَيْهِ بِمَحْضَرِّهِ مِنْهُ حَدَّثَهُ . فَكُتِبَ
عِيَّانٌ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَشَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو زُهَبٍ وَأَبُو مَرْوَعٍ وَجُنْدَبُ الْأَزْدِيُّ وسعد
ابن مالك الْأَشْمُرِيُّ ، فقال عِيَّانٌ لِعَلِيٍّ عليه السلام : فَمَا أَبَا الْحَسَنِ فَأَخْبَرَهُ ، فقال عليٌّ عليه
السلام لِلْحَسَنِ ابْنِهِ : فَمَا ضَرْبُهُ ؟ فقال الْحَسَنُ : مَاتَكَ وَلَهُدَا ، بِكُمُوكَ غَيْرُكَ ؟ فقال عليٌّ
لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ : فَمَا ضَرْبُهُ ، فَضَرْبُهُ بِمَحْضَرِّهِ مِنْهُ حَدَّثَهُ ، فَمَا بَاعَ أَرْبَعِينَ
قَالَ : حَسَنُكَ .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمد قال : حدثنا عمر قال : حدثني الدائلي
عن الوفاصي ، عن الزَّهْرِيِّ قال : خَرَجَ رَهْطٌ من أهل الكوفة إلى عِيَّانَ في أمر الوليد ،
فقال : أَكَلْنَا غَضَبَ رَجُلٍ عَلَى أَمِيرِهِ دَمَاءَ الْبَاطِلِ ! لَيْتَ أَصْبَحْتُ لَكُمْ لِأَنْتَكُنَّ بِكُمْ ،
فاسْتَجَارُوا بِإِمَانَتِهِ ، وَأَصْبَحَ عِيَّانٌ فَسَمِعَ مِنْ حُجْبَرَتِهَا صَوْتًا وَكَلَامًا فِيهِ بَعْضُ النِّظْفَةِ ،
فقال : أَمَا يَجِدُ قُتَاتُ الْعِرَاقِ وَمُرَّافُهَا مَلْجَأَ الْإِلَافَةِ عَائِشَةَ ؟ فَسَمِعْتُ ، فَرَفَعْتُ نَعْلَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفَاتَتْ : تَرَكْتُ سَنَةَ مَا حَبَّ هَذَا النَّمْلُ . وَنَسَامِعُ النَّاسِ فَبْجَاءُ وَاحْتِ
مَلَأُوا السَّجْدَ ، فَمِنْ قَائِلٍ : قَدْ أَحْسَنْتَ ، وَمِنْ قَائِلٍ : مَا لِنِسَاءِ هَذَا حَتَّى نَخَاحِمُوهُ

(١) الآدم : الأسير . (٢) الخبيصة : كساء أسود مريح له علفان .

(٣) المحصرة : ما اقتصره الإنسان بيده فأسكس من عما أو مفرقة أو عكارة وما أشبهها .

وَنَصَّارِيًّا بِالنَّمَالِ، وَدَخَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَانَ فَقَالُوا لَهُ:
اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُعْطِلِ الْخُدُودَ، وَاعْزِلْ أَهْلَكَ عَنْهُمْ؛ فَعَمِلَ^(١).

قال أبو الفرج: حدثنا أحمد قال: حدثني عمر، عن المدائني، عن أبي محمد النّاحي،
عن مطر الورداني، قال: فَرِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى الدَّهْبَةِ فَقَالَ لِمَنْ: إِنْ صَلَّيْتُ
صَلَاةَ التَّدَاةِ خَلَّفَ الْوَلِيدُ، قَالَتْ فِي الْعَتَلَةِ إِلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَأُرِيدُكُمْ، فَإِنْ أَجَدُ الْيَوْمَ
نَشَاطًا؟ وَخِمْتُنَا مِنْهُ رَاحَةٌ الْخَرَّ، فَصَرَبَ عُمَانُ الرَّحْلَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: عَطَلْتَ الْخُدُودَ،
وَصَرَبْتَ الشُّهُودَ^(٢).

قال أبو الفرج: وحدثنا أحمد، قال: حدثنا عمر قال: حدثنا أبو بكر الباهلي، عن
بعض من حدثته قال: لَمَّا شَهِدَ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عُمَانَ بِشَرْبِ الْخَمْرِ كَتَبَ إِلَيْهِ بِأَمْرِ
بِالشَّخْصِ، فَخَرَجَ وَخَرَجَ مَعَهُ قَوْمٌ بِمَدِينَةٍ مِنْهُمْ عَدِيٌّ مِنْ حَاشِمِ الطَّافِيِّ، فَقَالَ الْوَلِيدُ
يَوْمًا بِسَوْفِي بِهِمْ، فَارْتَجَمُوا وَقَالُوا: لا نَحْسِنَا قَدْ نَسَبْنَا الْأَخْفَافَ^(٣) وَالشَّوَاتِ مِنْ مُعَنَّوٍ صَافٍ^(٤)

• وَعَرَفَ قَبَائِلَ عَلَيْنَا عُرَافَ •

فَقَالَ عَدِيٌّ: فَأَيْنَ نَذِيبُ بِنَا إِذَنْ! فَأَقَمَ^(٥).

قال أبو الفرج: وَفَدَّ رَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو، عَنْ رَحَالَةَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جُنْدَبِ
الْأَزْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ قَبِيضَ شَهِيدٍ عَلَى الْوَلِيدِ عِنْدَ عُمَانَ، فَلَمَّا أَسْقَمْتُمُنَا عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ حَسَّهَ
عُمَانُ. نِمَ ذَكَرَ بَأْسَ الْخَبَرِ وَضَرْبَ عُنَى عَلَيْهِ السَّلَامِ إِيَّاهُ، وَفَوَّلَ الْحَسَنُ ابْنَهُ: «مَالِكُ
وَلِهَذَا»، وَزَادَ قِيَهُ، وَقَالَ عُنَى عَلَيْهِ السَّلَامِ: لَسْتُ إِفْنً مُسْلِمًا؛ أَوْ قَالَ: مِنَ السَّلَمِينَ.

(١) الأمان: ٤ : ١٧٨ . (٢) الأمان: ٤ : ١٧٨ .

(٣) الأمان: ٤ : الإيجاب ؛ وهو ضرب من العير .

(٤) الأمان: ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩ . (٥) الأمان: ٤ : ١٧٩ .

قال أبو العرج : وأخبرني أحمد ، عن عمر بن رجالة ، أن الشهادة لما تمت قال عثمان
لدي عليه السلام : دونك ابن عمك فأقيم عليه الحد . فأمر علي عليه السلام أبنته الحسن
عليه السلام ، فلم يفعل ، فقال : يكفيك غيرك ! فقال علي عليه السلام : بل ضمت ووثقت
ومجرت ، لم يعبده الله بن جعفر فأجلده ، فقام فجلده ، وعلى عليه السلام بعد حتى بلغ
أربعين ، فقال له علي عليه السلام : أميك حببك ، حلد رسول الله صلى الله عليه وآله
أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ؛ وكنتمها عمر ثمانين ؛ وكل سنة (١) .

قال أبو العرج : وحدثني أحمد ، عن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد
ابن سميد ، قال : وأخبرني بذلك أيضاً إبراهيم بن محمد بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم ،
قالوا جميعاً : لما ضرب عثمان الوليد الحد ، قال : إنك تنصر بني اليوم بشهادة قوم ليقتلوك
علماً قاطعاً (٢) .

قال أبو العرج : وحدثني أحمد بن محمد بن عبد العزيز الموهري ، عن عمر بن شبة ،
عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سميد ، وأخبرني أيضاً إبراهيم بن محمد ، عن
عبد الله ، قالوا جميعاً : كان أبو زبيد الطائي ندباً للوليد بن عتبة أيام ولايته الكوفة ،
فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر حرج عن الكوفة فمروا ، فقال أبو زبيد يتذكر
أبائهم وديارهم :

من يرى الصبر أن تمشي على ظهـ الرؤى خدائهن عجـ !
فأهات والبيت بيت أبي وهـ ب حلا تجن فيه الشـ !
يعرف الجاهل المسأل أن الدمر فيه السكره والزوال
ليت شعري كذاكم العهد أم كا لوا أما كن يزول فرالوا !

(١) الأمان : ٤ : ١٧٩ . (٢) الأمان : ٤ : ١٧٩ .

(٣) ابن أروى ، هو الوليد بن عتبة ؛ وأروى هي أم عثمان بن عثمان .

بمد ما نعلمين يا أمّ عمرو كن فيهم عزّاً وجمالاً
 ووجوه نودنا مشرقاً ونوالاً إذا أريد القول
 أصبح البهت عند تدلّ بالحقّ وجوهاً كأنها الأقيال^(١)
 كلّ شيء بخال فيه الحال غير أن ليس فلاناً احتيالاً
 ولعمري الإله لو كان ليس ف معناه وللسان مقال^(٢)
 ما تناسبتك السماء ولا الودّ ولا حال دونك الإشتال
 ولحرمت لحك النضى مثلاً ضلّ جلمهم ما اغتالوا^(٣)
 فولم شربك الحرام وفدكا ن شراب سوى الحرام حلال
 وأبى ظاهره العداوة والشدة كآني لإمقال ما لا يُفسال
 من رجالٍ نفاصوا مُشكراتٍ ليكلوا الذي أداؤوا فكلوا
 عبر ما طالبين دحلاً وليكن مال دهر على أمانٍ فانوا
 من يخلّك العفاء أو يبتذل أو برل مثل ما يبرول الظلال
 فاعلم أني أحولك أحر الودّ حياني حتى تزل الجبال
 ليس يُخلى عليك يوماً بمال أبداً ما أقلّ سلاً يقال^(٤)
 ولك النعمر باللسان وبالكف إذا كان لليدن مصال^(٥)

قال أبو العرج : وحديثي أحمد قال : حدثني عمرُ قال : لما قدم الوليد بنُ عُتبة
 الكوفة قدم عليه أبو زبيد فأنزله دار عقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، وهي التي

(١) الأقيال : القلوب الخبيثة . وفي الأغاني : « الأقال » جمع قتل ؟ وهو العدو .

(٢) الأغاني : « مصال » ، يقال : مال على فرسه ، وإذا وثب عليه واستطال .

(٣) النضى : لتقطع والنفوق . (٤) قال الكل : رمان بين الإصح وإلى سلبها .

(٥) الأغاني ٤ : ١٧٩ ، ١٨٠ .

تُعرف بدار القِطْلَى ، فكان مما احتجَّ به عليه أهل الكوفة أن أبا زيد كان يخرج إليه من داره وهو نصرانيٌ يَخْتَرِقُ السَّجْدَ فيَحْمِلُهُ طَرِيًّا (١) .

قال أبو العرج : وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله ، عن ابن جبيب عن ابن الأعرابي ، أن أبا زيد وفد على الوليد حين استلمه عثمان على الكوفة ، فأثَّره الوليد دار عَمِيلٍ بن أبي طالب عند باب المسجد ، واستَوَّهَها منه ، فَوَهَبَها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة ، لأنَّ أبا زيد كان يخرج من داره حتى يتسنى المسجد إلى الوليد فيسمرُ عنده ، وبشرب معه ، ويخرجُ فيشُقُّ المسجد وهو سكران ، فذاك مُتَّهِمٌ عليه . قال : وفد كان عثمان ولى الوليد صدقاتِ بني ثعلبة ، فبلغه عنه شمرٌ فيه حلاعة ، فَمَزَلَه . قال : فلما ولَّاه الكوفة أخصَّ أبا زيد الطائي وفرَّبه ، ومدحه أبو زيد بشعر كثير ، وقد كان الوليد يستعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى بها بين الجزيرة وظهر الجزيرة ، فأحدثت الجزيرة ؛ وكان أبو زيد في بني ثعلبة نازلاً ، خرج يبايهم ليربهم ، فأبى عليهم الربيع بن مري ومنهم ، وقال لأبي زيد : إن شئت أزيحك وَخَدَكْ ضَلْتُ ، فأبى أبو زيد إلى الوليد فشكاه ، فأعطاه ما بين النصور الحمر من الشام ، إلى النصور الحمر من الجزيرة ، وحملها له حمى ، وأخذها من الربيع بن مري ، فقال أبو زيد بمدح الوليد ، والشعر بدلًا على أن الحمى كان بيد مري بن أوس ، لا بيد الربيع ابنه ، وهكذا هو في رواية عمر بن شبة :

لدمرُ أبيك يا بن أبي مريٍّ لنيرُك من أباح لنا الدُّبارا (٢)

أباح لنا أبارق دات فور ونرعى القفَّ منها والفقارا (٣)

(١) الأُماني ٤ : ١٨٠ . (٢) الأُماني : د فها الدُّبارا .

(٣) الأُماني : جم الأُمري ، وهو الأُرس القليظة بها حجارة ورمل وعُجْبٌ مختلطة . والقف ما يمس من البقول ونثار حبه وورقه ؛ نراه الإبل ونسبُ عنه .

بحمد الله ثم فتى فريش أبي وهب غدتُ بَدْماً يَغْزُرُ^(١)
أباح لنا ولا نحصى عليك إنا ما كنتم سقاً جزلاً
قال : يقول : إذا أجدبتم فإننا لا نجدبها عليكم ، وإذا كنتم أسانم وحبتموها علينا .
فتى طائفٌ بداه إلى المالى وطحطحت الجذمة الفصارة^(٢)
قال : ومن شعر أبي زبيد فيه بذكر نصره له على مريّ بن أوس بن حارثة :
بأليت شعري بأنياء أتبوها فداكن بمتى بها سُدري وتندبري
عن امرئ ما يزده الله من شرف أفرخ به ومريّ غيرُ سرور
إن الوليد له عندي وحنّ له ودّ الخليل ونصح غير مذخور
لند دعاني وأدعاني وأظهرني على الأعادي بنصر غير تغبر
وشذبة النوم عني غير مكثرت حتى ناهوا على دغم وتسنبر
عسى فداه أبي وهب . وقيل له : يا أمّ مرد فحلتى اليوم أو سيري^(٣)
وقال أبو زبيد بمدح الوليد وبنّاكم لفرانه حين عزّل عن الكوفة :

لعمري لئن أُمسى الوليد ببلدة سواى لند أمسبتُ للدهر ممورا^(٤)
حلا أن رزق الله غدير دراح وإني له راجر وإن سار أشهراً
وكن هو الحصن الذى لبس مسلّى إذا أمانا بالنكراء هينجتُ معشرا
إذا سادقوا دوني الوليد فأنما يردون بوادي ذى حاس مرغرا^(٥)

(١) غزراً : جمع غزيرة ، وهي من الإبل الكثيرة اللبن .

(٢) طحطح الرجل ماله : فرقه . (٣) الأمانى : ٤ : ١٨٠ .

(٤) المور : الذى لا حافظ له .

(٥) ذو حاس : موضع ثغاة عرير ، أو مأسدة . وللزعر : الأسد الورد ، وهذه الأمانى :

خضبتُ بنانٍ ما يزال براكبير يحبُّ وضاحي جلده قد فشتراً

ومى طوبى بصف فيها الأسد^(١) .

قال أبو العرج : وحدثنا أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر عن رحالة ، عن الوليد قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة حمل أهل مكة بأنونه إصمياهم ، فبسطوا لهم بالبركة ، وبمسح يده على رؤوسهم ، فحى نى إليه وأما غنائى ، فلم يمسنى ، وما منته إلا أن أى حافنى بخلوفى ، فلم يمسنى من أجل الخلوف^(٢) .

قال أبو العرج : وحدثنى إسحاق بن بيان الأعمش ، عن خنيس بن مبرر ، عن عبد الله ابن موسى ، عن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الوليد بن عتبة لملى بن أبي طالب عليه السلام : أنا أحد منك سيانا ، وأبسط ملك اسانا ، وأملا للسكنية ؛ فقال على عليه السلام : اسكنك يا فاسق ، فزل القرآن فبهما : ﴿ أفمن كل مؤمنا كن كان فاسقا لا يستون ﴾^(٣)

قال أبو العرج : وحدثنى أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شقة ، عن محمد ابن حاتم ، عن يوسف بن عمر ، عن شيبان ، عن يوسف ، عن قتادة بن أنس قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بليغ فنبشوا ﴾^(٤) . قال : هو الوليد بن عتبة ، يمته النبي صلى الله عليه وآله مصدقا إلى بنى الصطفائى ، فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهاهم ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له : إنهم ليريدوا عن الإسلام ، فبث النبي صلى الله عليه وآله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فلم علمهم ، وأمره أن يفتى ، وقال له : انطلق ولا تعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا ، وأخذ عبوه نحوهم ، فلما جاءوه أحبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمع أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبح أتاهم فرأى ما بهجبه ، فرجع إلى الرسول صلى الله عليه وآله فأخبره ، فزلت هذه الآية^(٥) .

(١) الأعمش ٤ : ١٨٢ .

(٢) سورة الحديد : ١٨ .

(٣) سورة الطه : ١٨٢ .

(٤) سورة الطه : ١٨٢ .

(٥) الأعمش ٤ : ١٨٢ .

قلت : فدفع ابن عبد البر صاحب كتاب " الاستيعاب " في هذا الموضع نكتة حسنة ، فقال في حديث الخلق : هذا حديث مضطرب منكّر ، لا يصح ، وليس يمكن أن يكون من إمام النبي صلى الله عليه وآله مُصدّقاً صديقاً يوم الفتح ؛ قال : ويدل أيضاً على فساده أن الزبير بن بكار وغيره من أهل العلم بالنسب والأخبار ذكروا أن الوليد وأخاه حمارة أبا عتبة بن أبي شبيب خرجا من مكة لبردًا اختبها أم كلثوم عن الهجره ، وكانت هربها في الهدنة التي بين النبي صلى الله عليه وآله وبين أهل مكة ، ومن كان غلاماً محلّناً بالخلق يوم الفتح ليس بحجى منه مثل هذا . قال : ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله عز وجل : ﴿ إِنْ حَاءَ كُفُّمْ فَنَسَفْتُهُمْ فِي أَنْهَارٍ مِنَ الْوَلَدِ ﴾ لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله مُصدّقاً ، فكذب على بني السُعلَقي وقال : إنهم ارتدوا ولمنموا من أداء الصدقة  قال ابن عمر : وفيه وى على عليه السلام نزل : ﴿ أَقْمَرُ كَانَ مُؤْمِياً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ ﴾ ^(١) وفي فتنهما الشهيرة . قال : ومن كان صديقاً يوم الفتح لا يحى منه مثل هذا ، فوجب أن ينظر في حديث الخلق ، فإنه رواية جعفر بن برقان ، عن ثابت ، عن الحجاج ، عن أبي موسى الهمداني ، وأبو موسى مجهول لا يصح حديثه .

ثم نفوذ إلى كتاب أبي الفرج الأصبهاني ؛ قال أبو الفرج : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن عبد الله بن موسى ، عن نعيم بن حكيم ، عن أبي مرزم ، عن علي عليه السلام ، أن امرأة الوليد بن عتبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله فشبكت يده الوليد ، وقالت : إنه يضربها ، فقال لها : ارجعي إليه وفولي له : إن رسول الله قد أجارتني ، فانتظمت ، فكنت ساعة ، ثم رجعت ففالت : إنه

ما أَفْلَحَ عَنِّي ، فَنُطِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُدْبَةً^(١) مِنْ ثَوْبِهِ وَقَالَ : اذْهَبِي بِهَا إِلَى أَبِيهِ وَقُولِي لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهَارَئِي ، « بَطَلْتُ فَكُنْتُ سَاعَةً ثُمَّ رَجَعْتُ » فَتَنَالَتْ : مَا زَادَنِي إِلَّا ضَرْبًا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا بِالْوَلِيدِ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٢) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَاخْتَصَمَ الْوَلِيدُ لِمَا كَانَ وَالِيًا بِالْكُوفَةِ سَاحِرًا كَادَ يَقْنِنُ النَّاسَ ، كَانَ يُرِيهِ كَيْفَتَيْنِ تَقْتَتِلَانِ فَنَحْوِلُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَتَهْرِمُهَا ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَبُشْرُكَ أَنْ أُرِيكَ لِلْهَزْمَةِ تَقْلِبَ النَّالِيَةِ فَتَهْرِمُهَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيَجَاءُ حُدْبُ الْأَرْدَى مُشْتَبِلًا عَلَى سَيْفِهِ ، فَيَقَالَ : أَتُرِي حَوَالِي ، فَأَقْرَحُوا مَصْرَهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، فَجَاءَهُ الْوَلِيدُ فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ زَكَاةً^(٣) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ ، أَنَّ حُدْبًا لَمَّا قَتَلَ السَّاحِرَ حَبَسَهُ الْوَلِيدُ ، فَقَالَ لَهُ دُبَارُ بْنُ دُبَارٍ : فِيمَ حَبَسْتَ هَذَا ، وَفَدَّ قَتْلَ مَنْ أَعْلَنَ بِالسَّحَرِ ؟ دَبَّرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ثُمَّ مَضَى إِلَى أَبِيهِ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْخَدْسِ ، فَأَرْسَلَ الْوَلِيدَ إِلَى دُبَارِ بْنِ دُبَارٍ فَقَتَلَهُ^(٤) .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْخُرَازِيُّ ، عَنْ الدَّائِمِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِمَّادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ رُوْمَانَ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْ قِرَاءَةِ مِيقَاتِ الْمُصْطَلَقِ نَزَلَ رَحْلًا مِنَ الْمَسْلُوبِينَ فَسَاقَ بِالْقَوْمِ وَرَجَزَ ، ثُمَّ آخَرَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، ثُمَّ مَدَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُوَسِّسُ أَصْحَابَهُ ، فَأَقْرَعَ فَسَاقَ بِهِمْ وَرَجَزَ ، وَحَمَلَ يَقُولُ فِيهَا يَقُولُ :

جُنْدَبُ وَمَا جُنْدَبُ وَالْأَفْطَحُ زَيْدُ الْخَلْبَرِ

(١) الْأَسْتِغْبَابُ . (٢) الْأَعْيَانُ ٤ : ١٨٣ .

(٣) الْأَعْيَانُ ٤ : ١٨٣ . (٤) الْأَعْيَانُ ٤ : ١٨٣ .

فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله، ما بلغنا سيرنا مخافة أن نهتك حادثة، أو
تصيبك نكبة، فركب ودنوا منه وقالوا: قلت قولاً لا ندرى ما هو؟ قال: وما ذلك؟ قالوا:
كفنا تقول: جندب وما جندب، والأفطع زيد الخير.

فقال: رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة بفرق بين الحق والباطل،
وتقطع يد الآخر في سبيل الله، ثم يبيع الله آخر حسده بأوله، وكلن زيد، هو زيد بن
صوحان، وقطعت يده في سبيل الله يوم جلولاء، وقتل يوم الجمل مع علي بن أبي طالب
عليه السلام؛ وأما جندب هذا فدخل على الوليد بن عتبة وعنده ساحر يقال له:
أبو شيبان، يأخذ أعين الناس، فيخرج مصارين بعينهم ثم يردّها، فجاء من حلفه
فضربه فقتله، وقال:

الن وليداً وأبا شيبان وابن عيسى راكب الشيطان

• رسول قريون إلى هامان (١)

قال أبو العرج: وقد روي أن هذا الساحر كل يدخل عند الوليد في جوف بفرة
حية، ثم يخرج منها؛ فراءه جندب فذهب إلى بيته، فاشتمل على سيف، فلما دخل
الساحر في البفرة قال حندب: ﴿أَفْقَاتُونَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ ذُهِرُونَ﴾ (٢)، ثم ضرب وسط
البفرة فقطعها وطلع الساحر معها، فدعّر الناس، فسبحته الوليد، وكتب بأمره
إلى عثمان (٣).

قال أبو العرج: فروي أحمد بن عبد العزيز، عن حجاج بن نصير، عن فرّة، عن

(١) الأمان ٤: ١٨٣، ١٨٤. (٢) سورة الأنبياء ٣.

(٣) الأمان ٤: ١٨٤.

محمد بن سبرين ، قال : انطلق جندب بن كعب الأردني فأنزل الساحر بالكوفة إلى السجن ، وعلى السجن رجل نصراني من قتل الوليد ، وكان يرى جندب بن كعب بنوم بالليل ويصيح صائحا ، فوكل بالسجن رجلا ، ثم خرج فسأل الناس عن أفضل أهل الكوفة ؛ فقالوا : الأشعث بن قيس ، فأستضافه ، فجعل يراه بنام الليل ثم يصيح فيدعوه بدائه ، فخرج من عنده وسأل : أي أهل الكوفة أفضل ؟ قالوا : حرير بن عبد الله ، فذهب إليه فوجده بنام الليل ثم يصيح فيدعوه بدائه ، فسئففت القبة ، وقال : رب رب جندب ، وديني دين جندب . ثم أسلم ^(١) .

قال أبو الفرج : فلما رجع عثمان الوليد عن الكوفة أمر عليها سبعة بن المصاح ، فلما قدمها قال : اغسلوا هذا النور ، فإن الوليد كان رجلا نجسا ، فلم يعمده حتى غسل . قال أبو الفرج : وكان الوليد أسن من سبعة بن المصاح ، وأسخى نفسا ، وابن حاسا ، وأرضى عديم ، فقال بمن شعرانهم : *ما كنت شجرة طوبى* ^(٢) .

وجاء ما من بعده سعيد ^(٣) بن نص في الصاع ولا يزيد

وقال آخر منهم :

قررت من الوليد إلى سعيد كأنهل الحجير إذ فرعوا فباروا

يكينا من غريش كل عام أمير محدث أو مستشار

لنا نار تحرقنا فتخشى وليس لهم سوا يخشون ^(٤) .

قال أبو الفرج : وحدثننا أحمد ، قال : حدثنا عمر ، عن الدائني ، قال : قدم الوليد بن

(١) الأغانى ٤ : ١٨٣ . (٢) أول الرجز الأمازي :

* باوئلنا قد ذهب الوليد *

(٣) الأغانى ٤ : ١٨٤ .

عصبة الكوفة في أيام معاوية زائراً للمعبرة بن سبعة ، فأناه أشرافُ الكوفة فسلموا عليه .
 وقالوا : والله ما رأينا بعدك مثلك فقال : أحبباً أم شرّاً ؟ قالوا : بل خيراً ، قال : ولكني
 ما رأيتُ بعدكم شرّاً منكم . فأعادوا التناء عليه ، فقال : بعض ما نأنونُ به ! فوالله إنَّ
 بُغضَكُمْ لثَلَفَ ، وإنَّ حُبَّكُمْ لَصَلَفٌ ^(١) .

قال أبو الفرج : وَرَوَى عُمَرُ بْنُ سُبَيْحٍ : أَنَّ فَيْصَةَ بْنَ جَابِرٍ كَانَ مِنْ كَثَرِ ^(٢) عَلَى الْوَلِيدِ ،
 فقال معاويةُ يوماً لِلْوَلِيدِ وَقَبِيصَةُ عَنْدهُ : يَا قَبِيصَةُ ، مَا كَانَ شَأْنُكَ وَسَأَلُ الْوَلِيدِ ؟ قَالَ :
 حَبْرٌ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَسَلَ الرَّحِمَ ، وَأَحْسَنَ الْكَلَامِ ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ
 سُكْرِهِ وَسُنَنِ تَنَاهٍ ، ثُمَّ عَصِبَ عَلَى النَّاسِ وَغَضِبُوا عَلَيْهِ ، وَكُنَّا مَعَهُمْ ، فَمَا طَالَمُنْ فَصَنَعَهُ
 اللَّهُ ، وَأَمَّا مَظْلُومُونَ فَيَغِيرُ اللَّهُ لَهُ ؟ فَخُذْ فِي عَمَلٍ هَذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الْخُذْبَةَ بُنْيَسِي
 النَّدِيمِ . قَالَ مَعَاوِيَةُ : مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا غَدَاً أَحْسَنَ الْبَيْتِ ، وَبَسَطَ الطَّيْرَ ، وَفَضَّ الشَّرَّ . قَالَ :
 فَأَتَى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ فَاقْبَلْهُ . فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَكَنَ ، فَسَكْتُ
 وَسَكَّتِ النُّوْمُ ، فَالْيَوْمَ مَعَاوِيَةُ بَعْدَ يَسَرَ : مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ يَا قَبِيصَةُ ؟ قَالَ : نَهَيْتَنِي عَمَّا كُنْتُ
 أَحِبُّ فَسَكْتُ عَمَّا لَا أَحِبُّ .

قال أبو الفرج : ومات الوليدُ بنُ عُصَةَ فَوُيِّنَ الرَّقَّةُ ، ومات أبو زُبَيْدٍ هناك ، فدُفِنَا
 جميعاً في موضع واحد ، فقال في ذلك أَشْجَعُ السُّكْنَى وقد مرَّ بِقَبْرِهِمَا :
 حَمِيدٌ عَلَى عِظَامِ أَبِي زُبَيْدٍ وَفَدٍ لَاحِثٍ يَلْفَعُ سُلُودَ
 فَكَانَ لَهُ الْوَلِيدُ نَدِيمَ مِدَنِي فَتَادَمَ فَرُّهُ فَهَبَرَ الْوَلِيدَ
 وَمَا أَذْرَى بَيْنَ تَبَدُّدِ النَّبَا بِحَمْرَةٍ أَمْ بِأَشْجَعِ أَمْ بِزُبَيْدٍ
 فِيل : مِمَّ إِخْوَتُهُ ، وفيل : نُدْمَاؤُهُ ^(٣) .

قال أبو الفرج : وحدثني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن محمد بن رَكْبِنَا الْغِلَاقِي ،

(١) الْأَعْلَامُ ٤ : ١٨٤ . (٢) كَذَا فِي ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤

عن عبد الله بن الصَّحَّاح ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وفد الوليدُ بنُ عتبة - وكان حواداً - إلى معاوية ، فقبل له : هذا الوليدُ بنُ عتبة بالباب ، فقال : والله لبرحمَنٍ مغيظاً غيرَ مُعطى ، فإنه الآن قد أنانا بقول : على ديني وعلى كذا ، اتَّذَنَ له ، فأذن له ، فسأله وتحدَّث معه ، ثم قال له معاوية : أما والله إن كُنَّا نُحِبُّ إتيانَ مالك بالروادي ، ولقد كان يُعجب أميرَ المؤمنين ، فإن رأيتَ أن تهتَ لزيدَ دامل ، قال : هو لزيد ، ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية ، فقال له يوماً : انظرَ بأمرِ المؤمنين في شأني ، فإن علي مؤونة ، وقد أرهني ديني ، فقال له : ألا نسحبُ لفيك وحسبك ، نأخذ ما نأخذُه فتبذُرُه ، ثم لا نتركُ نُسْكُو ديناً ! فقال الوليد : أقبل ، ثم أطلن من مكانه ، صارَ إلى الجزيرة ، وقال بمخاطب معاوية :

فإذا سئلتَ تقول : « لا » وإذا سألتَ نقول : هاتِ
تأنيَ فضالٍ الخضرِ لا تُروى وأنتَ على العُراقِ
أفلا تيميلُ إلى « نعم » أو تتركُ « لا » حتى الماتِ !
وبلغ معاويةَ شُخُوصُه إلى الجزيرة نفاقه ، وكذبَ إليه : أقبل ، فكتبَ :
أهتِ واستمعي كما فد أمرني فأعطِ ميَواتي ما بدا لك وأبجِّلِ
سأحدو ركباني عنك إن عرجني إذا تأنيي أمرٌ كسلُّهُ مُسَكِّلِ
وإن امرؤَ للثاني مِنِّي تطرُّبُ وليس شياً فقلِّ على بفُقِّلِ
ثم رحل إلى الحجاز ، فبث إليه معاويةَ بجماعة (١) .

وأما أبو عمر بنُ عبد البر فإنه ذكرَ في " الاستيعاب " في باب الوليد ، قال : إنَّ له أخباراً فيها شناعةٌ تقطع على سوء حاله ، وفسح أفعاله ، عقرَ الله لنا وله ؟ فلقد كان من رجال فرُبش

ظرفاً وحِلماً وشجاعةً وجوداً وأدباً ، وكان من الشعراء الطبعين . قال : وكان الأحمسي وأبو شبيبة وابن الكلبي وغيرهم يقولون : إنّه كان فارساً شرباً خفراً ، وكان شاعراً كريماً . قال : وأخباره في شربه الخمر وساداته أبا زبيد الطائي كثيرة مشهورة ، وبسمج بنا ذكرها ، ولكننا نذكر منها طرفاً . ثم ذكر ما ذكره أبو الفرج في الأغانى ، وقال : إن خبر الصلاة وهو سكران ، وقوله : « أزيدكم ؟ » خبر مشهور رَوَّته الثقات من نقلة الحديث .

قال أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر الطبري في روايته أنّه نفّس عليه قوم من أهل الكوفة حسداً وتغيّاً ، وشهدوا عليه بشرب الخمر ، وقال : إنّ عثمان قال له : يا أخى أمير ، فإن الله بأجرئك وببوء القوم يأثمك .

قال أبو عمر : هذا الحديث لا يصح عند أهل الأخبار ونقله الحديث ، ولا له عند أهل العلم أصل ؛ والصحيح نبوت الشهادى عليه عند عثمان ، وحلفه الحن ، وإنّ علياً هو الذى جلدّه . قال : ولم يجلد به بيده ، وإنما أمر بجلدّه ، فنسب الجلد إليه .

قال أبو عمر : ولم يروى الوليد من السنة ما يحتاج فيها إليه ، ولكن حادثة بن مضر بن روى عنه أنّه قال : « ما كانت نبوة إلا كل بعدها مثلك »^(١) .

(١) الاستيعاب ١٥٥٢ وما بعدها (طبعة مصر) .

(٦٣)

الأصل :

ومن كتابه عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة ،
وفد بلغه عنه تضييطة الناس عن الخروج إليه لما نذبهم لحرب أصحاب الجمل :

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلِيمِ رَأْيِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَدِيٍّ أَهْلٍ مِنْ نَفْسٍ : أَمَا بَدَأَ ، فَدَعَا بِلَاغِي
عَنْكَ قَوْلَ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رَسُولِي فَأَرْفَعْ ذَبْلَكَ ، وَاسْتَعِذْ بِمِرْرَتِكَ ،
وَاخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَانْدُبْ مِنْ مَعِكَ ، فَإِنْ حَفَفْتَ فَأَنْفُذْ ، وَإِنْ تَعَثَلْتَ فَأَبْصُرْ ،
وَابْنِ اللَّهُ ثَلَاثِينَ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُنْزِلْ حَتَّى يُخَلِّطَ ذُبْدُكَ بِحَارِثِكَ ، وَدَارِثِكَ
بِحَامِدِكَ ، وَحَتَّى تُنْجِلَ عَنْ فِدَائِكَ ، وَتُخَدِّعَ مَنْ أَلَامَكَ ، كَحَدْرِكَ مَنْ خَلَقَكَ ،
وَمَا مَيَّ بِالْهَوْبَةِ الَّتِي تَرَاهُ ، وَلَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى ، يُرَكَّبُ عَمَلُهَا ، وَبَدَلُ
صَمْعُهَا ، وَبُسْطُ جَسَدِهَا . فَأَغْفِلْ عَنْكَ ، وَأَمَّا أَمْرُكَ ، وَخُذْ لِسَبِيكَ وَحَطَّكَ ، فَإِنْ
كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى عِبْرِ رَحْبٍ ، وَلَا فِي بَجَاةٍ ، فَمَا لِحَرِيٍّ لِقَاكَ بَيْنَ وَأَنْتَ تَأْتِمُّ حَتَّى لَا يُقَالَ :
أَيْنَ فُلَانٌ ! وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَنٌّ مَعَ مُحْسِنٍ وَمَا يُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُتَحِدُونَ ! وَالسَّلَامُ .

الشرح :

المراد بقوله : « قَوْلَ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ » ، أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة :
إِنَّ عَلِيًّا إِمَامٌ هُدًى ، وَبَيْتُهُ صَبِيحَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْفِتَالُ مَعَهُ لِأَهْلِ الْفِيلَةِ ، وَهَذَا الْقَوْلُ
بِمَعْنَاهُ حَقٌّ ، وَبِمَعْنَاهُ بَاطِلٌ .

وقوله : « فَرَفَعَ ذَبِكَ » ، أى تَحَرَّى لِمَوْضِعِى وَالْأَحَافِي بِى ، لِنَشْهَدَ حَرْبَ أَهْلِ
الْبَصْرَةِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : « وَأَشَدُّ مِرْرًا » ، وَكَانَ هَا كُنَايَةً عَنِ الْجِدَّةِ وَالْقَشْمِيرِ
فِي الْأَمْرِ .

قَالَ : « وَاخْرَجَ مِنْ جُفْرِكَ » ، أَمْرًا لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَزْلِكِ اللَّحَافِ بِهِ ، وَهِيَ رِكَابَةٌ
فِيهَا غَمَضٌ مِنْ أَبِي مُوسَى وَأَسْنَانَةٌ بِهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ إِعْظَامَهُ لَنَالَ : وَاخْرَجَ مِنْ خِيْبِكَ ^(١) ،
أَوْ مِنْ غِيْبِكَ ^(٢) كَمَا يُقَالُ لِلْأَسَدِ ، وَلَكِنَّهُ حَمَلَهُ نَهْبًا أَوْ ضَبًّا .

قَالَ : « وَانْدُبَ مَنْ مَعَكَ » ، أَيْ ، وَانْدُبَ رَعِيَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَى الْخُرُوجِ مَعِ
وَاللَّحَافِ بِى .

ثُمَّ قَالَ : « وَإِنْ تَحَقَّقْتَ فَاتَّقِ » أَيْ أَمُرُّكَ مَبْنًى عَلَى الشُّكِّ ، وَكَلَامُكَ فِي طَاعَتِي
كَالْمُنَافِضِ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ لَوْ مَطَاعَتِي لَكَ فَالْعَدُوُّ أَيْ سَرُّهُ حَتَّى تَقْدِمَ عَلَيَّ ، وَإِنْ أَقْبَتَ عَلَى
الشُّكِّ فَاعْتَرِلَ الْعَمَلُ ، فَتَدْعُ عَزْلُكَ .

قَوْلُهُ : « وَأَيُّكُمْ لَنْ تُؤْتِيَنَا » مَسْنَاهُ إِنْ أَقْبَتَ عَلَى الشُّكِّ وَالْأَسْرَابَةِ وَتَشْبِيهِ أَهْلِ
الْكُوفَةِ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى وَفْوِكَ لَهُمْ : لَا يَحِلُّ لَكُمْ مَلَّ السَّبَبِ لَا مَعَ عَلَيَّ وَلَا مَعَ طَلْحَةَ ،
وَالزَّمَوُا يَوْمَكُمْ ، وَاسْكُرُوا سَيُوفَكُمْ ، لِبَأْنِيكُمْ . وَأَنْتُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ بِالْكُوفَةِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ
مَعَ طَلْحَةَ ، وَاتَّبِعْتُمْ نَحْنُ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ ، فَجِئْتُمْ عَلَيْكُمْ سِفَانٌ مِنْ أَمَاكُمُ وَمِنْ
خَلِيفَتِكُمْ ، فَتَكُونُ ذَلِكَ لِمَا هِيَ الْكِبْرَى الَّتِي لَا شَوَاةَ لَهَا .

قَوْلُهُ : « وَلَا تَتْرِكْ حَتَّى يَحْلُطَ رُبُّكَ بِخَارِكَ » نَقُولُ لِرُحْلٍ إِذَا ضَرَبْتَهُ حَتَّى أَعْنَتَهُ :
لَنْدَ ضَرَبْتَهُ حَتَّى خَلَطَتْ زُبْدَتُهُ بِخَانِرِهِ ، وَكَذَلِكَ حَتَّى خَلَطَتْ ذَائِبُهُ بِحَامِدِهِ ، وَطَارَزُ
الْبَلْبَنِ الْغَلِيظِ ، وَالزُّبْدُ خِلَاصَةُ اللَّبَنِ وَسَفْوَتُهُ ، فَإِذَا أَعْنَتَ الْإِنْسَانَ ضَرَبَهَا كَفَتْ كَأَنَّكَ

خَلَطَتْ مَا رَأَى وَلَطَفَ مِنْ أَخْلَاطِهِ بِمَا كَثُفَ وَغُلُظَ مِنْهَا ، وَهَذَا مَثَلٌ ، وَمِنَاهُ لَتَفْسُدَنَّ حَالُكَ وَلَتُخْلَطَنَّ ، وَلِيُضْرِبَنَّ مَا هُوَ الْآنَ مُنْتَظَمٌ مِنْ أَمْرِكَ .

قوله : « وَحَتَّى تُنْجَلَ عَنْ قَيْدِكَ » ، النِّعْدَةُ بِالْكَسْرِ هَيْئَةُ النُّمُودِ كَمَا لَجَلَسَةُ وَالرُّكْبَةُ أَيْ وَلِبَاسُكَ الْأَمْرُ عَنْ هَيْئَةِ قُمُودِكَ ، بِصَبِّ شِدَّةِ الْأَمْرِ وَسُوءِهِ .

قوله : « وَنَحْذَرُ مِنْ أَمَلِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْقِكَ » ، بِنِي بَأْنِيكَ مِنْ حَلْفِكَ إِنْ أَقْبَنَ عَلَى مَسِّعِ النَّاسِ عَنِ الْحَرْبِ مِمَّا وَمَعَهُمْ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ ، فَتَكُونُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (إِنْ حَادَّوْكُمْ مِنْ قُوَيْنِكُمْ فَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) (١) .

قوله : « وَمَا هِيَ بِالْمُؤَبَّاتِ الَّتِي تَرَحُّو » ، الْمُؤَبَّاتُ نَصْبُهَا « الْمُؤَبَّاتُ » الَّتِي هِيَ أُنْثَى « الْأُمُورُ » ، أَيْ لَبِستُ هَذِهِ الدَّاهِيَةَ وَالْجَائِثَةَ الَّتِي أَذْكَرُهَا لَكَ بِأُنْثَى الْمُهَيَّنِّ الَّذِي رَجَبُ انْدِجَاعِهِ وَسُوءِهِ .



ثُمَّ قَالَ : بَلْ هِيَ الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى سَتُفْلِمُ لَا مَحَالَةَ إِنْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى مَا أُنْتُ عَلَيْهِ ، وَكُنْتُ عَنْ قَوْلِهِ : « سَتُفْلِمُ لَا مَحَالَةَ » يَقُولُهُ : « يَرْكَبُ جَلِيلًا » وَمَا سَدَّ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا إِذَا رُكِبَ جَلِيلًا ، وَذَلَّلَ مَدَّهَا وَسَهَّلَ وَغَرَّهَا مَدَّ فَعَلَتْ ، أَيْ لَا تَقُلْ : هَذَا أَمْرٌ أَعْظَمُ صَعْبُ الْمَرَامِ ، أَيْ فَصَدَ الْخِيُوشُ مِنْ كُلِّ الْخَاسِرَتَيْنِ الْكُوفَةِ ، فَإِنَّهُ إِنْ دَامَ الْأَمْرُ عَلَى مَا أَشْرَفَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالْجُلُوسِ فِي الْبُيُوتِ ، وَفَوَلَّكَ لَهُمْ : « كُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمُنْتَوَلِ » لِنَفْعِنِي بِمَوْجِبِ مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ ، وَلِبَرْتَكُنِّي أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَهْلَ الْبَصْرَةِ هَذَا الْأَمْرَ الْمُنْتَصِبَ ، لِأَنَّا نَحْنُ نَطْلُبُ أَنْ تَعْلِكَ الْكُوفَةُ ، وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ كَذَلِكَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الْهَرَبَانُ .

ثُمَّ عَادَ إِلَى أَمْرِهِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : « دَعِّقِلْ عَقْلَكَ ، وَأَمْلِكْ أَمْرَكَ » ، وَخُذْ نَصِيحَتَكَ

وَحَظَّكَ » ، أى من الطاعة ، واتباع الإمام الذى لَزِمَتْكَ بِيَعْتَهُ ، فإن كرهْتَ ذلك ،
فَتَنَجَّ من العمل ففد عزَّتْكَ . واهْدُ عَمَّا لَا فِى رَحْبٍ ، أى لَا فِى سَعَةٍ ، وهذا ضدُّ قولهم :
مَرَّحِبًا .

ثم قال : فاجدِ بِرَّ أَنْ نَكُنَّ مَا كُنْتُمْ مِنْ حُضُورِ الْحَرْبِ وَأَنْتُمْ نَائِمٌ ، أى لست
معدوداً عندنا ولا عندَ النَّاسِ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَمُنُّرُ الْحُرُوبِ وَالتَّنْذِيرَاتِ إِلَيْهِمْ ،
فَسُيْنِى اللَّهُ عَنْكَ وَلَا يَهَالُ : ابنُ فلان ؟

ثم أقسم أَنَّهُ لِحَقٍّ ، أى أَتَى فِى حَرْبٍ هَؤُلَاءِ لَمَسَى حَقٌّ ، وَإِنْ مِنْ أَطَاعَنِى مَعَ إِسْلَامِ
مُحَمَّدٍ لَيْسَ يُبَالَى مَا سَمِعَ الْمُتَعَدُّونَ ، وهذا إِنْشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« اللَّهُمَّ أَدْرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ » .



مركز تحقیق و ترویج علوم و معارف اسلامی

(٦٤)

الأنسل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتابه * :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا دَكَرْتُمْ مِنَ الْأَلْعَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَا آمَنَّا وَكُفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَفُضِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ
إِلَّا كَرِهًا ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْبًا
وَدَكَرْتُمْ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالثَّوْبَانَ ، وَشَرَكْتُ بِعَائِشَةَ ، وَتَوَلَّيْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ ،
وَذَلِكَ أَمْرٌ يَنْبَغُ عَنْهُ ، فَلَا عَلَيْكَ ، وَلَا الْعَدْلُ بَيْنَ إِلَيْكَ .

وَدَكَرْتُمْ أَنِّي دَاوَرْتُ فِي حَتَمِ النَّبَاهِجِيِّينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ
أَسِرَ أَحْوَكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِعْ ، فَإِنْ لَمْ يَأْزُكْ فَذَلِكَ حَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ إِنْجَامًا بِمَنْنَى إِلَيْكَ لِلتَّقْمَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ تَوَزَّرَ فَيَكُنَّا قَالِ أَخُو بَنِي أُسْدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ نَصْرَهُمْ بِحَاوِيَةِ بَيْنِ أَعْوَارٍ وَجُلُودٍ
وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِحَدِّكَ وَخَالَكَ وَأَخْبِكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ .

فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتَ الْأَعْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُعَارِبُ الْمُقْلَرِ ، وَالْأَوَّلَى أَنْ يُعَالَ لَكَ :
إِنَّكَ رَهَيْتَ سُلْمًا أَطْلُكَ سَوْدَ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ عِبْرَ ضَائِكَ ،
وَرَهَيْتَ غَيْرَ سَائِحَتِكَ ، وَطَلَسْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مُدِيرِهِ ، فَمَا أَهْمَدَ قَوْلَكَ
مِنْ فِعْلِكَ !

وَقَرِيبٌ مَا أَشْهَتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَحْوَالٍ ! حَمَلْتَهُمُ الشَّقَاوَةَ وَنَعْنَى الْبَاطِلِ ، عَلَى
الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَمْ يَذْقُوا
عَذَابًا ، وَلَمْ يَمُتُوا حَرِيمًا ، يَوْفَعُ سُوءٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَعَى ، وَلَمْ نُنَاسِهَا
الْهُوْبَى .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي مِتَاكَلِ عُثْمَانَ ؛ فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَى ،
أَحْلِكَ وَإِلَانَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فَعَالٍ ، وَأَمَّا نَفْكَ أَلَى فَرِيدٍ ؛ فَإِنَّهَا حُدُودُ الْعَصِي عَنْ اللَّعْنِ
فِي أَوَّلِ الْفِعَالِ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .



البَشْرُ :

[كِتَابُ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ]

أَمَّا الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَيْهِ مَعَاوِيَةُ ، وَهَذَا الْكِتَابُ حَوَابُهُ ، فَهُوَ :

مِنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا بَيْنِي عِبْدُ مَنْفَعٍ لَمْ تَزَلْ تَنْزِعُ مِنْ قَلْبٍ وَاحِدٍ ، وَنَحْرِي فِي حَبْلَةٍ وَاحِدَةٍ ،
إِسْ لَبَّعْنَا عَلَى بَعْضِ مَضَلٍ ، وَلَا لِنَاغْنَا عَلَى فَاغْدِنَا غَرٍّ ؛ كَلَّمْنَا مَوْلَانَا ، وَأَلْعَنَّا حَامِيَهُ ،
وَدَارُنَا وَاحِدَةً ، بِجَمْعِنَا كَرَمَ الْعَرَفِيِّ ، وَبِحُبُونَا شَرَفَ التَّجَارِ ، وَبِحُبِّ فَوْشِنَا عَلَى ضَمِيمِنَا ،
وَبِوَلَايَةِ غَنِيَّتِنَا فَرِيدِنَا ، فَدَخَلْنَا فُلُوبِنَا مِنْ وَعَلِ الْحَسَدِ ، وَطَهَرْنَا أَنْفُسَنَا مِنْ خُبِّ
النَّيْبَةِ ، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى كَانَ مِنْكَ مَا كَانَ مِنَ الْإِدْهَانِ فِي أَمْرِ ابْنِ عَمْسِكَ ، وَالْحَسَدِ لَهُ ،
وَنُصْرَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، حَتَّى قُتِلَ بِمَشْهَدِ مِنْكَ ؛ لَا يَنْفَعُ عَنْهُ بِلْسَانٌ وَلَا يَدٌ . فَلَيْتَكَ

أظهرت نصره ، حيث أسرت خبره ، فكنت كالنمل بين الناس بمنزلة^(١) وإن ضعف ،
 والتبرئ من دمه بدفع وإن وهن ، ولكمك جنس في دلوك تدس إليه الدواهي ،
 وزيل إليه الأضيء ؛ حتى إذا فضبت وطرك منه ، أظهرت ثمانية ، وأبدت ملائكة ،
 وحسرت للأمر عن ساعدك ، وتمرت عن سافك ، ودعوت الناس إلى عسك ،
 وأكرمت أعبان السلج على بيمينك ، ثم كان لك بعد ما كان من فلك شين في السلج
 أبي محمد طالع وأبي عبد الله الزبير ، وما من الوعود بالجنة ، والبشر قاتل أحدهما بالنار
 في الآخرة ، هذا إلى نشر يدك بأثم المؤمنين عائشة وإحلالها محل الهون ، مبتدلة بين أيدي
 الأعراب وفئة أهل الكوفة ، من من مشهر لها ، وبين شامت بها ، وبين ساحر منها .
 ترى ابن عمك كان بهذه لوراء راضيا ، ثم كان يكون عليك ساعطا ، ولك عنه زاجرا !
 أن تؤذي أهله وتشرّد بحليلته ، ونسلك دماء أهل ملته . ثم ترك دار الهجرة التي قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها : « **إِنَّ الدِّينَ لَتَنفَى حَتَّى كَأَنَّكَ تَتْرُكُهَا** »^(٢) خبت الحديبة ،
 فلم يزل في سدح وعده وصدق قوله ، **وَلَقَدْ نَفَى حَتَّى كَأَنَّكَ تَتْرُكُهَا** من ليس بأهل أن
 يستوطنها ، فأثت بين المعريين ، وتعدت عن بركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلا
 من الدبة ، وبجاورة الحوزتين والحيرة عوضا عن محاورة خاتم النبوة ، ومن قبل ذلك ما
 عبث خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياتهما ، فعدت عنهما وألبت عليهما ،
 وامتنعت من بيعتهما ، ورمت أمرهم برك الله تعالى له أهلا ، ورغبت سلما وعرا ، وحلوت
 مقاماً دحشا ، وأدعيت ما لم يمدح عليه ناصرا ؛ ولعمري لو ولّيتها حينئذ لما أزدادت
 إلا فسادا واضطرابا ، ولا أعفيت ولا ابتكها إلا انتشارا ولوندا ؛ لإياك الشامخ بأنّه ،
 الناهب بنسه ، السطيل على الناس بلسانه وبده ؛ وها أنا ساثر إليك في جمع

(١) : « بمنزلة » .

(٢) : « الكبر : وفي بيع فيه الحداد » .

من الهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ، ورماح فخطائية ، حتى بما كوك إلى الله . فانظر لنفسك وللمسلمين ، واذفع إلى قتلة عثمان ؛ فإنهم خاسرنا وخلصناؤك والمهدفون بك ، فإن أبيت إلا سلوك سبيل اللجاج ، والإصرار على النفي والصلال ، فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت بك وفي أهل العراق منك : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قُرْبَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَنْهَارِهَا رِجْعًا رَجْعًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَرَرْتُ بِأَنْهَارِ اللَّهِ فَأَدَقَهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْجُوعُ وَالْخَوْفُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

• • •

ثم تعود إلى تفسير ألقاط الفصل ومعانيه ، قال عليه السلام : لعمرى إنا كما بنينا واحدا في الحاهلية ، لأننا بنو عبد مناف ، إلا أن العروة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله ، فإننا آمنا وكفرتم ، ثم تأكدت العروة اليوم بأننا استقمنا على منهاج الحق وفيتتم .

ثم قال : « وما أسلم من أسلم منكم إلا كرها » ، كأبي سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من بني عبد شمس .

قال : « وبصد أن كان أئمة الإسلام عاربا لرسول الله صلى الله عليه وآله » أى فى أول الإسلام ، يقال : كان ذلك فى أئمة دولة بنى فلان ، أى فى أولها ، وأئمة كل شيء أوله وطرفه ، وكان أبو سفيان وأهله من بنى عبد شمس أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله فى أول الهجرة ، إلى أن فتح مكة ، ثم أجابه عن قوله : « قتل طلحة والزبير ، وشردت بعائشة ، ونزل بين الصريين » بكلام مختصر أعرض فيه عنه

هَوَانًا بِهِ ، فقال : هذا أمرٌ غيبتَ عنه ، فليس عليك كان العدوان الذي فَرَمْتُمْ ، ولا العذرُ إليك لو وجب على العذرُ عنه .

فأما الجواب الفصل فأن يقال : إن طلحة والزبير قَتَلَا أَنْفُسَهُمَا بَيْنَهُمَا وَنَكْتُهُمَا ، ولو استقاما على الطريقة لَسَلِمَا ، ومن قَتَلَهُ الْحَقُّ قَدِمَهُ هَدَرٌ ، وأما كونهما شَيْخَيْنِ مِنْ شِيُوخِ الْإِسْلَامِ فغَبْرٌ مَدْفُوعٌ ؛ وَلَكِنْ الْمَيْبُ بَحْدُثٌ ، وَأَصْحَابُنَا يَدْعَوْنَ إِلَى أَنْفُسِهِمَا نَابًا وَفَارَا الدُّنْيَا نَادِمِينَ عَلَى مَا مَسَعَا ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ نَحْنُ ؛ فَإِنَّ الْأَخْبَارَ كَثُرَتْ بِذَلِكَ ، فَهَمَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِتَوْبَتِهِمَا ؛ وَلَوْ لَا تَوْبَتُهُمَا لَكُنَا هَاهُنَا كَيْفَ هَلَكْتَ غَيْرُهُمَا ، فَإِنَّ اللَّهَ نَمَالٌ لَا يَجَازِي أَحَدًا فِي الطَّاعَةِ وَالنُّتُو ، (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ^(١)) .

وأما الوعد لها بالجنة فشروط بسلامة العاقبة ، والسلام في سلامتهما ، وإذا صحت توبتهما فقد سح الوعد لها ونحفي ؛ وقوله (لا يشر قاتل ابن صفية بالنار) ، فقد اختلف فيه ، فقال قومٌ من أرباب السُّرِّ وَطَائِفَةِ الْحَدِيثِ هُوَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرَ مَرْفُوعٍ ، وَقَوْمٌ مِنْهُمْ جَمَلُهُ مَرْفُوعٌ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهُوَ حَقٌّ ، لِأَنَّ ابْنَ جُرْمُوزَ قَتَلَهُ مَوْلِيًّا خَرَجًا مِنَ الصَّفَةِ ، مَفَارِقًا لِلْحَرْبِ ؛ فَدَفَنَهُ عَلَى نَوْبَةٍ وَإِنَائَةٍ وَرَجُوعٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَفَانَلُ مِنْ هَذِهِ حَالَهُ فَاسَقٌ مُسْتَحَقٌّ لِلنَّارِ ؛ وَأَمَّا أَمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ فَدَفِنَتْ بِتَوْبَتِهَا ، وَالْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي تَوْبَتِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي نَوْبَةِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ ، لِأَنَّهَا عَاشَتْ زَمَانًا طَوِيلًا ، وَهَمَّا لَمْ يَتَّقِيَا ، وَالَّذِي جَرَى لَهَا كَانَ خَطَأً مِنْهَا ، فَأَيُّ دَفْنٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ! وَلَوْ أَفْلُتَ فِي مَرْطَلَا لَمْ يُنْبَذَلْ بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ الْكَوْفَةِ ؛ عَلَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمُهَا وَسَائِبُهَا وَعَظَمُ مَنْ شَأْنُهَا ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مَعَهَا فليطالع كتب الهجرة . وَلَوْ كَانَتْ فَضِلَتْ بِمِثْرِ مَا فَضِلَتْ بِهِ ، وَشَقَّتْ عَصَا الْأُمَّةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ ظَنَرَهَا ، لَفَتَلَهَا وَمَرَّقَهَا إِذَا بِأَيَّاءٍ ، وَلَكِنْ عَلَبَّا كَانَ حَلْبًا كَرِيمًا .

وأما قوله : « لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرئ بك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليته ! » فلعلى عليه السلام أن يغلب الكلام عليه ، فيقول : أقراء لو عاش أكل يرضى لحليته أن تؤذى أخاه ووصيه ! وأبضا أترأه لو عاش أكل يرضى لك يا بن أبي سفيان أن تُتَنَازَع عليا بالخلافة وتغرق جماعة هذه الأمة ! وأبضا أترأه لو عاش أكل يرضى لطلحة والزبير أن ييايما ، ثم ينكثا لا لسب ، بل قلة : جثنا نطلبُ الدرهم ، فقد قيل لنا : إنَّ بالبصرة أموالا كثيرة ! هذا كلام بنوه مثلها !

فأما قوله : « تركت دار الهجرة » ، فلا عيبَ عليه إذا اتعنت عليه أطرافُ الإسلام بالهتئ والنسأد أن يخرج من المدينة إليها ، ويهذب أهلها ؛ وليس كلُّ من خرج من المدينة كان حبشاً ، فقد خرج عنها عمرُ مراراً إلى الشام ، ثم لعلى عليه السلام أن يغلب عليه الكلام فيقول له : وأنت بما عاوية ؛ قد مَنَعَكَ المدينة أبضا عنها ، فأت إفا خبث ، وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين تَمَنَّيْتَهُمْ وَتَوَجَّعْتَ عَلَى النَّاسِ بِهِمْ ، وقد خرج عن المدينة الصَّالحون ، كابن مسعود وأبي ذرٍّ وعبرهما ، ومانوا في بلادٍ نائيةٍ عنها .

وأما قوله : « بعدت عن حرمة الحرمين » ، ومجاورة فبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلام إفتاعى شفيف ، والتواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالح الإسلام ، وتقديم قتال أهل البهتئ على الغام بين الحرمين أولى . فأما ما ذكره من خذلانه عثمان وشمانته به ودعائه الناسَ بعد قتله إلى عهده وإكراهه طلحة والزبير وعبرهما على بيعته فكله دعوى والأمر بخلافها ، ومن نظر كتب الشبر عرف أنه قد بهته وادعى عليه ما لم يقع منه .

وأما قوله : « التوب على أبي بكر وعمر » ، وفعدت عنهما ، وحاولت الخلافة بمرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن علياً عليه السلام لم يكن يجحد ذلك ولا يُسكِرهُ ، ولا ريب

أنه كلن يذمى الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجحظة ، إنما لنعز
كما نقوله الشيعة ، أو لأمر آخر كما بنوه أصحابنا . فأما قوله : « لو وليتها حيثد لفسد الأمر
وأضطرب الإسلام » ، فهذا علم غيب لا يعلمه إلا الله ، ولله لو وليها حيثد لاستظام الأمر
وسلك الإسلام وتمهد ، فإنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره هان
عندهم بتأخره عن الخلافة ، ونفد عمره عليه ، فصغر شأنه في النفوس ، وفرر من تقدمه
في قلوب الناس أنه لا يصلح لما كل الصلاحية ، والاس على ما يحصل في قومهم ، ولو كان
وليها ابتداء وهو على تلك الحالة التي كان عليها أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله
ونك للزلة الرغبة والأخصاص الذي كان له ، لكان الأمر غير الذي رأيناه عند ولايته
بعد عثمان . وأما قوله : « لأنك الشامخ بأهله والناهب بنفسه » ، فقد أسرف في وصفه بما
وسعه به ، ولا شك أن عليا عليه السلام كان عنده أعز ولكن لا هكذا ، وكان عليه
السلام مع زعموه أطف الناس حلقا منكم يوم رسول

• • •

ثم رجع إلى تعبير القاطن عليه السلام ؛ فوله : « ذكرت أنك ذاترى في جمع من
الهاجرين والأنصار ، وقد أقطعت الهجرة يوم أيسر أخوك » هذا الكلام نكذوب له
في قوله : « في جمع من الهاجرين والأنصار » ، أى لبس منك مهاجر لأن أكثر من منك
ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هم أبناء الطلقاء ، ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال
النبي صلى الله عليه وآله : « لا هجرة بعد الفتح » .

وعبر عن يوم الفتح بعبارة حسنة فيما نقرع لغاوبة وأهله بالكفر ، وأثمهم ليسوا
من ذوى الشوايق ، فقال : « قد أقطعت الهجرة يوم أيسر أخوك » ، يعنى يزيد بن أبى
سفيان أيسر يوم الفتح في باب الخدمة ، وكان حرج في عمر من فريش يحاربون ويمتعون

من دخول مكة ، فقتل منهم قومٌ وأسير يزيدُ بنُ أبي سفيان ، أسره خالدُ بنُ الوليد ، فغلبه أبو سفيان منه ، وأدخله داره ؛ فأمن لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : « من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن » .

• • •

[ذكر الخبر عن فتح مكة]

ويجب أن نذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الواقدي في كتاب " النازي " في فتح مكة ، فإن الموضع ينضميه ؛ لقوله عليه السلام : « ما أسلم مسلّكم إلا كرها » ، وقوله : « يوم أسير أخوك » .

قال محمد بن عمر الواقدي في كتاب " النازي " :

« كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد هاجنَ فرسًا في عامِ الحُدَيْبِيَّةِ عشرَ سنين ، وجعل حُرَاعَةً داخلَةً معه ، وجعلت فرسٌ من بني بكر بن عبد مناة من كنانة داخلَةً معهم ، وكان بين بني بكر وبين حُرَاعَةِ يَرَأَى في الجاهليَّةِ ودعاء ، وقد كانت حُرَاعَةٌ من قبلِ حاتمِ عبدِ المطلب بنِ هاشم ، وكان معها كتابٌ منه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يَعْرِفُ ذلك ، فلما نَزَحَ سُلَحُ الحُدَيْبِيَّةِ وأمنَ الناسُ ، سَمِعَ علامٌ من حُرَاعَةِ إنسانًا من بني كنانة يقولُ : أنس بن زُئيم الدؤلي » (١) « بُشِّدَ هجاءُ له في رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فخر به فشجّه ، ففرح أنس إلى فومه فأرام شجته فثار بينهم الشر ، وذاكروا أحقادهم القديمة ، والقوم مجاورون بمكة ، فاستجدت بكر بن عبد مناة (٢) فرُبَّنا على حُرَاعَةٍ ، فن فرسٌ من كره ذلك وقاله لا أنقض عهد محمد ، ومنهم من خفَّ إليه . وكان أبو سفيان أحدَ من كره ذلك ، وكان سفيان بن أمية وخوِطُط بن عبد الدؤي ومُسْكِرُز بن حصص

(١) أ : الدليل . (٢) ب : مناف ، وموايه ، أ : د .

مَنْ أَعَانَ بَنِي بَكْرٍ ، وَدَسَّوْا إِلَيْهِمُ الرِّجَالَ بِالسَّلاَحِ سِرًّا ، وَبَيَّتُوا حُرَاعَةَ لَيْلًا ، فَأَوْقَعُوا بِهِمْ ، فَغَنَمُوا مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا أَسْبَحُوا عَانُوا فَرِيضًا ، فَحَدَّثَتْ فَرِيضٌ أَنَّهَا أَعَانَتْ بَكْرًا ، وَكَذَّبَتْ فِي ذَلِكَ ، وَنَبَرَا أَبُو سُفْيَانَ وَفُؤْمٌ مِنْ فَرِيضٍ مِمَّا جَرَى ، وَشَخَّصَ فُؤْمٌ مِنْ حُرَاعَةٍ إِلَى الدِّينَةِ مُسْتَصْرِخِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَغَامَ عُمَرُ بْنُ سَالِمٍ الْخُرَاعِي فَأَنشَدَهُ :

لَا هُمْ إِنِّي نَاشِدٌ عِنْدَا حِفَّتِ أَبْنَاءُ وَأَيُّهُ الْأَثَلَاءُ (١)
لَكُنْتُ وَالِدًا وَكُنَّا وَلَدًا (٢) نَمَتَ أَسْلَمًا وَلَمْ نَزْعَ بَدَا
إِنَّ فَرِيضًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا وَتَقَضُّوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
مُمْ يَبْنُونَا بِالْوَنْبَرِ هَجَّدَا (٣) نَالُوا الْفُرَانَ رُكْمًا وَشُجَّدَا
وَرَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدًا (٤) أَدَلَّ وَأَقْبَلَّ عَدَا
فَالْعُرُ هَذَاكَ اللَّهُ كَصَرٍّ أَلْقَدَا (٥) وَابْتَغَى عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا (٦)
فِي فَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا (٧) فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ فَدَنْجَرَدَا
• فَرْمٌ لِقَوْمٍ مِنْ فُرُومٍ أَمِيدَا •

نَمْ ذَكَرُوا لَهُ مَا أَتَاهُ الشَّرُّ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّ أَسَى بَنِي دُثَيْمٍ هَجَاكَ ، وَإِنْ سَمِعُوا ابْنَ أُمَيَّةٍ وَفُلَانًا وَفُلَانًا دَسَّوْا إِلَيْنَا رَجَالَ فَرِيضٍ مُسْتَصْرِخِينَ ، فَيَقْتُونَا بِحَزَلِنَا بِالْوَنْبَرِ فَغَنَمُونَا ، وَجِشَاكَ مُسْتَصْرِخِينَ بِكَ ، فَرَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَامَ مُغَضَّبًا بِحَرْبٍ رَدَاهُ وَهَنُولُ : « لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ حُرَاعَةً فَمَا أَنْصُرُ مِنْهُ نَفْسِي ! » .

(١) فِي الْأَسْوَلِ : « الْأَمْثَلَا » وَصَوَابُهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ ٤ : ١٠٠ . وَالْأَثَلُ : الْقَدِيمُ .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : « فَدَكُنْهُمْ وَلَدًا » . (٣) الْوَنْبَرُ : اسْمُ مَاءٍ بَيْنَهُ .

(٤) أَيْدَا : قُرْبًا ؛ وَب : « أَبَدًا » ؛ وَالصَّوَابُ مَا فِي ابْنِ هِشَامٍ .

(٥) الْمَلْدُ : الْمَوْتُ . (٦) الْعَيْلَى : الْعُسْرُ .

قلتُ : فصَادَفَ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله إيتاراً وحُبّاً لنَقْضِ العهد ، لأنه كان يريد أن يفتح مكة وهم بها في عام الحديبية فعُذِرَ ، ثم هم بها في حُمرةِ التَّضْيِيةِ ، ثم وقف لأجل العهد واليمين الذي كان عَقَدَهُ معهم ، فلما جرى ما جرى على مُزَاعاةِ أَعْتَمَشَها .

قال الواقدي : فكتب إلى جميع الناس في أطوار الحجاز وغيرها بأمرهم أن يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمان للهجرة ، فوافَقَهُ الوُقُودُ والقبائل من كل جهة ، فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء عشر حُلُونٍ من رمضان في عشرة آلاف ، فكان المهاجرون سبعائة ، ومهم من الحيل ثلثائة فرس ، وكانت الأنصار أربعة آلاف ، معهم من الحيل خمبائة ، وكانت مُرَبَّةُ أُمِّها ، فيها من الحيل مائة فرس ، وكانت أسلم أربعمائة ، فيها من الحيل ثلاثون فرسا ، وكانت جُمَيْةُ غامخانة معها خمسون فرسا ، ومن سائر الناس غنم عشرة آلاف ، وهم بنو سَعْدِةَ وبنو عَفْلانٍ وإِسْجَعٍ وبنو سُلَيمٍ وبنو كَعْبٍ بن عمرو وغيرهم . ومَتَدَّ للمهاجرين ، ثلاثة ألوية : لواء مع علي ، ولواء مع الزبير ، ولواء مع سعد ابن أبي وقاص ، وكانت الرِّابَةُ في الأنصار وغيرهم ، وكنم عن الناس الخبر ، فلم يعلم به إلا خواصه ، وأما فريش بمكة فتَدَيَّمتْ على ما صنعت بمِزَاحِسة ، وعَرَفَتْ أَنَّ ذلك انقضاء ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم من العهد ، ومَشَى الحارثُ بن هشام وعبدُ الله بن أبي ربيعة إلى أبي سُفْيَانَ فقالا له : إن هذا أمرٌ لا بدَّ له أن يُصْلَحَ ، والله إن لم يُصْلَحَ لا يَرُوعُكُمْ إِلَّا مُحَمَّدٌ في أصحابه . وقال أبو سُفْيَانَ : قد رَأَيْتُ هَذَا بَنَتْ مُتَبِةٌ رَوْبًا كَرِهَتْهَا وَأَقَطَتْهَا ، وخفتُ من شرِّها ، قالوا : ما رَأَيْتُ ؟ قال : رَأَيْتُ كَأَنَّ صَافِلَ من الحُلُجُونِ يَسْبُلُ حَتَّى وَقَفَ بِالْحَنْدِمْةِ مَلْبِئًا ، ثُمَّ كَأَنَّ ذَلِكَ اللِّهْمَ لَمْ يَكُنْ ؛ فَكَرِهَ النُّوْمُ ذَلِكَ وَقَالُوا : هَذَا شَرٌّ .

قال الواقدي : فلما رأى أبو سُفْيَانَ ما رأى من الشرِّ قال : هذا والله أمرٌ لم أُنْهَدِ

ولم أَرِبْ عنه ، لاَ يَجْعَلُ هذا إلَّا على ، ولا والله مشوورت ولا هونت^(١) حبث بلغني ، والله ليُتَزَوَّنَا محمدٌ إن صدقَ ظني وهو صادق ، ومالي بُدٌّ أن آتيَ محمداً فأُكَلِّمَهُ أن يزيدني الهدية ، ويجدد العهد قبل أن يسلِّفَهُ هذا الأمر . قالت فربش : فد والله أصبت ؛ وندمت فربش على ما صنعت بخزاعة وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لابد أن يفرِّقها ؛ فخرج أبو سفيان وخرج معه موثق على داخلين ، وأسرع السير وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ الخبر على وجه آخر ، وهو أنه لما قَدِمَ رَكِبَ خُزَاعَةَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بن قتل مِهم ، قال لهم : بمن يُهْمِسُكُمْ وطلبسكم ؟ قالوا : بنو بكر بن عبد مَنَاة ، قال : كُتِبَ ؟ قالوا : لا ، ولكن هَمَّتْنا بنو مَنَاة فَصَرَّةُ^(٢) ، ورأسهم تَوْفَل بن معاوية التَّمَّاعِي ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأتا باعث إلى أهل مكة فسألتهم عن هذا الأمر ، وعبرتهم في حُصْبَالِهِ فبِثَّ إِلَيْهِمْ ضَمْرَةٌ يُخَيِّزُهم بين إحدى خلال ثلاث : بين أن يَدَّوُوا خُزَاعَةَ ، أو يَبْرُوا من حِلْفِ مَنَاة ، أو يَبِثَّ إِلَيْهِمْ على سواء . فَأَتَاهُم ضَمْرَةٌ فَخَبَّرَهُم بين الخلال الثلاث ، فقال فَرْبَطَةُ بن عبد عمرو الأعمى : أمَّا أن يَدَّيَ فَنَلِي خُزَاعَةَ ، فَإِنَّا إِن دَرَبْنَاهم لَمْ يَبْنُ لَنَا سَدٌّ وَلَا لَبَدٌ^(٣) ، وَأَمَّا أن يَبْرَا من حِلْفِ مَنَاة ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فَبِيلُهُ نَحْجٌ هَذَا الْبَيْتُ أَشَدُّ نَعْلَبًا لَهُ مِنْ مَنَاة ، وَهم حَلَفُوا فَبْرَا من حِلْفِهِمْ ، وَلَسَكُنَّا نَلْبِذُ إِلَيْهِ على سواء . فَنَادَى ضَمْرَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ، وَنَدِمَتْ فَرَبِشُ أَنْ رَدَّتْ ضَمْرَةَ بِمَا رَدَّتْهُ بِهِ .

قال الواقدي : وقد رُوِيَ غَيْرُ ذَلِكَ ؛ رُوِيَ أَنَّ فَرِيشًا لَمَّا نَدِمَتْ عَلَى فَسْلِ خُزَاعَةَ وَقَالَتْ : مُحَمَّدٌ غَاظُنَا ، قَالَ لَهُمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ كَافِرٌ مَرِيضٌ -

(١) ب . « هونت » ، وأثبت ما في أ ، د . (٢) فصرة : أي هم دون غيرهم .

(٣) يقال : ما له سبد ولا لبد ؛ أي لا قليل ولا كثير .

عندهم : إن عندى رأياً ؛ إن عمدا ليس تمزؤكم حتى بُغِزوا إليكم وُبَغِزَكم في خصال كلها أهونَ عليكم من غُرُوء ، قالوا : ما هي ؟ قال : يرسل إليكم أن تَدُوا كَتَفَي خُرَاعة ، أو تَبَزُوا من حِلْف من نَفَضَ المهد وهم بنو ثُقَافَة ، أو ببذ إليكم المهد . فقال النُومُ : آخر بما قال ابنُ أبي سَرَّاح أن يكون ! فقال مُهَيْل بنُ عمرو : ما خُفَلة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف ثُقَافَة ، فقال شَيْبَة بنُ عَمَّانَ المَدَنِي : خُفَلة أخوالك ^(١) خُرَاعة ، ونصبت لهم ! قال سهيل : وأى فريش لم تَلِدْ خُرَاعة ! قال شَيْبَة : لا ، ولكن نَبَوِي قَتَلِ خُرَاعة فهدر أهونُ علينا . فقال مُرَبِّلَة بنُ عبد عمرو : لا والله لا نؤبهم ولا نبرأ عن ثُقَافَة أبَرَّ الرَّبِّ بنا ، وأمرهم لَبِيتَ رَمَنا ، ولكن نَتَبَذُ إليهم على سواء . فقال أبو سُفْيَان : ما هذا بشيء ، وما الرأى ! إلا جَعَدَ هذا الأمر أن نَكُونُ فريش دخلت في نَفَضِ المهد ، أو قطع مَدَنَة ، فإن فعله قومٌ بغير هَوًى منا ولا تَشُورَة ، فاعلموا هذا هو الرأى ، لا رأى إلا الجحد لكل ما كل من ذلك ؛ فقال : أنا أقسم أني أشيد ولم أؤامر ، وأما صادق ؛ فقد كرهت ما سَمِعَتم ، وعرفت أن سيكون له يومٌ حِمَاسٌ ^(٢) ، فاعلموا فريش لأبي سُفْيَان : فأخرج أنتَ بذلك ؛ أخرج .

قال الواقدي : وحدثني عبد الله بن عامر الأسدي ، عن عطية بن أبي مروان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة سبيحة اللبلة التي أوفعت فيها ثُقَافَة وفُرَبنى بخُرَاعة بالونبر : يا عائشة لقد حَدَّثَ اللبلة في خُرَاعة أمر ، فَنَافَتَ عائشة : يا رسول الله ، أتري قريشا يُجْزِي عَنِّي نَفَضَ المهد بينك وبينهم ! أبغضون وفد أفتأثم السيف ! فقال : المهد لأمر بريد الله بهم ، فَنَافَتَ : خبر أم شرَّ يا رسول الله ؟ فقال : خبر .

قال الواقدي : وحدثني عبدُ الجبَد بن حنبل ، قال : حدثني عمران بن أبي ألس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَجْزِي طَرَفَ رِداءه ويقول :

(١) ب : أخوالك ، وما أثبت من أ ، د . (٢) يوم حموس ، أي شديد .

« لَا تُعِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ - بِمَنْ خَزَاعَةُ - فَبِأَنْصُرُ مِنْهُ عَسَى أ » .

قال الواقدي : وحدثني حرام بن هشام ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَكُمْ نِكْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ فَنَدَاهُ كَمْ يَقُولُ : جَدُّ الْمَهْدِ وَزِدْ فِي الْهَدْيَةِ وَهُوَ رَاجِعٌ بِسُخْطِهِ . وقال لَبِي خَزَاعَةُ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ وَأَصْحَابُهُ : ارْجِعُوا وَتَرَفُّوا فِي الْأَوْدِيَةِ ، وَفَافِدْخِلْ عَلَى عَائِشَةَ وَهُوَ مُنْصَبٌ ، فَنَدَاهُ فَدَخَلَ بِفَيْسَلٍ ؛ فَالْتَمَسَتْهُ : فَأَتَتْهُ بِبَنُوْلٍ وَهُوَ بِصَبِّ الْمَاءِ عَلَى رِجْلَيْهِ : « لَا تُعِيرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ » !

قال الواقدي : فَأَمَّا أَبُو سَفْيَانَ فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مَتَخَوِّفٌ أَنْ يَكُونَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ وَرُفُطُهُ مِنْ خَزَاعَةِ سَبَّغَهُ إِلَى الدَّبَّةِ ، وَكَانَ الْقَوْمُ لَمَّا رَجَعُوا مِنَ الدَّبَّةِ وَتَوَانُوا الْأَنْوَاءَ تَرَفُّوا كَمَا أَوْصَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى السَّاحِلِ فَمَارَضَ الطَّرِيقَ ، وَلَزِمَ بِدَيْلُ بْنُ أُمٍّ أَصْرَمَ الطَّرِيقَ فِي تَرْفَعِهِ ، فَلَمَّ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا دَأَمَ أَشْفَى أَنْ يَكُونُوا لِقَاؤًا عَمَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَيْلُ بْنُ الْيَمِينِ عَنْدَهُ ، فَضَامَ الْقَوْمُ : مِنْذُ كَمْ عَهْدُكُمْ يَبْثَرُ ؟ قَالُوا : لَا عَهْدَ لَنَا بِهَا ، فَتَرَفَّ أَهْمُ كُنُوزِهِ ، فَقَالَ : أَمَا مَعَكُمْ مِنْ تَمَرٍ يَبْثَرُ شَيْءٌ نَطْعِمُونَاهُ ، فَإِنْ لَمْ يَبْثَرِ فَضَلًّا عَلَى تَمَرٍ يَهَامُهُ ؟ قَالُوا : لَا ، ثُمَّ ابْتَدَعَ أَنَّهُ تَرَفَّ ، فَقَالَ : يَا بِدَيْلُ ، هَلْ حَثَّ عَمْدًا ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنِّي سَرْتُ فِي بِلَادِ خَزَاعَةَ مِنْ هَذَا السَّاحِلِ فِي فَنِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَفْيَانَ : إِنَّكَ - وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ - بَرٌّ وَأَصْلٌ . فَلَمَّا رَاحَ بِدَيْلُ وَأَصْحَابُهُ جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى أَمَارٍ يَأْتِيهِمْ فَتَقْبَلُهَا فَإِذَا فِيهَا النَّوَى ، وَوَجَدَ فِي مِزْلَمِهِ بَوَى مِنْ غَرِّ حِمَاةٍ كَأَنَّهُ أَلْسِنَةُ الْعَصَافِيرِ ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَنْدُ جَاءَ الْقَوْمُ عَمْدًا . وَأَخْبَلَ حَتَّى قَدِمَ الدَّبَّةَ ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالَ : يَا عَمْدُ ، إِنِّي كُنْتُ عَائِلًا فِي سُلُوحِ الْحَدِيثِ ، فَأَشَدُّ الْمَهْدِ وَزِدْنَا فِي الْمَدَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَلَقَدْ كُنْتُ فَعَمْتُ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَبَلَّكَ كَانَ وَبَلَّكَ حَدَّثَ ؟

فقال : مَآذِ اللَّهِ ! فقال رسولُ الله : فضعن على مَوَاقِفنا ومُسلِحنا يومَ الحُدَيبِية لا قُفَر ولا بُدَل . فقام مِن عنده فدخل على أُمِّته أُمِّ حُبَيْبة ، فلما ذهب ليجلسَ على فراش رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَّفَهُ دَوْنَهُ ، فقال : أُرِغِيتَ بهذا الفراشِ عَنِّي ، أَمْ رَغِبْتَ بِي عَنْهُ ؟ فَنَالَ : بَلْ هُوَ فَرَّاشُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْتِ أَمْرُؤُا نَجِسٌ مُشْرِكٌ . قال : يَا بَنِيَّةُ ، لَهَذَا أَسَاتِيكِ بِمَدِي شَرٍّ ، فَنَالَ : إِنَّ اللَّهَ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ ، وَأَنْتِ يَا ابْنَةَ سَيِّدِ فَرِيشٍ وَكَبِيرِهَا ، كَيْفَ يَتَخَيَّ عَنْكَ فَضْلُ الْإِسْلَامِ ، وَتَبْدَحُ حَجَرًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ ! فقال : يَا عَجِيبَا ! وَهَذَا مِنْكَ أَيْضًا ! أَلَمْ تَرَ مَا كُنَّا يَبْدُو آبَاؤُنَا وَاتَّعَدَّ دِينُ عَهْدٍ ! ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهَا فَتَلَّقَى أَبَا بَكْرٍ ، فَسَكَّمَهُ ، وَقَالَ : سَكَّمْتُ أَنْتَ مُحَمَّدًا ، وَنَحِيرُ أَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ . فقال : أَبُو بَكْرٍ : جَوَارِي حَوَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ تَلَّقَى عُمَرَ فَسَكَّمَهُ بِمِثْلِ مَا كُنَّا بِهِ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ لَوْ وَحِدْتُ ^{وَقَالَ} ^{الْمُسْلِمُونَ} لَقَاتَلْتُكُمْ لِأَعْنَتِهَا عَلَيْكُمْ . قَالَ أَبُو سُوَيْيَانٍ : خُزِيتُ مِنْ ذِي رَجِيمٍ شَرًّا ! ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ ^{وَقَالَ} ^{الْمُسْلِمُونَ} عُمَارُ بْنُ عَفَّانٍ فَقَالَ لَهُ : إِيَّاهُ لَيْسَ فِي الْغُيُومِ أَحَدٌ أَمْسُ بِي رَحْمًا مِنْكَ ، فَرَدَّدْتُ الْهَدَّةَ وَخَدَّدْتُ الْمَهْدَ ، فَإِنَّ صَاحِبَكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ أَبَدًا ! وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ إِكْرَامًا لَصَاحِبٍ مِنْ مُحَمَّدٍ لَأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ عُمَارُ : جَوَارِي حَوَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَادَ أَبُو سُوَيْيَانٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَاطَمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَكَّمَهَا ، وَقَالَ : أَجْبِرِي بَيْنَ النَّاسِ ، فَنَالَ : إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ ، قَالَ : إِنَّ جَوَارِكَ جَائِزٌ ، وَقَدْ أَجَزْتَ أَخْتُكَ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَأَجَازَ مُحَمَّدٌ ذَلِكَ . فَنَالَ خَاطَمَةَ : ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَأَبَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَرَى أَحَدَ هَذَيْنِ أَبَيْتُكَ يُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَالْتَمَسَا صَبِيحَانِ ، وَلَيْسَ بِحَيْرِ النَّصْبِ . فَلَمَّا أَبَتْ عَلَيْهِ أَنَّى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا أَبَا حَسَنَ ، أَجِرْ بَيْنَ النَّاسِ وَكَلِّمْ مُحَمَّدًا لِيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَبَعَثَكَ يَا أَبَا سُوَيْيَانٍ ! إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّمَ

أَلَا بِفَعْلٍ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ بِسَاطِعٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ وَشَيْءٌ بَكَرَّهَهُ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : فَمَا الرَّأْيُ
عِنْدَكَ فَتَنْشُرَ لِأَمْرِي ، فَإِنَّهُ قَدْ ضَاقَ عَلَيَّ ؟ فَرَفَى بِأَمْرٍ نَزَى أَنَّهُ نَافِي ، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : وَلِلَّهِ مَا أَحَدُكَ شَيْئًا يَمُنُّ أَنْ نَنُومَ فَتُجْبِرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَإِنَّكَ سَيِّدُ كِفَاةٍ ،
قَالَ : أَرَى ذَلِكَ مُقْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ عَلِيٌّ : إِنْ لَا أَطْنُ ذَلِكَ وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ
لَكَ غَيْرَهُ . فَنَامَ أَبُو سُفْيَانَ بَيْنَ ظَهْرَيَّ النَّاسِ فَصَاحَ : أَلَا إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ،
وَلَا أَطْنُ مُحَمَّدًا ^(١) يَحْفَرُنِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ مَا أَطْنُ
أَنْ تَرُدَّ جَوَارِيَّ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ؟ وَقَالَ : إِنَّهُ لَمَّا صَاحَ
لَمْ يَأْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَأَسْطَلَّنِي إِلَى مَكَّةَ . وَيُرْوَى أَنَّهُ أَتَانِي
سَعْدُ بْنُ جُبَادَةَ مُسَكِّمَةً فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : يَا أَبَا نَابِتٍ ، قَدْ عَرَفْتُ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ،
وَإِنِّي كُنْتُ لَكَ فِي حَرَمِنَا حَارًا ، وَكَتَبْتُ لِي بِشَرْبٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَنْتَ سَيِّدُ هَذِهِ الدَّرَّةِ ،
فَأَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَزِدْنِي فِي الدُّنَى . فَقَالَ سَعْدُ جَوَارِيَّ جَوَارِيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، مَا يَجِبُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَلَمَّا انْطَلَقَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ
كَانَ طَائِفٌ غَنِيَّةٌ عَنْ فَرَسٍ وَأَبْطَأ ، فَاتَّبَعُوهُ وَقَالُوا : زَاهٍ قَدْ سَبَّاهُ وَلَنَجَّ عَمْدًا سِرًّا ، وَكَتَمَ
إِسْلَامَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى هَنْدٍ لَبَّاهُ قَالَتْ : قَدْ أُحْتَسِبْتَ حَتَّى أَتَيْتُكَ فَرُومًا ، فَإِنِّي كُنْتُ
جِئْتُهُمْ بِدُجُوحٍ فَأَنْتَ الرَّحْلُ . وَفَدَّ كُلُّ دَنَاءٍ مِنْهَا لَبَّاسَهَا ، فَأَخْبَرَهَا الْخَبْرَ وَقَالَ : لَمْ أَحَدٌ إِلَّا مَا قَالَ
لِي عَلِيٌّ ، فَضَرَبْتُ بِرِجْلِي فِي صَدْرِهِ وَقَالَتْ : فَحَسَبَ مِنْ رَسُولٍ قَوْمًا !
قَالَ الْوَأْدِيُّ : لَحَدَّنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِي سَلْبَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَسْبَحَ
أَبُو سُفْيَانَ حَلَّقَ رَأْسَهُ عِنْدَ الصَّغْتَيْنِ : أَسَافَ وَمَائِلَةً ، وَذَكَّجَ لَهَا ، وَجَمَلَ بِسُحِّ بِالْقَمِّ
وَمَوَسِمَهَا ، وَيَقُولُ : لَا أَفَارِقُ عِبَادَتَكَ حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي . قَالَ : فَكُلَّ ذَلِكَ
لِيُرَى نَفْسُهُ مِمَّا أَتَمَّتْهُ فَرِيضَةٌ .

قال الوافدي : وقالت فريش لأبي سُفيان : ما سمعت ؟ وما وراءك ؟ وهل جئنا بكتاب من محمد وزادني في المدة ؟ فإنا لا نأمن من أن يَبْرُؤَنَا ، فقال : والله لقد أتى علي ، ولقد كَلَمْتُ عليه أصحابه فما فَدَرْتُ على شيء منهم ، ورموني بكلمة منهم واحدة ، إلا أن عليا قال لما ضاقت بي الأمور : أنت سيد كيفان ، فأجرت بين الناس ، فدأبت بالحوار ، ثم دخلت على محمد فقلت : إني قد أحرت بين الناس ، وما أظن محمدا برد حوارى ، فقال محمد : أنت تقول ذلك يا أبا سُفيان ! لم يرد على ذلك ، قالوا : ما زاد علي على أن يَلْقَبَ بك تلقبا ، قال : فوالله ما وجدت غير ذلك .

قال الوافدي : فحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن محمد بن جُبَيْرٍ بن مُطْعِمٍ ، قال : لما خرج أبو سُفيان عن المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : جهرينا وأخفى أمرنا . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم خذْ عن فريش الأخبار والسيوِّ حتى ماتَ منهم بئنة ، وروى أنه قال : اللهم خذْ عني أبصارهم فلا يروني إلا بئنة ، ولا يسمعون بي إلا غفلة . قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأُطابَ وحمل عليها الرجال ، ومنع مَنْ يخرج من المدينة ، فدخل أبو بكر على عائشة وهي نائمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسَّ له فمحا سربنا ودفعنا ، ونمرا ، فقال لها : أقم رسول الله صلى الله عليه وسلم يَغْرِؤُ ؟ قالت : لا أدري ! قال : إن كان همَّ يَسْتَرَّ فآذِنَا نَهْبًا له ؟ قالت : لا أدري لعنه أراد بي سُليم ، لعنه أراد تفهينا أو هوازنا ؟ فاستنحمت^(١) عليه ، فدَحَلَ على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أردت سَفَرًا ؟ قال : نعم ، قال : أفأجهر ؟ قال : نعم ، قال : وأين زيد ؟ قال : فربنا ، وأخف ذلك يا أبا بكر ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس فَنَجَّهُوا ، وطوى عنهم الوجه الذي يريد ، وقال له أبو بكر : يا رسول الله ، أو ليس بيننا وبينهم مدة ؟ فقال : إنهم قد رَوُوا ونَقَضُوا العهد ،

(١) قال : استجيم عليه ؟ إذا سكنت ولم يجر جواباً .

غائبا غزيبهم ، فاطور ما ذكرتُ لك ، فكان الناسُ بين طائِفَتَيْنِ بَطْنُ أَنَسٍ يريد سُلَيْمًا ، وطائِفَةٌ بَطْنُ أَنَسٍ يريد هَوَازِنَ ، وطائِفَةٌ بَطْنُ أَنَسٍ يريد تَيْفِيثًا ، وطائِفَةٌ بَطْنُ أَنَسٍ يريد النّامَ ، ويَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ أَبَا فَتَادَةَ بْنَ رَبِيعَةَ فِي نَفَرٍ إِلَى بَطْنِهِ لِيُظْلِمَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ قَدَّمَ أَمَامَهُ أُولَئِكَ الرِّجَالُ لِيُتَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ ، وَلِتُذْهَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ .

قال الواقدي : حدثني النّذيرُ بْنُ سَعْدٍ ، عن يزيدِ بْنِ رُوْمَانَ ، قال : لما اجتمعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ السَّيْرَ إِلَى فَرِيشَ ، وعَلِمَ بِذَلِكَ مَنْ عَلِمَ مِنَ النَّاسِ ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمُ بِأَنَّهُ اجتمعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ وَأَمْرُهُمْ ، وَأَعْطَى الْكِتَابَ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ ، وَفَعَلَ لَهَا عَلَى ذَلِكَ جُنْدًا عَلَى أَنْ يُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا ، صَحَلَتِ الْكِتَابَ فِي رَأْسِهَا ، ثُمَّ مَلَأَتْ عَلَيْهِ فُرُوشَهَا وَحَرَحَتْ بِهِ ، وَأَتَى الْحَرَّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ مِنَ النَّبَاءِ بِمَا صَلَّحَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالزَّيْبِيُّ قَالَ : أَذْرِكُ امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بْنُ كَثَابٍ يُحَدِّثُ قُرَيْشًا ، فَخَرَجَا وَأَذْرَكَاهَا بِذِي الْحَلِيقَةِ ، فَاسْتَفْزَلَاهَا وَانْتَصَا الْكِتَابَ فِي رَحْلِهَا فَمِنْ بَعْدِاشَيْتًا ، فَقَالَا لَهَا : تَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا كَذَبْنَا ، وَلِتُخْرِجَنَا الْكِتَابَ أَوْ لَتَكُنْ شَيْئًا . فَقَالَا رَأَتْ مِنْهُمَا إِلْحَةً حَلَّتْ فُرُوشَهَا ، وَاسْتَخْرِجَتِ الْكِتَابَ فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِمَا ، فَأَقْبَلَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلَهُ ، فَعَدَا حَاطِبًا وَقَالَ لَهُ : مَا حَكَمْتَ عَلَى هَذَا ؟ ضَالٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَمْ أَسْلَمْ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَيَّرْتُ وَلَا بَدَلْتُ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ أَمَلٌ وَلَا عَشِيرَةٌ ، وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ أَهْلٌ وَقَوْلٌ ، فَصَانْتُهُمْ . فَقَالَ عَمْرٌ : فَاتَّقِ اللَّهَ ! تَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذُ بِالْأَنْثَاءِ وَتَكْتُبُ إِلَى فَرِيشَ تُحَدِّثُهُمْ ! دَفَعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّهُ قَدْ نَافَقَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وآله : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : امضوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! قال الواقدي : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة بالآلوبة المعقودة والرايات بعد العصر من يوم الأربعاء لثلاث خلوة من شهر رمضان لم يحمل عنده حتى انتهى إلى الصلصل^(١) ، والمسلمون يهودون الخليل ، وقد استنوا الإبل ، وقدم أماته الزبير بن العوام في مائتين ؛ قال : فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء ، فقال : إني لأرى السحاب نسفيل^(٢) بنصر بني كعب - بمعنى خزاعة .

قال الواقدي : وساء كعب بن مالك لبئام أي جمعة بقصد ؟ فبرك بين يديه على ركبتيه ، ثم أنشده :

فَصَبْنَا مِنْ يَهَامَةٍ كُلِّ نَعْفٍ^(٣) وَخِصْبٍ نَمَّ أَحْمَيْنَا الشَّيْوَافَا
فَسَاتِلُهَا وَلَوْ نَلَفْنَا لَنَلْنَا كَوَاضِيَهُنَّ دَوْسًا أَوْ تَقِيهَا
فَلَسْنَا بِمَخَاضِرٍ إِنْ لَمْ نَرَوْهَا سَاحَةً فَارَكَمَ مَهَا أَلُوفَا
فَنَشْرَعَ الْخِلْبَامَ يَبْقُرُ وَتَرَّ وَنَزَلْنَا دُورَكُمْ مِنْهَا حُلُوفَا

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يزد على ذلك ، فجمل الناس يقولون : والله ما بينك لك رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً ، فلم نزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران .

قال الواقدي : وخرج العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله صلى الله عليه وآله علناً منهما أنه بالدينه بربان الإسلام ، فلقياه بالثقيفا .

(١) صلصل : بنواحي المدينة على سعة أميال منها ؛ نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح . والنوت .
(٢) نسفيل السحاب ؛ إذا كثرت أصبابه .
(٣) النعب : النحر .

قال الواقدي : فلما كانت الليلة التي أصبح فيها بالبحفة رأى فيها أبو بكر في منامه أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه قد دنوا من مسكة فخرحت عليهم كذبة نور^(١) فلما دنوا منها استلقت على فقامها ، وإذا أطباؤها^(٢) تشخب لبنا . فقصمها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ذهب كتبهم ، وأقل دَرهم ، وهم سائمون بأرحامهم ، وأنهم لأقون بمفسهم ، فإن لنينم أبا سفيان فلا تفتنوه ،

قال الواقدي : وإلى أن وصل مرَّ الظهران لم يبلغ فريشاً حرف واحد من حله ، فلما زل بمرَّ الظهران أمر أصحابه أن يؤدوا النار ، فأودوا عشرة آلاف نار ، وأجمت فريش أن يمشوا أبا سفيان بنجنس لم الأخيار ، نارج هو وحكيم بن حزم وبديل بن ورقاء . قال : وقد كان العباس بن عبد المطلب قال : واسوء مساح فريش ! والله إن دخلها رسول الله صلى الله عليه وآله سؤ : إنه لملأه فريش آخر الدهر ! قال العباس : فأخذت بقله رسول الله صلى الله عليه وآله السبأ ، فركبها ، وفلت من الناس عطفاً أو إسائاً أمته إلى فريش فركبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يدخلها عليهم سؤ : فوالله إني لفي الأراك لئلا أجنى ذلك إذ معمت كلاماً بقول : والله إن رأيت كاثمة ناراً ، قال : يقول بديل بن ورقاء : إنما نيران خراقة جاشها^(٣) الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خراقة أدك من أن تكون هذا برأسها وعسكرها ؟ ففرت سؤنه ، فقلت : أبا حنظلة ! فترق سؤي ، فقال : لبيك أبا الفضل ! فقلت : وبجك هذا رسول الله في عشر آلاف ، وهو مصبحكم ! فقال : بأبي وأمي ، فهل من حيلة ! فقلت : نعم ، ركب نحر هذه البقلة ، وأذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه إن ظفر بك دون ذلك ليقنلنك ! قال : والله أما أرى ذلك ، فركب حلقى ، ورحل

(١) نور : تلميح .

(٢) الأطبا : حطت الضرع من ذات المات والسلف والحمار .

(٣) جاشها الحرب : أفرعها .

جُدِيلَ وَحَكِيمَ فَخَوَّجَتْ بِهِ فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نيرانِ السَّالِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فإِذَا رَأَوْنِي قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَهْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عَمْرِ بْنِ الخطَّابِ ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فقلتُ : العَبَّاسُ ، فَذهبَ يَنْظُرُ فَرَأَى أَبَا سُفْيَانَ حَتْنِي ، فقالَ : أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ ! نِمَّ حَرَجٌ بِشِدَّةِ نَحْوِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَرَكَعَتِ الْبَهْلَةُ حَتَّى أَجْتَمَعْنَا جَمِيعًا عَلَى بَابِ قُبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلْتُ وَدَخَلَ عَمْرُ بْنُ الخطَّابِ عَلَى أَثَرِي ، فقالَ عَمْرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي أَصْرَبَ عَنْهُ ، فقلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ قَدْ أَجْرَتْهُ ، نِمَّ لَزِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلتُ : وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِ الْبَهْلَةُ أَحَدٌ دُونِي ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرُ فِيهِ قُلْتُ : مَهْلًا يَا عَمْرُ ! فَإِنَّهُ لَوْ كُنَّ رِحَالَتَيْنِ عِنْدِي مِنْ كُتُبِ مَا فَتَكَ هَذَا ، وَلَكِنَّهُ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ . فقالَ عَمْرُ : مَهْلًا يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، كَوَالِ اللَّهِ لَإِسْلَامِكَ كَانِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الخطَّابِ . أَوْ قَالَ : مَنْ إِسْلَامَ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الخطَّابِ - لَوْ أَسَامَ ؟ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اذْهَبْ بِهِ فَدَعْ أَجْرَ مَا ؛ فَلْيَيْتُ عِنْدَكَ حَتَّى نَتَدَوَّ بِهِ عَلَيْنَا إِذَا أَصْبَحَتْ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ غَدَوْتُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ! أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! قَالَ : يَا ابْنُ أُنْتِ مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَمَلَكَ ! قَدْ كُنَّ بَيْعٌ فِي نَفْسِي أَنْ لَوْ كُنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ لَأَعْنَى ؛ قَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : يَا ابْنُ أُنْتِ مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَعْظَمَ عَمَلَكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَوَاللَّهِ إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَشَيْئًا بَدُءُ ، قَالَ الْعَبَّاسُ : فقلتُ وَيْحَكَ ! تَتَنَهَّدُ وَفِي لَإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُقْتَلَ . فَتَشْهَدُ . وَقَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَبَا سُفْيَانَ وَفِيهِ الشَّرُّ وَالْفَخْرُ ، فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا ، فقالَ : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، ثُمَّ قَالَ : حَذُّهُ فَأُحْسِنُ بِمُغْنِيكَ الْوَادِي إِلَى حَطْمِ الْجَبَلِ

حتى تمر عليه جُود الله فبرها . قال العباس : فمدتُ به في مَضِيح الوادي إلى خُظم
الجبل فحسنته هناك ، فقال : أَعْدَدْتُ لِي هَانِم ! فقلتُ له : إن أهل النبوة لا يَبْذَرُونَ ،
وإنما حَبَسْتُكَ لِحَاجَتِي ؟ قال : فلهَا بَدَأَتْ بِهَا أَوَّلًا فَأَعْلَمْتُ بِهَا ، فكان أَخْرَجَ لِرُوحِي ! ثُمَّ
مَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى قَادِيَتِهَا ، وَالْكِنَانُ عَلَى رِأْسِهَا ، مَكَانَ أَوَّلِ مَنْ سَمَرَ بِهِ حَلْدُ بْنُ
الْوَلِيدِ فِي بَنِي مُثَلِّمٍ ، وَهَمُ أَفْ ، وَلَهُمْ لَوَاءُنَ يَحْمِلُ أَحَدُهُمَا الْقَتَّاسُ بْنُ مَرْذَاسٍ وَالْآخَرُ
خُفَّافُ بْنُ نُذْبَةَ ، وَرَايَةَ يَحْمِلُهَا الْقُدَادُ ، فقال أَبُو سُفْيَانَ ، يَا أَبَا الْعَصَلِ ، مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال :
هَؤُلَاءِ بَنُو سُلَيْمٍ ، وَعَلَيْهِمْ خَلْدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قال : الْعَلَامُ ؟ قال : نَمَ ، فَلَمَّا جَادَى خَلْدُ
الْعَبَّاسَ وَأَبَا سُفْيَانَ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَكَبَّرُوا مَعَهُ ، نَمَ مَضُوا . وَمَرَّ عَلَى أَرْزِ الرَّبْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي
خُسَيْمَةَ ، فَهَبَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْهَاحِرِيِّينَ وَفَوْمٌ مِنَ أَقْبَادِ النَّاسِ ، وَمَعَهُ رَايَةُ سُدُودٍ ، فَلَمَّا حَازَاهَا
كَبَّرَ : ثَلَاثًا وَكَبَّرَ أَصْحَابُهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الرَّبْرِ ، قال : ابْنُ أَخْتِكَ ! قال : نَمَ ،
قال : نَمَ مَرَّتْ بِهِ بَنُو غِفَارٍ فِي ثَلَاثَةٍ يَحْمِلُ بَيْنَهُمْ أَبُو دَرَجٍ . وَبَقَالَ : لِعَاءُ بْنُ رَحِصَةَ . فَلَمَّا
حَازُوهَا كَبَّرُوا ثَلَاثًا ، قال : يَا أَبَا الْعَصَلِ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : بَنُو عِصَارٍ ، قال : مَالِي
وَلِبْنِي غِفَارُ ! نَمَ مَرَّتْ بِهِ أَسْلَمُ فِي أَرْضِ مَنَاءَةَ يَحْمِلُ لَوَاءَهَا زُهْدُ بْنُ الْحَصْبِ ، وَلَوَاءُ آخَرُ مَعَ
نَاحِيَةِ بْنِ الْأَحْجَمِ ، فَلَمَّا حَازُوهَا كَبَّرُوا ثَلَاثًا ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَسْلَمُ ، فَقَالَ : مَالِي
وَأَسْلَمُ ! مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ رِيٌّ قَطُّ ، ثُمَّ مَرَّتْ بَنُو كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَّائَةَ فِي خُسَيْمَةَ
يَحْمِلُ رَابِعَهُمْ بَشْرُ بْنُ سُفْيَانَ ، فَقَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قال : كَعْبُ بْنُ عَمْرِو ، قال : نَمَ حَلْدَةُ
عُمْدٍ ، فَلَمَّا حَازُوهَا كَبَّرُوا ثَلَاثًا . ثُمَّ مَرَّتْ مَرْيَسَةُ فِي أَلْبِ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَلْوَبَةٍ مَعَ التَّمَنِ
ابْنِ مَقْرَنٍ ، وَبِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَسَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ، فَلَمَّا حَازُوهَا كَبَّرُوا ، قال : مَنْ
هَؤُلَاءِ ؟ قال : مَرْيَسَةُ ، قال : يَا أَبَا الْعَصَلِ ، مَالِي وَلِزَيْنَةَ ، فَعَدَّ بَاءُ شَيْءٍ تَقْتَضِعُ مِنْ شَوَاهِنِهَا ^(١) .

ثمَ مَرَّتْ جُيَيْتَةٌ فِي ثَمَاعِثَةٍ ، فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلْوَبَةٍ مَعَ مَعْبِدِ بْنِ خَالِدٍ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَخْرٍ ،
وَرِافِعُ بْنُ مُكَيْثٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدْرٍ ، فَلَمَّا حَادَوْهُ كَبَرُوا ثَلَاثًا فَسَأَلَ عَنْهُمْ ، فَنُصِّلَ :
جُيَيْتَةٌ . ثُمَّ مَرَّتْ بَنُو كَثَافَةٍ وَبَنُو لَيْثٍ وَسُتْرُفُسَيْدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي مَائَتَيْنِ ، بِحِمْلِ لُؤَاءٍ ،
أَبُو وَافِدٍ اللَّبَيْثِيُّ ، فَلَمَّا حَادَوْهُ كَبَرُوا ثَلَاثًا ، قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : بَنُو بَكْرٍ . قَالَ : نَمِ أَهْلُ
شَوْمِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ غَزَانَا مُحَمَّدٌ لِأَجْلِهِمْ ! أَمَّا وَاللَّهِ مَا شُورَتْ فِيهِمْ ، وَلَا عُلِمَتْ ، وَلَقَدْ كُنْتُ
لَهُ كَارِهَا حَيْثُ بَلَغَنِي ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَهُمْ^(١) ، قَالَ الْمَتَّاسُ ، لَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ لَكَ فِي غَزْوِ مُحَمَّدٍ
إِيَّاكُمْ ، وَدَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ كَافَّةً ، ثُمَّ مَرَّتْ أَشْجَعُ . وَهُمْ آخِرُ مَنْ مَرَّ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ
كُتَيْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ بِحِمْلِ لُؤَاءٍ مَعْلُ بْنُ سَيْثَانَ ، وَلُؤَاءُ آخِرُ مَعَ
نَمِ بْنِ مَسْمُودٍ فَكَبَرُوا . قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : أَشْجَعُ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ كَانُوا أَشَدَّ
الْعَرَبِ عَلَى مُحَمَّدٍ ، قَالَ الْمَتَّاسُ : نَمِ ! وَلَكِنَّ اللَّهَ أَحْلَلَ الْإِسْلَامَ ظُهُبَهُمْ ! وَذَلِكَ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ . فَسَكَتَ . قَالَ : أَمَّا مَرَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَا ، وَلَوْ رَأَيْتَ الْكُتَيْبَةَ الَّتِي هِيَ فِيهَا
رَأْبَتُ الْحَدِيدِ وَالْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ ، وَمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ بِهِ طَافِعٌ ، فَلَمَّا طَلَعَتْ كُتَيْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْخَضِرَاءُ طَلَعَ سَوَادٌ شَدِيدٌ وَغَبَرَةٌ مِنْ سَنَابِكِ الْخَلِيلِ ، وَجَعَلَ النَّاسُ
يَعْرَوْنَ ، كُلٌّ ذَلِكَ يَقُولُ : أَمَّا مَرَّةٌ مُحَمَّدٌ نَعْدُ ؟ فَيَقُولُ الْمَتَّاسُ : لَا ، حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْرٍ عَلَى نَافَتِهِ الذُّصَوِيِّ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَأَسِيدِ بْنِ حُذَافٍ ، وَهُوَ بِحَدِيثِهِمَا ،
وَقَالَ لَهُ الْمَتَّاسُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَتَمَتِهِ الْخَضِرَاءُ ، فَأَنْظِرْ ، قَالَ :
وَكَلَنِي نَلِكُ السَّكَنِيِّ فُحْوَهُ لِلْهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَفِيهَا الْأَلْوَبَةُ وَالرَّائِيَتُ ، وَكَلَمَهُمْ مُنْغَمِسُونَ
فِي الْحَدِيدِ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْخَدْفُ ، وَلِعَمْرٍ بَيْنَ الْخَطَّابِ فِيهَا زَجَلٌ^(٢) وَعَلِيهِ الْحَدِيدُ ،
وَسُونُهُ خَالٌ ، وَهُوَ بَرَّعُهَا ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، مِنْ هَذَا الْمُشْكَلُ ! قَالَ : هَذَا

عمرُ بن الخطاب؛ قال: لقد أمرُ بني عدي بدمِ فلانة وذِئبة فقال: إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمرَ ممن رفعه الإسلام، وكان في الكتبة ألفا دارع، وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعد بن عبادَةَ، وهو أمام الكتيبة، فلما حاذها سعد نادى: بأبا سفيان:

اليومَ يومُ الملحمةِ اليومَ تُسبى الحرمةُ

اليومَ أذلَّ الله فريشا، فلما حاذها رسول الله صلى الله عليه وآله ناداه أبو سفيان: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ إن سعدا قال:

اليومَ يومُ الملحمةِ اليومَ تُسبى الحرمةُ

اليومَ أذلَّ الله فريشا، وإني أنشدك الله في قومك هانت أبرُّ الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس. فقال عمارُ بن عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، إننا لا نأمنُ سعدا أن يكون له في فريش سؤلة، موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وناداه، بأبا سفيان، بل اليومَ يومُ المرحمة، اليومَ أعزَّ الله فريشا، وأرسل إلى سعدٍ فمزَّله عن القواء. وأختلفَ فبين دَفَعَ إليه اللوا، فنبل: دَفَعَهُ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فذهب به حتى دخل مكة، ففرَّزَه عند الركن - وهو قول ضرار بن الخطاب الظهري - وقبل: دَفَعَهُ إلى قيس بن سعد بن عبادَةَ - ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يُخرجْه عن سعد حيث دَفَعَهُ إلى ولده، فذهب به حتى فرَّزَه بالحبون؛ قال: وقال أبو سفيان للعباس: ما رأيت مثل هذه الكتبة قط، ولا أحبره خبر، سبحان الله! ما لأحد همؤلاه طافة ولا بدان! لقد أسحى ملك ابن أخيك باعبس عظما، قال: فقلت: وبُحِكَ! إنه ليس بملك، وإنها النسوة؛ قال: نعم.

قال التوافدي: قال العباس: فقلت له: أنفع وبُحِكَ، فأدرك قومك قبل أن يدخل

عليهم ؛ فخرج أبو سُفْيَانٍ حَتَّى دَخَلَ مِنْ كَدَاءٍ وَهُوَ يُنَادِي : مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ
 آمِنٌ ، وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، حَتَّى أَتَى إِلَى هِنْدٍ بِنْتِ عُثْبَةَ ، فَتَالَتْ : مَا وَرَاءُكَ ؟
 قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، عَلَيْهِمُ الْحَدِيدُ ، وَفَدَّ حَتْلُ لِي أَنَّهُ مِنْ دَخَلِ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ ،
 وَمَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، فَتَالَتْ : فَبَحِّثْ لَكَ مِنْ رَسُولٍ
 فَوَم ! وَجَمَلْتُ فَقَوْل : وَبِحَكْم ! ائْتِلُوا وَاعِدْكُمْ فَذَمَّهَ اللَّهُ مِنْ وَافِدِ فَوَم ! فَيَنْوَلُ أَبُو سُفْيَانَ :
 وَبِحَكْم ! أَلَا نَفَرْتُمْ هَهُنَا مِنْ أَيْتُمْكُمْ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ مَا لَمْ تَرَوْا : الرِّجَالُ ، وَالسُّكْرَانُ ،
 وَالسَّلَاحُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ هَذَا طَائِفَةٌ ، مُحَمَّدٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَاسْلِمُوا نَسْلُوا . وَقَالَ الْمُرَدُّ فِي
 « السَّكَاكِلِ » : أَمْسَكَتُ هِنْدَ بَرَأْسِ أَبِي سُفْيَانَ وَقَالَتْ : لَيْسَ طَلِيعَةُ الْفَوْزِ ! وَاللَّهِ مَا خَدِشْتُ
 خَدِشًا ، يَا أَهْلَ مَكَّةَ ، عَلَيْكُمْ الْحَمِيَّةُ الدَّمُ فَاقْبَلُوا . قَالَ : الْحَمِيَّةُ : التَّزَيُّ الْمَرْفُوعُ .
 قَالَ الْوَالِدِيُّ : وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى دِي طُرَيْ بِطُرُونٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
 وَاصْوَى إِلَى سَعْدِ بْنِ أُمَيَّةَ وَعِزْرَةَ بْنِ أَبِي حَصَلٍ وَشَيْلِ بْنِ عَمْرِو هَاشِمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ
 بَنِي بَكْرٍ وَهَدَّيْلٍ ، فَلَمَّسُوا السَّلَاحَ ، وَأَقْسَمُوا لَا يَدْخُلُ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ عَنَوةً أَبَدًا . وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ
 بَنِي الدَّوْلِ يَقَالُ لَهُ : هَاشِمُ بْنُ فَيْسٍ بْنِ خَالِدِ الدَّوْلِيِّ لَمَّا صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 حَكَمَ بِصُلْحِ سِلَاحِهِ ، فَتَالَتْ لَهُ أَمْرَانَهُ : لَمْ نَعِدْ السَّلَاحَ ؟ قَالَ : لِحَمْدِ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو
 أَنْ أُخْدِمَكَ مِنْهُمْ خَادِمًا ، فَإِنَّكَ إِلَيْهِ مَحْتَاجَةٌ ، تَالَتْ : وَبِحَكِّ لَا تَفْعَلُ إِلَّا تَقَاتِلَ مُحَمَّدًا ،
 وَاللَّهِ نَبِضَلَنَّ هَذَا عَنْكَ لَوْ وَابَتْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ؟ قَالَ : سَرَّيْنِ ، وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى مَاقِسَةِ الذَّمِّ مَعْنَجِرًا ^(١) يُبْرِدُ حَبْرَةً ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَادُ ، وَرَابِئَةُ
 سُودَادُ ، وَلَوَازُهُ أَسْوَدُ ، حَتَّى وَقَفَ بِدِي طُرَيْ ، وَنَوَسَطَ النَّاسَ ، وَإِنْ عُنْتُونَهُ لَيْسَ وَاسِطَةٌ
 الرِّجْلُ ، أَوْ يَهْرُبُ مِنْهُ نَوَاسِطًا فَهِيَ حَيْثُ رَأَى مَا رَأَى مِنَ الْفَنَنِ وَكَثْرَةِ السَّلَاحِ ، وَقَالَ :
 لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ .

(١) معجراً : لا بأس .

وجعلت الخيلُ نَجْجَ بذي طُوًى في كلِّ وَحْه ، ثم ثابَتْ ومكثَتْ ، وانثقت رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله إلى أُسَيْدِ بْنِ حُنَيْرٍ ، فقال : كيف قال حَتَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ؟ قال : فَأَنْتَدَهُ :

عَقِمْنَا حَيْلَنَا إِنْ لَمْ نَزَوْهَا نُثْبِرُ النُّفْعَ مَوْعِدُهَا كَدَّاهُ (١)

تَدَلَّى حَيْدُنَا مَنَاطِرَاتٍ نَأْطُسُهَا بِالْخَوْرِ النَّسَاهُ (٢)

فَتَسَمَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله ، وحمد الله ، وأمرَ الزُّبَيْرَ بْنَ السَّوَامِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كَدَّاهُ ، وأمرَ خَالَتَهُ ابْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ اللَّيْطِ ، وأمرَ قَبَسَ بْنَ سَعْدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كُدَّيْ ، ودخل هو صَلَّى الله عليه وآله من أَدْأَحِر .

قال الواقدي : وحدثني مروان بن محمد ، عن عيسى بن عتبة المراري ، قال : دخل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله مكةَ ، بين الأفرعِ بنِ الحابسِ وعُتَيْبَةَ بْنِ حِصْنٍ .


قال الواقدي : ورَوَى عِيسَى بْنُ يَمْعُورٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، قالت : سمعتُ أبا فُحَّافَةَ بَصْرِيَّ يَتْلُوهُ ، وأسمها فُريفةً ، وهو يومئذٍ أُمِّي ، وهي نَفُودَةٌ حَتَّى ظَهَرَتْ بِهِ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ ، فلما انشرفتْ بِهِ قال : يَا بُنْتَى ، ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى سَوَاداً مَجْتَمِعاً مِنْبَلاً كَثِيراً ! قال : يَا بُنْتَى ، نلكتِ الخيلَ ، فانظري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : أَرَى رجلاً يَسْمَى بَيْنَ ذَلِكَ السَّوَادِ مُنْفِلاً وَمَدْبِراً ، قال : ذَلِكَ الْوَلِزَعُ ، فانظري ماذا تَرَيْنِ ؟ قالت : قد تفرَّقَ السَّوَادُ ، قال : قد تفرَّقَ الْخَيْشُ ، الْبَيْتُ الْبَيْتُ ؟ قالت : تفرقت الجاريةُ بِهِ وَهِيَ تُرْعَبُ لِمَا تَرَى ، فقال : يَا بُنْتَى ، لا تُخَافِي ، فوالله إِنْ أَصَاكَ عَتِيفًا لَأَكْرَهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ؟ قالت : وعلمها طَوًى مِنْ فَضَّةٍ ، فَاحْتَلَكَهُ بِمَنْعٍ مِنْ دَخَلٍ ،

(١) ديوانه ، والفتح : الخيل .

(٢) منطرات : مسرعات ، والخمر : جمع حار .

فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة حمل أبو بكر بنادى : أنشدكم الله أيها الناس طوق أخى ؟ فلم يرد أحد عليه ، فقال : يا أخيه لعنسي طوقك ، فإن الأمانة في الناس قليل .

قال الواقدي : ومعنى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحرب ، وأمر من ستمه رجال وأربع نسوة : عكرمة بن أبي جهل ، وهشام بن الأسود ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومقبس بن ضبابة اللثبي ، والحويث بن مبل ، وعبد الله بن هلال بن حنكل الأدي ، وهند بنت عتبة ، وسارة مولاة لسي هاشم ، وقبيل بن حنكل : فرياً وفريه ، وبغال : فرياً وأرنب .

قال الواقدي . ودخلت الجنود كلها ،  هم ثلثي حروبا إلا خالد بن الوليد فإنه وجد كعفا من قريش وأبايشها قد حموا له ، فيهم صهوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، فنفوه الدخول ، ونهروا السلاح ، ورموه بالنبيل ، وقالوا : لا ندخلها عتوة أبداً ؟ فصاح خالد في أصحابه ، وفاتنهم ، فقتل من فريش أربعة وعشرون ، ومن هذيل أربعة ، وانهزموا أفبح الهرام حتى قتلوا بالحزوة ، وهم مؤتون من كل وجه ، وأنظفت طائفة منهم فوق رموس الجبال ، وأنعمهم المسلمون ، وجعل أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام بناديين : يا معشر فريش ، سلام نفعلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن ، ومن أعلن عليه بابه فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجعل الناس يفتحون الدور ويملفون عليهم الأبواب ، ويطرحون السلاح في الطرف حتى يأخذهم المسلمون .

قال الواقدي : وأشرف رسول الله صلى الله عليه وآله من على بكة أداخر ، فنظر إلى البارقة ، فقال : ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال ؟ قبل : يا رسول الله ، خالد بن الوليد

قُوَيْلَ ، ولو لم يُفَانِّلْ مَا فَانَّلَ ؟ فقال : فضاء الله خبر ، وأقبل أن خطل مدججاً في الحديد على فرس ذنوب^(١) بيده فتاة يقول : لا والله لا بدّ خلها عتوة حتى يرى ضرباً كافواً المزاد ، فلما أُنْعِيَ إلى التَّخْدِمَةِ ورأى الفئال دَحَلَهُ رُغِبَ حتى ما يَسْمِيكَ من الرُّعْدَةِ ، ومرّ هارباً حتى أُنْعِيَ إلى السَّكْبَةِ ، فدخل بين أستارها بعد أن طرح سلاحه وترك فرسه ، وأقبل حاسٍ بين حائل الدُّوَلَى منهزماً حتى أتى بيته فدفعه ، فعنت له امرأته فدخل ، وقد ذهبت رُوحُهُ ، فثالت : أبى الخادم أتى وعدتني ؟ ما لنتُ مُتَطَرِّك منذُ اليوم ، تسخر به ، فقال : دعي هذا وأعلمي الشاب ، فإنه من أعلن بابه فهو آمن ، قالت : وبُحْك ! ألم أُنْهِك عن قتال محمد ! وقلت لك : إني مارأبته بئانكم مرة إلا وظهر عليكم ، وما بابنا ؟ قال : إنه لا يفتح على أحدٍ بابه ، ثم أُنْشِدَها^(٢) :

إِنَّكَ لَوْ شَهِدْنَا بِالْحَقِّ مَسْئَةً
إِنْ قَرَّ سَمَوَانُ وَفَرَّ عِسْكَرُهُ

وَبُو بَرِّدٍ كَالْمَحْوَرِّ كُلِّ عَفْوَ
وَضَرَبُواهُمْ بِالسُّيُوفِ السَّلَافِ^(٣)

لَمْ زُبِرْ حُلُصًا وَعَمَمَةً
لَمْ تَعْلَقْ فِي اللُّؤْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ^(٤)

قال الواقدي : وحدثني فدامة بن موسى ، عن بشير مولى المازنيين ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كنتُ ممن لم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فدخلت معه يوم الفتح من أذاخر ، فلما أشرف نظر إلى بيوت مكة ، لحيد الله وأثنى عليه ، ونظر إلى موضع مكة بالأبطح نُبَّاهَ شبيب بن هاشم حيث حُصِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاث

(١) ذنوب . وافر الدب بالبحرك .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ٢٧ .

(٣) اللؤمة : التي دخل روحها في لها أولاد أجناس ، والسلفه : أراد السلفين ، ويسمى ابن هشام :

بَطْطَمَنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَبُحْبِحَتَهُ
ضَرْبًا فَسَلًا بِنَعِ الْإِغْمَةِ

(٤) ابن هشام : لم نهب .

سنتين ؟ وقال : يا جابر ، إن مرلنا اليوم حيث تقامنت علينا فربش في كفرها ؛ قال جابر : فذكرتُ كلاما كنتُ أسمعُه في الدينة قبل ذلك ، كان يقول : مرلنا عدأ إن شاء الله إذا ففتح علينا مكة في الخلف حيث تقامنوا على الكدر .

قال الواقدي : وكانت فته يومئذ بالأدَم ضربت له بالحبون ، فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أم سلمة وميمونة .

قال الواقدي : وحدثني معاوية بن عسده الله بن عسده الله ، عن أبيه ، عن أبي رافع ، قال : قبل للنبي صلى الله عليه وآله : ألا نزل معرك من النعب ؟ قال : وهل نرك لنا تغيل من منزل ! وكان تغيل فد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومنازل إخوته من الرجال والنساء عتقه ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله : فازل في بعض بيوت مكة من عبر منارلك . فأبى وقال : لا أدخل البيوت ؛ فلم يزل مصطربا بالحبون لم يدخل بيتا ، وكان يأتي إلى المسجد من الحبون . قال : وكذلك فصل في حجرة القصية وفي حجته .

قال الواقدي : وكانت أم هاني بنت أبي طالب تحت هبرة بن أبي وهب الخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حنّان لها : عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن هشام الخزوميان ، فاستجارا بها ، وقالا : نحن في جوارك ؛ ففالت : ثم أتتا في جوازي . قالت أم هاني : فهما عتدي إذ دخل عليّ فارس مدحج في الحديد ولا أعرفه ، فقلت له : أنا بنت عم رسول الله ، فأسفر عن وجهه ، وإذا عليّ أخي ، فاعتفته ، ونظر إليهما فشهّر السيف عليهما ، فقلت : أخي من بين الناس نصنع في هذا ؟ فالتبتُ عليهما ثوبا ، فقال : أنجبرين المشركين ! فقلت دونهما ، وقلت : لا والله وابتدي بي فبليهما ؛ قالت : فخرج ولم يكدر ، فالتفتُ عليهما بيتا ، وقلت : لا تخافا ، ودعبتُ إلى خباء رسول الله صلى الله

عليه وآله بالبطحاء فلم أجده ، ووجدتُ فيه قاطمة ، فقلت لها : ما لقيتُ من ابن أُمى على !
 أجرتَ سحَّوَيْنِ لى من الشرَكين ، فصَلَّتْ عليهما لبنتهما ، قالت : وكانت أشدَّ على من
 زوجها ، وقالت : لِمَ تُجِيرِينِ الشرَكين ! وطلَّعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعليه الثَّيَّابُ ،
 فقال : مرحباً بِمَاخِثَةٍ - وهو اسمُ أم هانئ - فقلتُ : ماذا لقيتُ من ابن أُمى على ما كدتُ
 أفلتُ منه ! أجرتَ سحَّوَيْنِ لى من الشرَكين ، فصَلَّتْ عليهما لبنتهما ، فقال : ما كان ذلك
 له ، فدأخَرْنَا من أجرتِ وَأَمْنَتَا من أَمْنَتِ ، ثم أمرَ قاطمةَ فَسَكَبَتْ لَهُ عُسْلاً فاعْتَمَلَ ، ثم
 صلى ثمانى رَكَعَاتٍ فى نوبٍ واحدٍ ملتحفاً به وقت الصُّحَى ، قالت : فرجعتُ إليهما وأخبرتهما ،
 وقلت : إن شِئْتَا فَأَقْبَا ، وإن شِئْتَا فَارْجِعَا إِلَى مَنَازِلِكَا ، فأقاما عِنْدِي فى مَنْزِلٍ يَوْمَيْنِ ، ثم
 انصَرَفَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا .

وَأَتَى آتٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فقال : بَيْنَ الْخَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَعَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ أَبِي رَيْمَةَ خَالِيسٌ وَفِيهِمَا مَنَافِعٌ مِنَ الْإِثْلَاءِ الزُّنْعَمِ ، فقال : لَا سَبِيلَ
 إِلَيْهِمَا ، فدأخَرْنَاهُمَا .

قال الواقدي : ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله فى قُبَّةِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ ، ثم
 دَعَا بِرَاحِلَتِهِ بعدَ أَنْ اغْتَسَلَ وَصَلَّى ، فَأَخْرَجَتْ إِلَى بَابِ الْقُبَّةِ ، وَحَرَجَ وَعَلَيْهِ السِّلَاحُ وَالْمِنْفَرُ
 عَلَى رَأْسِهِ ، وَقد صُفِّى لَهُ النَّاسُ ، فَرَكِبَهَا وَانْطَبَلَ نَحْجاً^(١) مَا بَيْنَ الْحَنْدَمَةِ إِلَى الْحُجْبُونِ ، ثُمَّ
 مَرَّ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى جَانِبِهِ عَلَى رَاحِلَتِهِ أُخْرَى يَسِيرُ وَبِحَادِيَتِهِ ، وَإِذَا بَنَتْ أَبِى
 أُحْيِيحَةَ سَمِعَ بَنَاصِيِدَ بَنِ الدَّائِصِ بِالْبُطْحَاءِ حَذَاءَ مَنْزِلِ أَبِي أُحْيِيحَةَ ، وَقد تَنَزَّهْنَ شَعُورُهُنَّ ، فَلَطَمْنَ
 وَجُوهَ الْخَبَلِ بِالْعُكْرِ ، فَظَنَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَتَسَمَّى وَأَتَتْهُ
 قَوْلَ حَسَّانَ :

(١) نَحْجٌ : تَسْرِعُ .

نَقَلَ جِيادًا مَمَطَرَاتٍ تُلَطِّمْنَ بِالْعُجْرِ التَّمَاةِ

فلما انتفى إلى الكعبة نفدتم على راحلته ، فاستلم الركن بحججته ، وكبر فكبر السلعون لتكبيره ، وعجبوا بالتكبير حتى لوتجت مكة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يشير إليهم أن اسكنوا ، والشركون فوق الجبال ينظرون ، ثم طاف بالبيت على راحلته ، ومحمد بن مسلمة أخذ بزمامها ، وحول الكعبة فلثامه وستون صنما مرصومة بالأساس ، وكان هُتْلُ اعظمها ، وهو نحاها الكعبة على بابها ، وإساف وثائلة حيث ينحرون وبذبحون الذبائح ، فجعل كلّا يمرّ نصن منها يشير بنصيب في يده ويقول : ﴿ جاء الحقّ وذَهَنَ الباطلُ إِنَّ الباطلَ كانَ رَهْوَكا ﴾ ؛ فبفع الصنم لوحه ، ثم أمر بهُتْلُ فكسر وهو واقف عليه ، فقال الزبير لأبي سميان : يا أبا سميان ، فد كُيِّرَ هُتْلُ ، أما إني قد كنت منه يوم أخذ وعروود حين ترعّم أنه قد أتم ، فقال : دع هذا عك بآين الموام ، فند أرى أن لو كل مع إنه عمد عبره لكان عبر ما كان .



قال الواقدي : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ناحية من المسجد وأرسل بلالاً إلى عثان بن طلحة بانيه بالفتح ، مفتاح الكعبة ، فقال عثان : نعم ، فخرج إلى أمه وهي بنت شيبه ، فقال لها والمفتاح عندها يومئذ : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد طلب المفتاح ، فقلت : أعبدك بالله أن يكون الذي يذهب مائة فومه على يده ! فقال : فوالله لتأتيني به أو ليأتيتك عبري فأخذه منك ، فأدخلته في حُجْرَتِها ، وقالت : أي رجل يدخل يده ها ها ! بينا ها على ذلك وهو يكتمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدلو ، وعمر رافع صوته حين رأى عثان أبلاً : يا عثان اخرج ، فقلت أنه : حد المفتاح ، فلأن تأخذه أنت أحب إلي من أن يأخذه نبي وعدي ، فأخذه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما تناوله سخط العباس بن عبد المطلب يده وقال : يا رسول الله ، باني أنت ! اجمع لنا بين السقاية والحجاية ؛ فقال : إنما أعطيتكم ما ترضون فيه ، ولا أعطيتكم ما ترضون منه ،

قالوا : وكان عثانُ بنُ طلحة قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله مع خالد بن الوليد وعمر بن العاص مسلماً قبل الفتح .

قال الواقدي : وبث رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب ومعه عثان بن طلحة ، وأمره أن يفتح البيت فلا بدع فيه صورة ولا تتحالا إلا صورة إبراهيم الخليل عليه السلام ، فلما دخل الكعبة رأى صورة إبراهيم شيخاً كبيراً يستنم بالأزلام^(١) .

قال الواقدي : وقد روى أنه أمره بحجر الصور كلها لم يستن ، فترك عمر صورة إبراهيم ، فقال لعمر : ألم أمرك ألا ندع فيها صورة ؟ فقال عمر : كانت صورة إبراهيم ، قال : فاحمها ، وقال : فاثلمهم الله ، جملوه شيخاً يستنم بالأزلام !

قال : ومما صورة مریم . قال : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله محم الصور بيده ، روى ذلك ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهزيب ، عن محمد بن أبي عبيد ، عن أسامة بن زيد ، قال : دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله الكعبة ، فرأى فيها صوراً ، فأمرني أن آتيه في الدكو بما ، فحمل بئره الثوب وبضرب به الصور ويقول : « فاثلم الله قوماً بصورتهم ما لا يحلفون ! » .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالكعبة فأغلفت عليه ، ومعه فيها أسامة بن زيد ، وبلال بن رباح ، وعثان بن طلحة ، فكت فيها ما شاء الله ، وخالد بن الوليد واثب على الباب بدب الناس عنه ، حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وآله ، فوكت وأخذ مضادتي^(٢) الباب ، واشترى على الناس وفي يده الفئاح ، ثم جمعه في كعبته ، وأهل مكة فبأه تحتته ، وبعضهم سوس مد لبط بهم ؟ فقال الحمد لله الذي

سَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَهْدَهُ ، وَهَرَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، مَاذَا تَقُولُونَ ؟ وَمَاذَا تَقْنُتُونَ ؟ قَالُوا :
 قَوْلَ خَيْرٍ ، وَنُظْنَ شَرًّا أَيْحَ كَرِيمٍ ، وَإِنْ أَخْرَجَ كَرِيمٌ ، وَقَدْ غَدَرْتَ ، خَالٍ : إِنِّي أَفْضَلُ
 كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿ لَا تَقْرَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
 إِلَّا إِنْ كَلَّ رِبًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ دَمَرُ أَوْ مَأْتُوهُ فَهُوَ نَحْتٌ فَدَيْ هَانَيْنِ إِلَّا سِدَانَةَ السَّكْبَةِ
 وَمَسَابَةَ الْحَاجِّ . أَلَا وَفِي غَنِيْلٍ مِنْهُ التَّمَدُّ ؟ فَتُبَلِّغُ الْمَصَا وَالسُّوْطَ الْقِدَّةَ مِنْطَلَقَةً مَائَةً نَافَةً ، مِنْهَا
 أُرْهِمُونَ فِي بَطْنِهَا أَوْلَادُهَا . إِنْ اللَّهُ فَدَأْذَنُ غَنَوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَسْكَبَرُهَا بِأَيْدِيهَا ، كَلِمَةً
 لِأَدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ نُزَابٍ . وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . أَلَا إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مَعَى حَرَامٍ بِحَرَمِ اللَّهِ ، لَمْ نَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلُ ، وَلَا نَحِلَّ لِأَحَدٍ بَآئِي
 بَعْدِي ، وَمَا أَحَلَّتْ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ . قَالَ : بِقَعْدِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 بِيَدِهِ هَكَذَا . لَا يَنْفَرُ صَبْدُهَا ، وَلَا بُدُّ مِنْ غِيَاظِهَا ، وَلَا نَحِلَّ لِفَتْلُهَا إِلَّا لِمُعِيْدٍ ، وَلَا يُنْقَلَى
 حِلَالُهَا . فَنَالَ الدِّبَاسُ : إِلَّا الْإِذْخِرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْهُ لِلْفُجُورِ وَالْبُيُوتِ ، فَسَكَتَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : إِلَّا الْإِذْخِرَ ، فَإِنَّهُ حِلَالٌ ، وَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ ،
 وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْمَاهِرِ الْحَجَرُ ، وَلَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ أَنْ تَعْلَى مِنْ مَارِلِهَا إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا ،
 وَالْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، وَالسُّلُوكُ إِحْوَةٌ ، يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، تَسْكَفُ دِمْلُؤُهُمْ ، بِسَعَى
 بَذِيئَتِهِمْ أَذْنَاهُمْ ، وَبَرَّةٌ عَلَيْهِمْ أَفْصَاهُمْ ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ ،
 وَلَا بَقَاوَرُثُ أَهْلِ مَكْنَيْنٍ مُخْتَلَفَيْنِ ، وَلَا تُسْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى مَحْتَمَلِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا ، وَابْتِغَاةُ
 عَلَى مَنْ أَذْنَى ، وَالْبَيْعُ عَلَى مَنْ أَسْكَرَ ، وَلَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ مُسْبِرَةً ثَلَاثَ أَيَّامٍ إِلَّا مَعَ ذِي عَهْدٍ ،
 وَلَا سَلَاةٍ بَعْدَ الْمَعْرِ ، وَلَا بَعْدَ الشُّمُوحِ ، وَأَتَاهَا كَمَ عَنْ سِيَامٍ يَوْمَيْنِ : يَوْمِ الْأَصْحَى وَيَوْمِ
 الْفِطْرِ . ثُمَّ قَالَ : ادْعُوا إِلَى عُبَّانَ بِنْتِ طَلْحَةَ ، فَجَاءَ . وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 قَالَ لَهُ يَوْمًا بِمَكَّةَ قَبْلَ الْمَجْبَرَةِ وَمَعَ عُبَّانَ الْفِتْنَانِ : لَمَّا سَرَى هَذَا الْفِتْنَانِ بِيَدِي يَوْمًا أَضْمُهُ
 حَيْثُ شِئْتُ ؟ فَقَالَ عُبَّانُ : لَمَّا هَلَكْتُ فَرِيضٍ إِذَا وَذَلْتُ ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : بَلْ عَمُرْتُ
 وَعَمَّرْتُ ؟ قَالَ عُبَّانُ : فَلَمَّا دَعَانِي يَوْمَ مَشْرِقِ الْفِتْنَانِ بِيَدِهِ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ حِينَ قَالَ : فَأَسْتَبَلُّهُ

بشر ، فاستقبلني بميثله ، ثم قال : خذوها يا بني ابي طلحة خالدة فائدة ، لا يترعها منكم
إلا ظالم . يا عتيان ، إن الله استأمنكم على بيته ، فكلوا بالمعروف ، قال عتيان : فلما وكنيت
ناداني فرجعت ، فقال : ألم يكن الذي قلت لك ! يعني ما كان فآله بكته من قبل ، فقلت :
على أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ برقع السلاح ، وقال :
إلا خراعة عن بني بكر إلى صلاة العصر . فخطبهم بالسيف ساعة ، وهي الساعة التي
أجبت لرسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدي : وقد كان نوفل بن معاوية الدؤلي من بني بكر استأمن رسول الله صلى
الله عليه وآله على نفسه ، فأمنه ، وكانت خراعة نعلبه بدما من قتل بكر وفريش منها
بالونير ، وقد كانت خراعة قالت أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله : إن أسى بن زئيم
جهاك ، فهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه ، فلما فتح مكة هرب وألحقني بالبال ،
وقد كان قتل أن يفتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة قال شعرا يستدبر فيه إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله ، من محلته :

أنت الذي مهدى مدتي بأمره	بك الله يهديها وقال لها أُرشدني
فما حملت من نافر فوق كورها	أبر وأوى ذنبة من عمد
أحت على خبير وأوسع نائلا	إذا راح بهنر لعنائر الهند
وأكسى لبرد الخلال قبل أرندائه	وأعلمي لراس السابق التحريم
فعلم رسول الله أنك مديرك	وأن قعباً منك كالأحد باليد
فعلم رسول الله أنك قادر	على كل شيء من سهام ومنجيد
ونبي رسول الله أتى هونته	فلا رفعت سوطي إلى إذن بدى
سوى أنى قد قلت بأوبع فنية	أصيدوا بتخسر يوم طلق وأسمد !

أصابعهم من لم يكن لسائهم كفاء فمزت عبقري وتلذذي
 ذؤبيا وكثرتوا وسلمى تتابوا جميعا فلا تدمع العين أكرم
 على أن سلمى ليس منهم كئيله وإخوته وهل ملوك كأعبد
 فلاي لا عرضا خرفت ولا دما خرفت فسكر عالم الحن وأقصير

قال الواقدي : وكانت كلته هذه قد بلغت رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يفتح مكة ، فنهت عنه ، وكلته يوم الفتح نوفل بن معاوية الضؤلي ، فقال : يا رسول الله ، أنت أولى الناس بالآفة ، ومن منا لم يداوك ولم يؤذك ، ونحن في جاهلية لا ندرى ما نأخذ وما ندع ، حتى هدانا الله بك ، وأقعدنا بيبيك من الهلكة ، وقد كذب عليه الركب ، وكثروا في أمره عندك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : دع الركب عنك ، إنما لم نحمد يتهمه أحدا من ذري رحيم ولا يعيد الرحمن كان أبر بنا من جراحة ، فاسكت يا نوفل ؟ فلما سكوت قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد عموت عنه فقال نوفل : فذاك أبي وأمي .

قال الواقدي : وجاءت الطاهر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بلالا أن يؤذن فوق ظهر الكعبة وفريش في رؤوس الجبال ، ومنهم من قد تغيب وسر وجهه حوا من أن يفتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ، ومنهم من قد آمن . فلما أذن بلال وبلغ إلى قوله : « أشهد أن محمدا رسول الله » ، صلى الله عليه وآله رفع صوته كأشد ما يكون ؛ قال : نفول جويزية بنت أبي جهل : قد لعمري رُفِعَ لك ذكرك ، فأما الصلاة فسنصلي ، ولكن والله لا نحب من قتل الأحبة أبدا ، ولقد كان حاء أبي الذي جاء محمدا من النبوة ؛ فردها ولم يرد خلاف فومه .

وقال خالد بن سمير بن العاص : الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يدرك هذا اليوم ؛

وقال الحارث بن هشام : وأتسكلاه ! لبتى من قبل هذا اليوم قبل أن أسمع بلالا يهين فوق الكعبة ! وقال الحكم بن أبي العاص : هذا والله أحدث العظم ، أن يصيح عبد بن مسمع ، يصيح بما يصيح به على بيت أبي طلحة ! وقال سهيل بن عمرو ، إن كان هذا سُخطاً من الله تعالى فسيغفره ، وإن كان شذوفاً فسيغفره ، وقال أبو سفيان : أما أنا فلا أقول شيئاً ، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصى ، قال : فأتى حرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بمقالة الغوم .

قال الواقدي : فكان سهيل بن عمرو يحدث فيقول : لما دخل محمد مكة انقسمت فدخلت بيني وأعلنه على ، وقلت لأبي عبد الله من سهيل : اذهب فأطلب لي جواراً من محمد ، فإني لا آمن أن أقتل ، وحملت أن ذكر أثرى عنده وعند أصحابه فلا أرى أسواً أترأى مني ، فإني لثيئة بهم الحديث بما لم يلقه أحد به ، وكنت الذي كانه ، مع حضوري بذراً وأخذاً ، وكلما نحرمت فزعمت أنها ، فذهب عبد الله بن سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أتى ثوبه ؟ قال : نعم ، هو آمن بأمان الله ، فليظهر ، ثم التفت إلى من حوله فقال : من لقي سهيل بن عمرو فلا يُشدن النظر إليه . ثم قال : قل له : فليخرج ، فامعري إن سهيلاً له عقلٌ وشرَفٌ ، وما مثلُ سهيلٍ حبل الإسلام ، ولقد رأى ما كان يوضع به إل لم يكن له نافع ، خرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال سهيل : كان والله يراً صغيراً وكبيراً ، وكان سهيل يُقبيل ويُدبر غير خائف ، وخرج إلى حبيب مع النبي صلى الله عليه وآله وهو على شيركة حتى أسلم بالحق وأمانه .

تم الجزء السابع عشر من شرح نهج الثلاثة لابن أبي الحديد

وبلغ الجزء الثامن عشر

فهرس الكتب*

- ٤٦ - من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله ٣
- ٤٧ - من وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضرب ابن ملجم ٦ -
- ٤٨ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٢
- ٤٩ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضا ١٤
- ٥٠ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراءه على الجيوش ١٥
- ٥١ - من كتاب له عليه السلام إلى عماله على المراج ١٩ - ٢٠
- ٥٢ - من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة ٢٢
- ويبين اختلاف التفهاء في أوقات الصلوات ٢٢ - ٢٩
- ٥٣ - من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر ٣٠ - ٣٧
- ٥٤ - من كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمر بن الخطاب من الحصن الخراساني ١٣١
- ٥٥ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية ١٣٥
- ٥٦ - من كتاب له عليه السلام أوصى به شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته ١٣٩
- إلى الشام
- ٥٧ - من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة يسبره من المدينة إلى البصرة ١٤٠
- ٥٨ - من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار بمن فيهم ما حرم بينه وبين أهل صفين ١٤١
- ٥٩ - من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان ١٤٥
- ٦٠ - من كتاب له عليه السلام إلى المهمل الذين بطلوا عملهم الجيوش ١٤٧

- ٦١ - من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي وهو عامله على حيت ١٤٩
- ٦٢ - من كتاب كتبه له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر
لما ولّاه ولايتها ١٥١-٢٢٦
- ٦٣ - من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على
الكوفة ، وقد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما نذبههم لحرب
أصحاب الحمل ٢٤٦
- ٦٤ - من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواريا عن كتابه ٢٥٠، ٢٥١



مركز تحقیق کتاب و اسناد اسلامی

فهرست الموضوعات *

١١- ٨	فصل في ذكر الآثار الواردة في حقوق الجار
٣٨٤ ٣٧	فصل في النهي عن ذكر عيوب الناس وما ورد في ذلك من الآثار
٤١- ٣٩	فصل في النهي عن سماع السعاية وما ورد في ذلك من الآثار
٥٨- ٥٥	رسالة الإسكندر إلى أرسطو ورد أرسطو عليه
٦٨ ٦١	فصل في النشأة وما يلزمهم، وذكر بعض نوادرهم
٧٥٤ ٧٤	عهد سابور بن أردشير إلى ابنه
٧٨ ٧٦	فصل فيها بحسب علي مصاحب الملك
٨٠٤ ٧٩	فصل في الكتاب وما يلزمهم من الآداب
٨٣- ٨٠	فصل في ذكر ما نصحت به الأوائيل للوزير
٩٦- ٩١	ذكر الحجاب وما ورد فيه من الخير والشر
١٠٦ ٩٨	طرف من أخبار عمر بن عبد العزيز وزهرته في خلافته
١١٠، ١٠٩	فصل فيها جاء في الخنزير من كبد العدو
١٣٠- ١١٨	فصل في ذكر بعض وسايا العرب
١٣٢	عمران بن الحصين
١٣٣، ١٣٢	أبو جعفر الإسكافي
١٣٩	شرح بن هاني*
١٥٠، ١٤٩	كثير بن زياد وسبه
٢٢٥- ١٥٤	ذكر ما طعن به الشيعة في إمامة أبي بكر والجواب عنها
١٦٤- ١٥٥	الطعن الأول في ذكر ما طعن به عليه فيه من أمر فدك
١٦٨- ١٦٤	الطعن الثاني في قوله : ليقني كنت سألت رسول الله عند موته عن ثلاثة ...

- الطعن الثالث في توليته عمر مع أن رسول الله لم يوله شيئاً من أعماله
 ١٧٥-١٦٨
- الطعن الرابع لتأخيره إغاثة جبنى أسامة
 ١٩٤-١٧٥
- الطعن الخامس بمناسبة أن الرسول عليه السلام لم يوله الأعمال وولي غيره
 ٢٠١-١٩٥
- الطعن السادس في أنه لم يعرف العفة وأحكام التريفة
 ٢٠٢، ٢٠١
- الطعن السابع في عدم إقامته الحد على خالد بن الوليد وقد قتل مالك بن نويرة
 ٢١٤-٢٠٢
- الطعن الثامن فيها ثم من دفعه وعمر مع رسول الله في بيته ، وقد منع الله تعالى
 السكلى من ذلك في حال حياته
 ٢١٩-٢١٤
- الطعن التاسع في أنه نصر على عمر بالخلافة عما لها في ذلك رسول الله صلى الله
 عليه وسلم - بزعمهم
 ٢٢٠، ٢١٩
- الطعن العاشر في أنه مسمى نفسه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مع اعترافه بأنه لم يستخلفه
 ٢٢١
- الطعن الحادي عشر في أمره بحرق العجاجة السقى بالنار وقد ملى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن ذلك
 ٢٢٢
- الطعن الثاني عشر في أنه نكلم في الصلاة قبل التسليم
 ٢٢٣، ٢٢٢
- الطعن الثالث عشر في أنه كتب إلى خالد بن الوليد وهو على الشام بأمره
 أن يقتل سعد بن عباد - بزعمهم
 ٢٢٤، ٢٢٣
- الطعن الرابع عشر في أنه لما استخاف قطع لنفسه على بيت المال أجرة
 كل يوم ثلاثة دراهم
 ٢٢٤
- الطعن الخامس عشر في أنه أمر في خلافته بأن من كان عنده شيء من
 كلام الله فليأمنه به ؛ مع أن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر
 ٢٢٥، ٢٢٤
- أخبار الوليد بن عتبة
 ٢٤٥-٢٢٧
- كتاب معاوية إلى علي
 ٢٥٣-٢٥١
- ذكر الخبر عن فتح مكة
 ٢٨٤-٢٥٧